تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء الثاني عشر

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

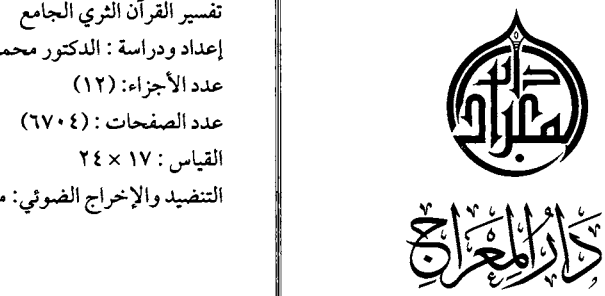

تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

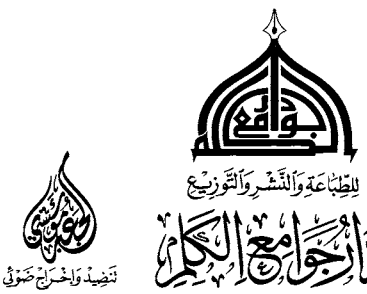

جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريَّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الثاني عشر

دار المعراج

دار جوامع الكلم

سُورَةُ الْمُلْكِ

ترتيبها ٦٧ آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سورة الملك [الآيات ١ - ١٢]

ترتيبها في القرآن (٦٧)، وترتيبها في النزول (٧٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

وتسمّىٰ الواقية المنجية من عذاب القبر، كما أخرج التّرمذي عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر.

وروىٰ الإمام أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (إنّ سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتّىٰ غفر له)، قال التّرمذي: حديث حسن، وما أخرجه الطّبراني والحافظ المقدسي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتّىٰ أدخلته الجنة).

تتحدث سورة تبارك عن عظمة الله سبحانه وقدرته ووحدانيّته، ونعمه وعلمه وإنذاره، والسّمة التّعبيرية فيها الرّحمة مثل قوله: العزيز الغفور، لهم مغفرة وأجر كبير، جعل لكم الأرض ذلولاً وغيرها، وتشير إلىٰ البعث والتوكل علىٰ الله.

وذكر اسم الرّحمن فيها (٣) مرات.

[١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿تَبَارَكَ﴾: اختلف العلماء في معنىٰ تبارك، قيل: تبارك: تعالىٰ وتعاظم قدره وتنزَّه وتقدَّس عن شبه ما سواه.

تبارك: من البركة والبركة تعن: الكثرة والزّيادة تكاثرت بركته وعمت الخلائق وعظم خيره وإحسانه، فكل البركة من الله تعالىٰ الذي أبدع هذا الكون وأودع بركته فيه.

وقيل: تبارك: اشتقت من برك الجمل: دام وثبت بمعنىٰ الثّبوت، أيْ: دام خيره وإحسانه لخلقه.

وردت كلمة تبارك في تسع آيات في القرآن منها:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان:١].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان:١٠].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان:٦١].

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:٦٤].

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزخرف:٨٥].

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].

وكلمة تبارك أو سبحانك لا تستعمل إلا لله تعالىٰ وحده، وردت تبارك في سبع آيات بالألف الممدودة، وتبارك الخنجرية في سورة الرّحمن والملك؛ مما يدل علىٰ أنّ كتابة القرآن أمر توقيفي.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يدل علىٰ التّعظيم.

﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾: بضم الميم، أي: الحُكم فهو الحاكم، حاكم السموات والأرض وما فيهنَّ ولا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل، بيده: أيْ: هو المتصرف بملكه كيف يشاء يُعز من يشاء ويُذل من يشاء يؤتي المُلك من يشاء وينزع المُلك ممن يشاء.

وهناك كلمة مِلك بكسر الميم: تعني: الملكية؛ أي: ما يُمْلَك، وكل ما يُمْلَك فهو مِلْك؛ فهو سبحانه يملك السموات وما فيهنَّ والأرض وما فيها، فكل شيء هو ملكه وحده وما نحن إلا مستخلفين في بعض هذا الملك كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]، فهو مالك المُلك: المالك الحقيقي والحاكم الدائم لا شريك له، له الخلق وله الأمر الحي القيوم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد، شيء: نكرة تشمل كلّ شيء مهما كان نوعه وشكله وحجمه ووزنه ولونه وجنسه، قدير: التّام القدرة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء، فإذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن، فيكون، قدير: صيغة مبالغة لقادر، قادر علىٰ أن يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء، قدير؛ لأنه هو الحاكم ومالك الملك والعليم والحكيم.

[٢] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: تفيد التّعظيم.

﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾: خلق: أصل الخلق التّقدير، والخلق يعني: الإيجاد، أيْ: أوجد الموت وهو نقص البنية لجسم الإنسان بخروج الروح الباعثة للحياة من جسد الإنسان، أي: انفصال الروح عن الجسد وإذا انفصلت الروح توفيت النفس أيضاً وتحول الجسد إلىٰ بدن، فالبدن جسد بلا روح ولا نفس، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[يونس:٩٢]، والحياة تبدأ بنفخ الروح في البدن. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٤٢) لمزيد من البيان، وقدَّم الموت علىٰ الحياة؛ لأن الموت مقدَّر في المحفظة الوراثية المكونة من الجينات، والتي يسبق خلقها نفخ الروح في البدن، أو التقديم قد يكون للاهتمام؛ لأن أكثر الناس يغفلون عن الموت، وأما الحياة فهي شغلهم الشاغل، فالتقديم قد يكون للاهتمام والاستعداد للموت، وقيل: تقديم الموت علىٰ الحياة؛ لأن الموت يسبق الحياة في مرحلة الأصلاب كقوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٢٨].

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: اللام للتعليل، يبلوكم: من الابتلاء والابتلاء يكون في الخير والشر، والابتلاء هو استخراج ما عند المبتلىٰ من طاعة أو معصية، ولا يكون إلا بتحمُّل المشاق والمكاره.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: ولم يقل: أيكم أكثر عملاً، وإنما قال: أحسن عملاً، أيْ: أخلص عملاً لوجه الله تعالىٰ وأصوب، أيْ: علىٰ هدي القرآن والسّنة.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾: العزيز: مشتق من عزة القوة والامتناع والغلبة والقهر وذكر العزيز (٩٢) مرة في القرآن، ويعني: القوي الذي لا يعجزه شيء، الغالب الذي لا يُغلب والقاهر الذي لا يُقهر، والممتنع لا يحتاج إلىٰ أحد من عباده، ولا ينفعه أحد ولا يضره أحد، الغفور: كثير المغفرة لمن تاب وأناب، والمغفرة: تعني بستر عليه ذنبه ولا يفضحه، أيْ: لا يعاقبه عليه ويعطيه ثواب حسناته كاملة أيْ: لا يطرح سيئاته من حسناته، الغفور: صيغة مبالغة لغافر، أيْ: كثير المغفرة كماً ونوعاً، وقيل: الغفار: يغفر الذّنوب الكثيرة. والغفور يغفر الذنوب الكبيرة أو الكبائر مهما تنوعت وكبرت إذا تاب العبد وأناب إلىٰ ربه.

[٣] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾:

ومن مظاهر عظمته وقدرته:

﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾: طباقاً: بعضها فوق بعض، أيْ: سبع سموات حول مركز واحد هو الأرض يغلف الخارج منها الداخل أو سبع كرات عظيمة سمكها متساوٍ، والمسافات بينها متساوية ومركزها واحد هو الأرض، وقيل: بنية السموات السبع تشبه بنية الأرض المشكلة من سبع أرضين.

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾: التّفاوت: من الفوت وهو الفرجة أو التباعد يعني: التّباين والتّناقض أو عدم التّناسب فلا ترىٰ أي عيب ولا نقص في خلقها.

من: استغراقية، أيْ: تفاوت، أيْ: هي مبنية بناء محكم متماسك من دون فراغ كما كان يظن سابقاً، مملوءة بغازات التي يغلب عليها غاز الإيدروجين

وذرات الكالسيوم والصّوديوم والبوتاسيوم وبخار الماء وغيرها، وتربط بينها قوانين الجاذبية المختلفة المغنطيسية والكهربائية التي لا تتغيَّر ولا تتبدل أو تضعف أو تزيد.

﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾: أيْ: كرِّر النّظر أو أعد البصر المرة تلو الأخرىٰ إن كنت في شك، أو تعني: التّوكيد، هل: استفهام فيه معنىٰ التّقرير والجواب: لا تجد فيها أي فطور: شقوق وصدوع، فطور: مشتقة من فطر: شق.

[٤] ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي. ارجع البصر: انظر، ثم أعد النظر المرة تلو المرة في السماء.

﴿ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾: كرتين: لا تعني: مرتين، وإنما المرة بعد الأخرىٰ، أي: المرات العديدة.

﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ﴾: من الانقلاب: هو الرّجوع ولكن إلىٰ حالة مخالفة للحالة التي بدأ منها، بينما الرجوع يكون للحالة نفسها التي بدأ منها.

﴿خَاسِئًا﴾: صاغراً ذليلاً عاجزاً عن رؤية، أيْ: خلل أو عيب في التّركيب أو فاشلاً مهزوماً.

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد، حسير كما فسَّره القدامىٰ كليل متعب، أما التفسير العلمي فالحسير هو: أن الضوء المنبعث من الجسم المرئي مفروض أن يشكل بؤرة تصل إلىٰ شبكة العين، ثم تنتقل بواسطة العصب العيني إلىٰ المخ، ومن ثم يُرىٰ الجسم المرئي، ففي حالة كون البصر حسيراً

يعني: لا تصل بؤرة الجسم المرئي إلىٰ شبكية العين، بل تتوقف بمسافة قريبة أو بعيدة عن الشبكية، ولذلك لا يُرىٰ الجسم المرئي بشكل صحيح حقيقي واضح بسبب حسر البصر أو العجز البصري.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: أيْ: بالنّجوم، التي تشبه المصابيح، والنجوم هي أفران نووية مشتعلة عملاقة تضيء بنفسها والشمس هي إحدىٰ هذه النجوم، فمن وظائف النجوم تزيين السماء، ومن وظائفها أيضاً: رجوماً للشياطين.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: رجوماً للشياطين: بما يصدر عنها من شهب تنطلق لترجم الشّياطين هذا في الدّنيا. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (١٠)، واللام في كلمة للشياطين تدل علىٰ الاختصاص والاستحقاق والشّياطين هم كفرة الجن، والشّياطين جمع شيطان، وكلمة شيطان مشتقة من شطن: أي: ابتعد عن الحق وتمادىٰ في الشّر والضّلال أو تمرد علىٰ الحق، أو شاط: أي: احترق أو الشّاطن: أي: الخبيث.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن النجم يمر بمراحل مختلفة في دورة حياته مرحلة الولادة، ثم الطفولة والكهولة والشيخوخة، ثم الاحتضار وعندها تتكرَّر الطاقة بداخله باتحاد الإلكترونات والبروتونات، وتشكل نجم نتروني ذو كثافة عالية قد تبلغ مليون طن بالسم٣، وقد ينفجر ويتحول إلىٰ كتلة جامدة تشكل الشهب أو النيازك التي ترجم أو تقذف بها الشياطين.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾: أيْ: هيأنا لهم: أيْ: للشياطين، عذاب السّعير في الآخرة، السّعير: النّار الملتهبة أو المستعمرة. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٦] ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿وَلِلَّذِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: أيْ: كفر العقيدة: وجحدوا بألوهيته وربوبيته، والباء للإلصاق سواء كانوا من شياطين الجن أو الإنس.

﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: في الآخرة، جهنم: تعني بعيدة القعر. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٣٢) لمزيد من البيان.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: بئس: فعل من أفعال الذّم، أيْ: بئس المآل والنّهاية.

[٧] ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾:

﴿إِذَآ﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾: أيْ: ألقي الكافرون في جهنم، وتعني: الدّفع بقوة للدخول فيها كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور:١٣].

﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾: وهي: للتوكيد، تفور: تغلي غلي الحميم، أيْ: يخرج من النّار التي تغلي أصوات تشبه أصوات الشّهيق عند الإنسان أو الحيوان، والشّهيق ابتلاع الهواء ليدخل الرّئتين.

وفي سورة الفرقان الآية (١٢) قال تعالىٰ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا

﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ والزّفير هو إخراج الهواء من الرّئتين، والغيظ: الغضب الشّديد الكامن في نفس العاجز عن التّشفي، والغيظ: يعبر عن شدة درجة اشتعال النّار.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾:

﴿تَكَادُ﴾: من أفعال المقاربة.

﴿تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: تتقطع عليهم إرباً إرباً من الغيظ والذي هو أشد من الغضب، والغيظ يمثل شدة الغليان، ففي هذه الآية شبهت جهنم في شدة غليانها ولهيبها بإنسان شديد الغضب على عدوه يكاد يتمزق وينفجر وتخرج أحشاؤه. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٥) لمزيد من البيان ومعرفة مراحل الغضب.

﴿كُلَّمَا﴾: مركبة من كلّ وما المصدرية الظّرفية، فهي أداة شرط تفيد التّكرار.

﴿أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعة من الكفار أو زمرة.

﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: مالك وأعوانه من الملائكة.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: ألم: استفهام توبيخي وإنكاري، نذير: من الإنذار وهو الإعلام والتّحذير، أيْ: ألم يأتكم رسل منكم ينذرونكم لقاء يومكم هذا.

[٩] ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾:

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾: أي: الكافرون قالوا للملائكة:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتّوكيد.

﴿جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾: أيْ: رسول.

﴿فَكَذَّبْنَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، فكذبنا: أيْ: لم نصدق بالرّسل.

﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: من استغراقية، شيء: نكرة، أيْ: ما جئتم بأيِّ شيء من شرائع أو وحي أو آيات ولم ينزل الله من شيء، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٥) في سورة يس، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾؛ لأن السياق في سورة الملك في تهديد وتحذير الكافرين وما أعده الله تعالىٰ لعذابهم، ولم يقل الرحمن في هذه الآية رغم أن اسم الرحمن تكرر (٤ مرات) في هذه السورة.

﴿إِنْ أَنتُمْ﴾: إن: نافية أشد نفياً من ما، أو للتوكيد: هذا هو قول الملائكة للكفار حين اعترفوا بتكذيبهم للرسل وهو الراجح، أو قول الكفار لرسلهم المنذرين، أو قول الرّسل لقومهم حين أنذروهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾: بُعد كبير عن الحق والصّواب.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: الكفار.

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾: لو: شرطية، كنا نسمع في الدّنيا سماع فهم وتدبُّر، نسمع ما جاءت به رسلنا أو نُذرنا من آيات ووعد ووعيد.

﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: ما: النّافية، كنا: أي: الآن، في: ظرفي مكانية.

ولو قالوا: ما كنا من أصحاب السعير، وليس في أصحاب السّعير فقد يعني: أنّهم ليسوا الآن في داخل جهنم، ويمكن أن يلحقوا بأصحاب السّعير بعد زمن، فهناك اختلاف كبير بين حرف من وفي، مثال: فلان في المدينة: أيْ: هو الآن في المدينة، فلان من المدينة: أيْ: هو من أهل المدينة وهو الآن خارج المدينة، أو

نعقل: أو هنا بمعنىٰ واو (العطف) أيْ: لو كنا نسمع ونعقل ولا تعني التّخيير؛ لأنّ السّمع من دون العقل لا فائدة منه، والعقل يحتاج إلىٰ السّمع، نعقل: نفهم أو نتدبَّر أو نفكِّر، فهم نفوا عن أنفسهم وسائل الهداية؛ السّمع والعقل معاً.

في أصحاب السّعير: أصحاب السّعير: سُمُّوا أصحاب السّعير (النّار الملتهبة، أي: المسعرة) لصحبتهم الدّائمة لها كأنّهم أصبحوا أصحابها ملازمين لها، أيْ: مالكوها كما نقول: أين صاحب الدّار، وقدَّم السّمع علىٰ العقل: لأنّ المدعو إلىٰ الشّيء يسمع كلام الدّاعية أوّلاً، ثمّ يفكِّر فيه.

[١١] ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾:

﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، اعترفوا: أقروا وشهدوا علىٰ أنفسهم، بذنبهم: الباء للإلصاق، ولم يقل: بذنوبهم؛ لأنّ ذنبهم هو تكذيب الرّسل، وما أنزل الله، أمّا ذنوبهم: فتعني: الصّغائر والكبائر التي ارتكبوها فهم لا يتحدثون عنها الآن.

﴿فَسُحۡقٗا﴾: الفاء للتوكيد، سحقاً: أيْ: بُعداً، والسّحيق: البعيد ويقال: أسحقهم الله: أبعدهم الله عن رحمته، أيْ: بُعداً لهم ودماراً.

﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: اللام: لام الاستحقاق والاختصاص، أصحاب السّعير: ارجع إلىٰ الآية (١٠) السابقة.

[١٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾: الخشية تعني: الخوف من ربهم، والتّعظيم

والمهابة له، والعلم، (أيْ: تعلم الذي تخشاه ما هو صفاته)، يخشون عقابه وغضبه وسخطه، بالغيب: قيد الخشية بالغيب ولم يطلق الخشية، ويقول ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ كما في سورة الرعد الآية (٢١)، الغيب: كلّ ما غاب عن البصر، أيْ: يخشونه ولم يروه، يخشونه في السّر والعلن، أيْ: يخشونه أمام النّاس، ويخشونه في خلواتهم وغيابهم عن أعين النّاس، أيْ: إذا خلوا بأنفسهم، والباء (بالغيب): باء الظّرفية والمصاحبة.

﴿لَهُم﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، لهم: تعني: عامة المؤمنين.

﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: المغفرة تعني: السّتر والمحو وترك العقاب والإثابة على الأعمال الصّالحة.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: الأجر يكون بعد العمل، والأجر الكبير هو الجنّة ونعيمها.

❖ ❖ ❖

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

سورة الملك [الآيات ١٣ - ٢٦]

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

﴿أَوِ﴾: تعني: للخيار أو السّواء، أيْ: يستوي عند الله إسراركم أو جهركم بالقول أو الفعل.

سبب النّزول: كما قال ابن عباس أن المشركين كانوا يتكلمون على رسول الله ﷺ وينالون منه، فيخبره جبريل بما قالوا ونالوا منه فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فيخبره.

بل هو يعلم السّر وأخفى: أيْ: ما هو أخفى من السّر، أيْ: حديث النّفس وخواطرها، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧].

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: إنّه للتوكيد، عليم: صيغة مبالغة من علم، أيْ: كثير العلم أيْ: مطلع ورقيب ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور، والصّدور: تعني القلوب التي مركز المشاعر والأحاسيس المعنوية مثل الإيمان والكفر والخيانة والاستقامة والتوحيد أو النفاق بما فيه من الخلايا العصبية، فهو سيد الأعضاء ويتصل بالدماغ بالدم والأعصاب. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

﴿بِذَاتِ﴾: كلّ شيء ذات، وكلّ ذات شيء، وذات: تعني كلّ المعتقدات والخواطر والسّرائر والأحاسيس من حسد ومكر وكراهية وحب، ولأنّها تعيش

وتصاحب الإنسان وتلازمه وتجول وتعيش في صدره؛ أي: قلبه سمِّيت ذات أو ذوات الصّدور.

وقدَّم السّر على الجهر؛ لأنّ العلم به أصعب من العلم بالجهر، ولأنّ كلّ عمل يبدأ سراً، ثمّ يجهر به وفي الآية تحذير من الغيبة والنّميمة.

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾:

ثمّ بيَّن الحُجَّة والدّليل على علمه بكلّ شيء؛ لأنّه سبحانه هو الذي خلق كلّ شيء.

﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾: ألا: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتقرير.

﴿مَنْ خَلَقَ﴾: من: اسم موصول بمعنى الذي، وتعني: ألا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير، أيْ: ألا يعلم الخالق مخلوقاته أو ما خلق.

﴿وَهُوَ﴾: الواو تفيد التّوكيد، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد.

﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: اسمان من أسماء الله الحسنى، اللطيف: لغة أي: الشيء الدّقيق جداً الذي لا تراه أو يصعب رؤيته بالعين، أيْ: لا تدركه الأبصار واصطلاحاً: اللطيف الذي يعلم دقائق الأمور وخفاياها ومواقعها.

الخبير: العليم ببواطن الأمور وأحاط علمه بالأسرار والبواطن والخفايا وذوات الصّدور، أيْ: يصل علمه إلى كلّ خفي، ومن يعلم بواطن الأمور فهو يعلم ظواهرها أيضاً.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: ذلولاً: مسخرة لكم أيْ: ذللها

وسخرها لكم وجعلها قراراً لا تميد ولا تضطرب مسخرة لكم للحرث والزّرع والبناء والعمارة. وهيأها لكم للعيش عليها وخلق الجبال وجعل عوامل التعرية واختلاف درجات الحرارة وشق لكم الفجاج والسبل.

﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾: المناكب: الجوانب والمنكب في الإنسان ما بين الكتف والعضد، وتطلق على الطّرقات، أيْ: طرقاتها، فامشوا في طرقاتها لطلب الرّزق والعلم والإصلاح.

﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾: الرّزق: هو كلّ ما يُنتفع به وليس حراماً، أيْ: لا يكون إلا حلالاً، وتعني مما رزقكم وخلق لكم ما في الأرض من الزّرع والثّمار وكلّ ما خلقه الله تعالى في الأرض هو رزق للعباد، ثم وزعه بعلمه وحكمته على خلقه.

﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾: النّشور: هو إحياء الموتى، ويلي النّشور الحشر وهو إخراج الموتى من قبورهم وسوقهم إلى أرض المحشر وجمعهم للحساب، وتقديم إليه: لتدل على الحصر أيْ: إلى الله وحده النّشور.

[١٦] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾:

﴿ءَأَمِنتُم﴾: الهمزة للاستفهام التّحذيري، أمنتم: من الأمن وهو الطّمأنينة الكاملة مع زوال أسباب الخوف بينما الأمنة: فهي الطمأنينة الغير كاملة مع بقاء سبب أو بعض أسباب الخوف.

﴿مَّن فِي﴾: من: اسم موصول تعني الذي وتفيد التّعظيم، في: السّماء هو الله تعالى.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾: الخسف: يعين الانهيار والتّشقق الذي يحدث من

اصطدام الألواح تحت القارات الأرضية، وقدم الخسف على حاصباً؛ لأنه سبق ذكر الأرض حين قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ فناسب تقديم الخسف.

﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، إذا: ظرفية زمانية تفيد الفجأة، هي تمور: أيْ: تتحرك وتضطرب والمور في الأصل الحركة المضطربة غير المستقرة من الأعلى إلى الأسفل.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾:

﴿أَمْ﴾: المنقطعة للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري والتّحذير.

﴿أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: الحاصب: الرّيح العقيم التي إذا أتت على شيء جعلته كالرّميم، وسمّيت حاصباً؛ لأنّها تحمل الحصباء والحجارة وتدمر كلّ شيء بأمر ربها.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب والسين للاستقبال القريب والتّوكيد مثل حينذاك.

﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: كيف: للاستفهام وللإنذار والتّهويل، نذير، أيْ: كيف كان خطر الإنذار وأهميته أو عاقبته.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، والواو استئنافية.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبلهم: الضّمير يعود على كفار مكة الذين من قبلهم أمثال قوم نوح وعاد وثمود ولوط وفرعون ومدين، من: تفيد القرب أيْ: من زمن قريب.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: كيف: للاستفهام والتّهويل والتّحذير والتّعجب، أيْ: كيف كان عاقبة (قوم نوح وعاد وثمود وفرعون) لإنكارهم وتكذيبهم لرسلهم، فقد أهلكهم الله بذنوبهم في الدّنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقريع، والواو في أولم: لمطلق الجمع وتدل على المبالغة في إنكارهم.

﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾: جنس الطّير، فوقهم: في جو السّماء.

﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: من الصّف أيْ: صف الأجنحة وهو الأصل في الطّيران أيْ: تبسط أجنحتها للطيران أيْ: تمدها فتحملها الرّيح وجاء بالصّيغة الاسمية (صافات) التي تدل على الثّبوت، وتستطيع اختراق كتلة الهواء إلى الأمام وإلى الأعلى بصف الأجنحة.

﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: من قبض الأجنحة للاحتفاظ بالتّوازن، والقبض عرض طارئ عبَّر عنه بالفعل المضارع الذي يدل على التّكرار والتّجدُّد حتّى يتمكن الطّير من التّوازن والصعود والارتفاع إلى أماكن أعلى.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: ما: النّافية، يمسكهن: في كلا الحالتين الصف والقبض والوقوع على الأرض، إلا الرّحمن: إلا: أداة حصر، الرّحمن: الذي

سخر لهنَّ ما يحتجن للطيران ويمسكهنَّ من الوقوع على الأرض، فهذا من مظاهر رحمة الرّحمن، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧٩) في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾: نجد أن آية النحل جاءت في سياق التسخير (لقوله تعالى مسخرات)، والتسخير: يعني التذليل والقهر، فذكر اسم الله تعالى الجامع لجميع صفاته، وفي آية المُلك ذكر فعل الطيران، وعدم سقوطها فهذا من الرحمة فذكر اسم الرحمن مع ذلك.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: إنّه: للتوكيد، بكلّ: الباء للإلصاق والمصاحبة.

كل شيء بصير: شيء نكرة تعني: أيَّ شيء مهما كان وأينما كان أحاط بصره بكلّ شيء في السموات والأرض وما بينهما.

فهذه البراهين الدّالة على قدرة الله تعالى من أنّه عليم بذات الصّدور، وجعل الأرض لكم ذلولاً، وسخر للطير ما يحتاجه للطيران، ويمسكها أن تقع على الأرض، وأنّه بكلّ شيء بصير تكفي وتؤكد أنّ الله قادر على خسف الأرض أو إرسال حاصباً أو إرسال عذاباً عليكم من فوقكم أو من تحت أرجلكم.

[٢٠] ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾:

بعد ذكر البراهين على قدرته تعالى يوبخ المشركين الذين يظنون أنّ هناك من ينصرهم من غير الله أو الرّحمن، فيقول:

﴿أَمَّنْ﴾: أصلها أم + من، أم: المنقطعة للإضراب الانتقالي، ومن: للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ أن يكون لهم ناصر سوى الله إذا أراد أن يخسف بهم الأرض أو يعذبهم، فليس هناك من يمنع عذابه.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب ويفيد الذّم والتّحقير.

﴿ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾: ولـم يقل: جنود لكم، الذي: اسـم موصول هو يفيد التّوكيد، جند لكم: جند اسم جنس أوسع شـمولاً من جنود ويتضمن أو يشمل الواحد والاثنين أو أكثر، جنـود: تعني فقط (٣) أو أكثر وتنفي الواحد والاثنين، لكم: اللام لام الاختصاص ولكم خاصة.

﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: أيْ: يدفـع عنكم أو يمنعكـم من عذاب الله عز وجل إذا حل بكـم، وذكر الرّحمن هنا: لأنّ السّـياق في ذكـر نعم الله تعالىٰ، ولتذكرهم أن لا تغتروا برحمته فالرّحمن يعاقب.

﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾: إن: للتعليل والتّوكيد، إلا: أداة حصر، في: ظرفية في حالة غرور دائم، غرور: الوقوع في الشـر بسـبب غفلة المغرور وقلة وعيه، والغرور: إيهام يحمل الإنسـان علىٰ فعل ما يضره أو يعني الغفلة ويعني الخداع، حين يظنوا أنهم ليسوا بحاجة علىٰ الاعتماد علىٰ الرّحمن.

[٢١] ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾:

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة، والاستفهام هنا جوابه محذوف أيْ: لا رازق لكم غيره.

﴿يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾: أو من هـذا الذي سـيرزقكم غير الله تعالىٰ إن أمسـك الله رزقه عنكم مثل عدم إنزال المطر. أو جعل رزقكم حطاماً بإرسـال الأعاصير أو الريح العقيم أو الفيضانات وغيرها من الكوارث الطبيعية.

﴿بَل﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿لَّجُّوا۟﴾: من اللجاج وهو التّمادي والاستمرار. مشتقة من لُجَّة البحر أيْ:

تردُّد أمواجه وعودتها إلىٰ الاصطدام بالشـاطئ أو الصخر المرة بعد الأخرىٰ بلا انقطاع، ويعني الاستمرار في فعل الأمر المنهي عنه والمواظبة عليه.

﴿فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾: فـي: ظرفية في حالة عتو: في عناد واسـتكبار وقسـوة، ونفور: تباعد عن الحق والإيمان والإذعان.

[٢٢] ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

ثمّ يخبرنا بصورة الاسـتفهام التّقريري: أيهما أهدىٰ المؤمن الموحِّد الذي يمشي سوياً علىٰ صراط مستقيم؛ أي: علىٰ دين الإسلام أم الكافر المشرك الذي يمشي مكباً علىٰ وجهه فيقول:

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة استفهام تقريري، من: اسم موصول بمعنىٰ الذي:

﴿يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: المكب علىٰ وجهه أي: السّـاقط علىٰ وجهه، من كبه: صرعه عل وجهه أيْ: لا يرىٰ أمامه فهو يتعثر في ضلاله وجهله ومعاصيه.

﴿أَهْدَىٰ﴾: أكثر هداية واستقامة علىٰ وزن أفعل أيْ: أفضل.

﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أمّن: للاستفهام التّقريري، أيْ: يمشي علىٰ هدي من ربه وعلىٰ دين الإسـلام، يمشي علىٰ صراط مستقيم: يوصله إلىٰ غايته بأقصر زمن ومن دون حائل.

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾:

ثمّ يخبرنا عن برهان آخر يدل علىٰ عظمته وقدرته سبحانه:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد، أي: الله سبحانه.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: من الإنشـــاء وهو البداية في الخلــق، والخلق يكون بعد الإنشاء أوجدكم من العدم.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾: الجعــل يتم بعد الخلق لكم: الــلام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: قدَّم السّمع على البصر في حوالي (١٧) آية في القرآن، وقدَّم البصر على السّــمع في سورة الكهف والسّجدة في آيتين فقط جاءا في ســياق الآخرة، أمّا في ســياق الحياة الدّنيا فيقدِّم السّمع على البصر لأسباب منها:

١ - السّمع يفوق البصر في الأهمية في التّبليغ والتّكليف.

٢ - يقدَّم السّمع؛ لأن السّمع لا ينقطع ليلاً أو نهاراً في النور أو الظلام.

٣ - السّمع ينشأ أو يخلق قبل البصر ومركز السمع يقع أمام مركز البصر.

وانتبه أيضاً أن الله سبحانه قدَّم كلمة العين عل الأذن في كلّ القرآن، وأفرد السّمع وجمع البصر فقال: والأبصار .ارجع إلى الآية (٧) من سورة البقرة للبيان.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: ما: النّافية وللتعليل والتّوكيد، على قلة شكركم المنعم، قليلاً ما تشكرون: أيْ: مقدار شــكركم قليل أو عدد الشّاكرين قليل، قليل: نكرة تفيد التّقليل، ما: لتوكيد القلة. ارجع إلى ســورة الأعــراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشكر.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ذرأكم: من ذرأ: والذرء هو النشر والتّكاثر والانتشار في الأرض وأصل الذرء: الإظهار أيْ: أظهركم بالتّوالد والتّكاثر، في الأرض: في: ظرفية مكانية.

﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: إليه، تقديمها يعني: الحصر أيْ: إليه خاصة لا لغيره، تحشرون: من الحشر وهو الإخراج من القبور، ثمّ السّوق والجمع في أرض المحشر للحساب والجزاء، وفي آيات أخرىٰ يقول تعالىٰ: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فذكر الحشر مع الذرء للدلالة علىٰ عظمة قدرته، فهو قادر علىٰ جمعكم أينما كنتم.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: الكافرون يقولون: بصيغة المضارع للدلالة علىٰ تكرار وتجدُّد سؤالهم لرسول الله ﷺ ولم يقل وقالوا.

﴿مَتَىٰ﴾: استفهام يحمل معنىٰ الاستهزاء والاستبعاد، متىٰ ظرفية زمانية.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يشير إلىٰ يوم القيامة أيْ: متىٰ يوم القيامة أو متىٰ هذا الحشر والحساب.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن: شرطية تفيد الشّك وقلة الحدوث، صادقين في وعدكم، أيْ: نشك في كونكم صادقين بما تخبرونا عن يوم الحساب والبعث والنّشر.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ أيْ: للكافرين.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: لا أعلم الغيب، والله وحده الذي يعلم متىٰ سيقع.

﴿وَإِنَّمَآ﴾: مثل السّابقة، تكرارها يفيد التّوكيد وتفيد الحصر.

﴿أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾: نذير: من الإنذار وهو الإعلام والتّحذير والتّخويف، نذير: صيغة مبالغة من أنذر، نذير مبين: أنّ الساعة واقعة لا محالة. ومبين تعني نذير لكلّ فرد، وإنذاري واضح وبين بالرجوع إلىٰ الله وبالتّوبة إليه والإيمان به واتباع رسوله ﷺ والذي أُنزل إليه أي: القرآن.

❖❖❖

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٧

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

سورة الملك [الآيات ٢٧ - ٣٠]

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: لما: ظرف بمعنىٰ حين متضمن معنىٰ الشّرط.

﴿رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: الهاء في رأوه تعود علىٰ الوعد وهو يوم القيامة والعذاب الذي يستبعدون حدوثه كأنّه قد حدث وانتهىٰ، رأوه فعل ماض مع كونه لم يحدث بعد؛ لأن الله سبحانه خالق الزمن، ويوم القيامة قريب جداً، يصف لنا الرّب سبحانه حالتهم عند رؤية العذاب يوم القيامة.

﴿زُلْفَةً﴾: اسم مصدر للفعل أزلف أيْ: قرب، وزلفىٰ: قربىٰ.

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: سيئت وجوه الذي كفروا من رؤية العذاب بأن ظهر عليها الكآبة والذّلة وتغير لونها، ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم:٤٣].

﴿وَقِيلَ﴾: القائل مبني للمجهول، ولا يهم.

﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلىٰ العذاب أو يوم البعث.

﴿كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾: تدعون أنّكم لا تبعثون أو هذا هو العذاب الذي كنتم تطلبون أن يحل بكم في الدّنيا أو تنكرون حدوثه وتستهزؤون به، تدعون مشتقة من الدّعاء وهو الطّلب أو مشتقة من الدّعوىٰ أنّكم لا تبعثون.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ.

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أيْ: أخبروني بعلم ودراية أيها الكفار، والهمزة: للاستفهام والتّقرير، أرأيتم من الرّؤية وهي رؤية قلبية ورؤية بصرية.

﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾: إن: شرطية، أهلكني الله ومن معي من المؤمنين بالموت أو بحرب أو بمصيبة أو كارثة أو أيِّ سبب، أو رحمنا: أو للتخيير، رحمنا: بتأخير الأجل أو الإهلاك أو العذاب.

﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: من استفهامية بمعنىٰ التّقرير أيْ: لا أحد.

﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: يجير الكافرين أيْ: يمنعهم أو ينجيهم من عذاب أليم: شديد الإيلام لا يقوىٰ علىٰ تحمله أحد.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ لهؤلاء الكفار وغيرهم.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: هو: ضمير فصل يفيد الحصر: الرحمن اسم من أسماء الله الحسنىٰ مشتق من الرّحمة التي هي صفة عامة تشمل باقي صفات الرّحمة، آمنا به: وحده ولا نشرك به شيئاً، انظر كيف أخر (به)، ولم يقدِّم (به) علىٰ (آمنا)؛ لأنّ الإيمان بالله لا يكفي وحده، بل لا بُدَّ من الإيمان بالملائكة والرّسل والكتب واليوم الآخر. وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: وعليه توكلنا كيف قدَّم عليه وأخر توكلنا ولم يقل توكلنا عليه ليفيد الحصر حصر التوكل علىٰ الله تعالىٰ وحده، أما الأيمان فلا ينحصر بالله وإنما يشمل الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان عن التوكل.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، ستعلمون: السّين للاستقبال القريب أيْ: ستعلمون قريباً.

﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: من: اسم موصول بمعنىٰ الذي، هو: ضمير فصل

يفيد التّوكيد، فـي: ظرفية، ضلال مبين: ضلال. ارجع إلـى الآية (٩) من نفس السّورة، ومبين أي:

١ - ضلال بين لكلّ مخلوق.

٢ - وضلال بين بنفسه ظاهر للعيان لا يحتاج إلى برهان أو دليل.

[٣٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٨).

﴿أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾: ذاهباً في الأرض؛ أي: غائراً لا تصله الدّلاء أو نضب، أو قل ماء الآبار أو غار في الأرض، وكانوا يشربون من بئر زمزم أو غيرها.

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾: فمن: للاستفهام، يأتيكم بماء معين أيْ: ظاهر تراه العيون أو يمكنكم الوصول إليه واستخراجه، الجواب الله سبحانه وحده القادر على الإيتاء به.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٧

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

سورة القلم [الآيات ١ - ١٥]

وتسمّىٰ سورة (ن) ترتيبها في القرآن (٦٨) وترتيبها في النّزول من أوائل السّور، قيل: نزلت بعد سورة العلق (اقرأ) وسورة المزمل والمدثر أيْ: ترتيبها في النزول (٤).

ورُوِيَ عن ابن عبّاس أنها نزلت بعد سورة اقرأ (العلق) أيْ: ثاني سورة نزلت، ثمّ نزل بعدها المزمل والمدثر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾:

﴿نٓ﴾: من الحروف المتقطعة التي وردت في أوائل السّور وهذه الحروف التي عددها (١٤) حرفاً من حروف الهجاء التسع والعشرون والتي جمعت في جملة (نص حكيم قاطع له سر) أو (نص حكيم له سر قاطع) استأثر الله سبحانه بعلمها ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة للبيان. وقيل: (ن) الدّواة (المحبرة) والدّواة في عالمنا الحاضر قد تشمل الآلة الكاتبة والكمبيوتر وكلّ أدوات الطّباعة. وقيل: (ن) الحوت الأزرق الذي التقم يونس وبقي في فمه. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (٤٢) للبيان.

ورُوِيَ عن ابن عبّاس: إنّ أول شيء خلقه الله القلم، ثمَّ قال: اكتب ما هو كائن من الأقدار والأعمال والآثار والأرزاق والآجال، وما سيجري في الكون والخلق، فجرىٰ بما يكون من ذلك اليوم إلىٰ يوم القيامة أو إلىٰ أن تقوم السّاعة.

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾: الواو واو القسم ولا يقسم الله سبحانه إلا بشيء عظيم وهو غني عن القسم والقسم يشير إلى أهمية المقسم به وأهمية جواب القسم، أقسم الله تعالى بالقلم والقلم اسم جنس، القلم الذي يُكتب به وهو أوّل شيء خلقه الله تعالى والقلم يشمل آلات الكتابة والطباعة والكمبيوتر، وما يُخط به وما يخرج لنا العلم في كلّ يوم من مخترعات حلت محل القلم.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: ما لغير العاقل، يسطرون: يخطون ويكتبون، ما تكتبه الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم، أو كل ما يكتبه العباد؛ لأنهم مسؤولون عما يسطرون.

ما: اسم موصول بمعنى الذي يسطرونه أو مصدرية بمعنى مسطورهم.

وفي هذه الآية إشارة إلى عظم نعمة القلم وانتشار العلم والمعارف بين الأفراد والأمم ووسيلة من هم وسائل البيان، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤].

وجواب القسم قيل: ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وقيل: الثّلاث آيات (٢) ما أنت بنعمة ربك بمجنون، (٣) وإن لك أجراً غير ممنون، (٤) وإنّك لعلى خلق عظيم.

[٢] ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾:

﴿مَآ﴾: النّافية.

﴿أَنتَ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: بنبوة ربك الباء باء الإلصاق والمصاحبة وقيل: باء السّببية، أيْ: بسبب ما أوحي إليك بسبب النّبوة أصبحت مجنون كما يزعمون أو هو ردٌّ على افتراء كفار مكة أمثال الوليد بن المغيرة والنّضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة

وغيرهم؛ حين قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، أو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١].

﴿بِمَجْنُونٍ﴾: الباء للتوكيد أيْ: نفي الجنون عنه ﷺ.

[٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: الواو عاطفة، إنّ للتوكيد.

﴿لَكَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق والكاف للخطاب، لك يا محمّد.

﴿لَأَجْرًا﴾: اللام للتوكيد، أجراً: الأجر هو جزاء العمل، لأجرّ ما تحملت من أعباء النّبوة وإبلاغ الرّسالة.

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: غير: تفيد النّفي، غير ممنون: غير مقطوع، بل هو مستمر يقال: مَنَنْتُ الحبل إذا قطعته، وغير ممنون: من المن كقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤] أيْ: غير ممنون به عليك أيْ: هذا الأجر تستحقه ولا نمنُّه عليك.

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّكَ﴾: الواو عاطفة، إنّك للتوكيد.

﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: اللام للتوكيد، علىٰ: تفيد العلو أو الاستعلاء أي: التّمكن بدلاً من قوله: ذو خلق عظيم، كأن الخُلق مطية وهو مستعل عليها.

خلق عظيم: كما فسرته عائشة رضي الله عنها حين سُئلت عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن، فقد أجملت الخلق العظيم لرسول الله ﷺ بقولها خلقه القرآن أيْ: أنّه يأتمر بأمره ربه وينتهي بنواهيه، فكان رسول الله ﷺ أحسن

النّاس خُلقاً فكان أوسع النّاس صدراً وأوفاهم ذمة وأكرمهم عشرة لم يكن ﷺ فاحشاً ولا سباباً ولا لعاناً كان عظيم الحلم والعفو شديد الصّبر على المكاره ما أذى أو ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط لا امرأة ولا خادماً، وكان رفيقاً بالنّاس متواضعاً وأجود النّاس، وكان شديد الحياء شجاعاً وأزهد النّاس وأعدلهم وأشد النّاس وقاراً ومهابة.

[٥] ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾:

﴿فَسَتُبْصِرُ﴾: الفاء: للتوكيد، ستبصر: السّين للاستقبال القريب أيْ: ستعلم وسترى يا محمّد ﷺ عن قريب.

﴿وَيُبْصِرُونَ﴾: ولم يقل: سيبصرون إنما يبصرون أيْ: يعلمون اليوم وغداً ويوم القيامة من المجنون، وفي الآية تهديد ووعيد، وتدل على التجدُّد والتكرار.

[٦] ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾:

﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾: المجنون، والمفتون الذي أصيب بفتنة أدت إلى ذهاب عقله وأصبح مختل العقل وقيل: المفتون الضّال.

﴿بِأَيِّيكُمُ﴾: الباء: للتوكيد، أيكم: أيّ استفهامية، أيكم: أي الفريقين المفتون (المجنون) أنت أو هم، أيْ: هؤلاء الذين يتهمونك بالجنون.

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ﴾: إنّ للتوكيد، ربك: خالقك المتولي أمورك ومربيك، هو تفيد التّوكيد.

﴿أَعْلَمُ﴾: على وزن أفعل صيغة مبالغة من علم يعلم عالم.

﴿بِمَن﴾: البـاء للإلصاق والتّوكيد، من: اسـم موصـول بمعنىٰ الذي أو استفهامية.

﴿ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: ضل: انحرف وعدل عن الصّراط المسـتقيم أو الحق والصّواب، عن سبيله: عن دينه، أيْ: إنّ ربك يعلم من هو الضّال المفتون منكم.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: وهـو للتوكيد، أعلم بالمهتديـن: جمع مهتدٍ أي: السّـائر علىٰ دينه والمتبع هديه، وفي هذه الآية إنذار لكلّ من يضل عن دين الله وبشرىٰ لمن يسير علىٰ الصراط المستقيم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾:

بعد أن وصف الله سـبحانه رسـوله بالخلق العظيم ينتقل سبحانه ليصف هؤلاء المشركين الذين اتهموه بالجنون بعشر صفات.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية.

﴿تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: رؤسـاء قريش من المشـركين أمثال الوليد بن المغيرة والنّضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة والأخنس بن شـريق والأسود بن عبد يغوث وغيرهـم، المكذبين: بآيات اللـه والقرآن والوحـي، أي: الضّالين والمكذبين بنبوتك.

[٩] ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾:

﴿وَدُّوا۟﴾: من الود: تمنوا.

﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾: لـو: للتمني، لو تلين وتسـتجيب لمطالبهم بأن لا تعيب علىٰ آلهتهم أو تذكرها بسوء، والمدهن: هو الذي يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئاً

من دنياه، والمداري من المداراة: هو من يتنازل عن شـــيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه، فالمداهنة محرمة والمداراة جائزة.

﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾: أيْ: لو تلين فيلينون لك؛ أي: لو تعبد آلهتهم فيعبدوا الله، وجاء الرّد بعدم الاستجابة لهم والإعراض عنهم.

[١٠] ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾:

بعد النّهي عن إطاعة المكذبين بشكل عام يعود الحق سبحانه وينهىٰ رسوله عن إطاعة بعض الأفراد وصفهم بصفات معينة من أمثال الوليد بن المغيرة فقال:

﴿وَلَا تُطِعۡ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨).

﴿كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾: حلاف: كثير الحلف بالباطل، حلاف: صيغة مبالغة من اســـم الفاعل علىٰ وزن فعال، مهين: تحمل معاني كثيرة، كذاب، حقير، رديء، دنيء، ذليل، ضعيف الرّأي، مهين مشتقة من المهانة: الحقارة والذلة.

[١١] ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾:

﴿هَمَّازٖ﴾: عياب طعان مغتاب يعيب علىٰ النّاس ويطعن فيهم وبحضورهم، اللماز: هو الذي يعيب ويطعن في النّاس في غيابهم.

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾: من النّميمة أيْ: يمشي بين النّاس بالنّميمة وهي نقل الكلام للإفساد بين النّاس وإثارة الفتن.

[١٢] ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾:

﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾: بخيل، والخير: المال أو الإسلام والخير هو الشّيء الحسن النّافع ومنـــاع للخير: يمنع النّاس مـــن الإنفاق والدّخول في الإســـلام والعمل الصّالح.

﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: معتد على النّاس بالظّلم والطغيان متجاوز حدوده في ظلم النّاس في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، أثيم: كثير الإثم وارتكاب الفواحش والذّنوب.

[١٣] ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾:

﴿عُتُلٍّ﴾: غليظ جاف، عتل: مشتقة من عَتَلَهُ يعتلُهُ: إذا جره بعنف وغلظة.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: وبعد كلّ هذه الصّفات الرّذيلة الرّديئة.

﴿زَنِيمٍ﴾: ليس له أهل أيْ: لا يُعرف أباه أو ليس من القوم يعرف بالشّر والسّوء كما تعرف الشّاة بزنمتها، وهي قبضة الشّعر المتدلية من عنق المَعز: أو لحيتها.

[١٤] ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾:

﴿أَن﴾: مصدرية للتعليل والتّوكيد.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: أيْ: دفعه كثرة ماله وكثرة ولده للإعراض عن آيات الله والتّكذيب بها، قيل: كان للوليد بن المغيرة (١٠) أولاد.

[١٥] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وزمانية بمعنى حين.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: تقرأ عليه آيات القرآن أو يسمع بها يقول:

﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: جمع أسطورة: أيْ: أكذوبة من أكاذيب الأولين أو أباطيلهم.

❖ ❖ ❖

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

سورة القلم [الآيات ١٦ - ٤٢]

[١٦] ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾:

الخرطوم يعني: الأنف، سنسمه: السين للاستقبال القريب، سنسمه: مشتقة من السمة وهي العلامة الفارقة كل من رآه عرفه.

والوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم موضع في الوجه والعرب تجعل الأنف مكان الحمية والعز واشتقوا منه الأنفة، ويقال للذليل: جدع أنفه أو رغم أنفه، والسّمة العلامة التي لا يمحى أثرها، والوسم يكون عادة بالنّار.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: أيْ: بالسّيف على أنفه، مما يؤدي إلى جرح يترك تليف في الأنسجة وتبقى آثاره إلى الممات، وقيل: وقع ذلك في معركة بدر وبقي مخطوماً على أنفه حتّى مات.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿بَلَوْنَٰهُمْ﴾: بلوناهم من الابتلاء والابتلاء قد يكون في الخير أو الشر وغايته لاستخراج ما عند المبتلَى من طاعة أو معصية، بلوناهم أيْ: أهل مكة، بلوناهم بالقحط والجوع حتّى أكلوا الجيف والفقر لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله ورسوله.

﴿كَمَا﴾: الكاف للتشبيه.

﴿بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: الجنة (بستان) قيل: كانت بأرض اليمن وكانت لرجل مؤمن يؤدي حق الله تعالى فيه بالصدقة والزكاة، فلما مات ورثها أولاده فعزموا على أن يمنعوا حق الله منها.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي بمعنىٰ حين.

﴿أَقْسَمُوا﴾: أقسموا بالله، ولم يقل: حلفوا بالله، الحلف: في القرآن يأتي في سياق الكذب وعدم الوفاء بما حلف، فهؤلاء كانت نيتهم صادقة علىٰ قطف ثمار الجنة مصبحين، ومن دون أن يعلم بها الفقراء. ارجع إلىٰ سور التوبة آية (٥٦) لمزيد من البيان في الفرق بين القسم والحلف.

﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: اللام لام التّوكيد، والنّون في يصرمنها لزيادة التّوكيد، أيْ: يقطفن ثمارها من الصّرم: وهو القطع.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: حين دخول وقت الصّباح، أيْ: يقطعن ثمارها بدخول الصّباح قبل أن يستيقظ المساكين الفقراء ويأتوا لطلب المساعدة أو الصّدقة.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾:

حصة المساكين كما كان يفعل أبوهم أيْ: يخرجون الزّكاة حق الله في أموالهم، وهناك من فسر (ولا يستثنون) أيْ: لم يقولوا: إن شاء الله (وهو الراجح).

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾:

﴿فَطَافَ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب.

﴿عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: عليها وحدها حصراً بها، لم يحدد سبحانه ما هو الطّائف أو البلاء والطّائف لا يكون إلا ليلاً ويكون شراً. قيل: كانت نار فاحترقت مثل إعصار فيه نار أو صاعقة من السماء.

﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: يدل علىٰ شدة عقابه وسخطه.

﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾: أي: ليلاً وأصحاب الجنة والمساكين، كلّ أهل القرية الكلّ كان نائماً لم يشعروا بما حدث.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾:

﴿فَأَصْبَحَتْ﴾: الفاء للتعقيب، أصبحت: تحولت الجنة.

﴿كَالصَّرِيمِ﴾: أصبحت كالرّماد الأسود أو الليل الأسود، أو أصبحت قد صرم (قطع) ثمارها أيْ: قطفت ثمارها، أيْ: لم يبقَ من ثمارها شيء يقطع أو يُحصد أيْ: أتلفت ثمارها عن بكرة أبيها.

[٢١] ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾:

﴿فَتَنَادَوْا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، تنادوا: أيْ: نادىٰ أصحاب الجنة (أي: الإخوة) بعضهم بعضاً أو أيقظ بعضهم بعضاً.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: حين دخل وقت الصبح تنادوا قائلين وهم لا يعلمون أن جنتهم قد احترقت أو دُمرت.

[٢٢] ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾:

﴿أَنِ اغْدُوا﴾: أن للتوكيد، اغدوا؛ أي: اخرجوا (امضوا) مبكرين إلىٰ جنتكم.

﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾: ثماركم وزرعكم.

﴿إِن كُنتُمْ﴾: إن شرطية تفيد الشّك أو النّدرة.

﴿صَارِمِينَ﴾: جادين في قطف ثمارها وحصدها.

[٢٣] ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾:

﴿فَانطَلَقُوا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، انطلقوا إلىٰ جنتهم لقطف ثمارها أيْ: ساروا إلىٰ جنتهم.

﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾: هم للتوكيد، يحدث بعضهم بعضاً بشكل الهمس حتّىٰ لا يسمعهم أحد، ولا يشعر بهم، وهم في طريقهم لجني ثمار جنتهم.

[٢٤] ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾:

﴿أَن لَّا﴾: للتعليل والتّوكيد، لا النّافية.

﴿يَدْخُلَنَّهَا﴾: النّون في يدخلنها للتوكيد والهاء يعود إلى الجنة.

﴿الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾: أيْ: لا يدخلها اليوم عليكم ولا مسكين واحد كما كانوا يدخلونها على أبيكم عندما كان حياً أيْ: يحضرون لأخذ الصدقة أو الزكاة. والمسكين: هو من يملك ما لا يكفيه.

[٢٥] ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾:

﴿وَغَدَوْا﴾: خرجوا مبكِّرين.

﴿عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾: الحَرْد: القصد أيْ: ساروا مبكِّرين وهم قاصدون حرمان أيِّ مسكين، والحرد: يعني المشي بسرعة ونشاط، والحرد: من حَرَدَ إذا تنحَّى عن قومه وانفرد عنهم ورجل حريد: وحيد والحرد: الزعل والانتقام.

فكلمة الحرج جمعت المعاني الثّلاث، أيْ: خرجوا منفردين لا يعلم بهم أحد، وخرجوا مسرعين بجد ونشاط ومصمِّمين أو عازمين أو ناقمين على حرمان أيِّ مسكين من ثمرها.

قادرين: أيْ: لن يحول بينهم وبين جنتهم أحد يمنعهم ظنوا أنهم قادرون تنفيذ ما عزموا عليه.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين رأوها.

﴿رَأَوْهَا﴾: كالصّريم الليل الأسود أيْ: محترقة كالرماد الأسود.

﴿قَالُوا﴾: ما هذه جنتنا.

﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾: اللام في لضالون للتوكيد، أيْ: إنا ضللنا الطّريق أو أخطأنا

الطّريق، ضالون: جملة اسمية تفيد الثّبوت حقاً إنا قد أخطأنا الطّريق من شدة الصدمة.

[٢٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: بل للإضراب الانتقالي.

أيْ: لما أدركوا وتبيَّنوا أنّها جنتهم قد تحولت إلى رماد أسود واستيقنتها أنفسهم.

قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: محرومون منها أيْ: من خيرها وثمرها؛ لأننا حرمنا (منعنا) المساكين والفقراء من نصيبهم. عندما قالوا ذلك، عندها قال أو تكلَّم أوسطهم فقال:

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾:

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أيْ: أفضلهم وأرجحهم عقلاً أو أقربهم للتقوى (أعدلهم).

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري.

﴿أَقُل لَّكُمْ﴾: لكم خاصة أيْ: عندما عزموا ليصرمنها مصبحين، هلا تستثنون أيْ: تقولون: إن شاء الله.

﴿لَوْلَا﴾: للحثِّ والحضِّ.

﴿تُسَبِّحُونَ﴾: تخافون الله أو أطلق لفظ التّسبيح على الاستثناء؛ أي: القول (إن شاء الله) والاستثناء جزء من التّسبيح، أو تسبحون: تنزيه لله عن الشّرك والعيب والنّقص، أو أنه سبحانه بحاجة على زمانكم أو أموالكم، وبما أنّهم لم يقولوا: إن شاء الله فهم ظنوا أن قدرتهم تكفي، لولا تسبحون، تستغفرونه على ما عزمتم عليه.

[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: أيْ: ننزه ربنا أن نشرك به أو سبحان ربنا فيما صنع بجنتنا.

﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: أي: اعترفوا عندها بذنبهم إنا كنا ظالمين حين منعنا أو حرمنا المساكين حقهم الذي فرض الله لهم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾:

بدأ بعضهم يلوم بعضاً على خطئهم ونيتهم السّيئة في حرمان المساكين حقهم وعدم الاستثناء (عدم قولهم: إن شاء الله)، واللوم: يعني عدم الرضا عما فعلوا، واللوم: هو تنبيه الفاعل على ما وقع في فعله من ضرر أو أمر غير مستحسن.

[٣١] ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾:

﴿يَا وَيْلَنَا﴾: الويل الهلاك والعذاب، والعرب تستعمل كلمة الويل لكلّ من وقع في هلكة أو فضيحة أو حسرة، والويل مصدر لا فعل له لا يثنى ولا يجمع، والقول: يا ويلنا تستعمل للتحسر على غفلة وقيل: واد في جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾: طاغين من طغى: جاوز الحد وأسرف في الظّلم أو المعاصي أو الكفر، كما في قوله: إنّها لما طغى الماء حملناكم في الجارية: ارتفع الماء وتجاوز الحد المعين وسبب الفيضان.

فهناك منهج رباني هو الغني يعطي الفقير حقه زكاته أو صدقة ماله والقوي يساعد الضّعيف والعالم يعلم الجاهل وهكذا.

وهناك المنهج الطّغياني: أن تأتي إلى الفقير وتأكل أو تأخذ من أجرته أو لا تعطيه حقه؛ لكي تزداد غنى، وهو يزداد فقراً، والمصيبة أحياناً أنّك لم تتركه بحاله لا بل تحاول أن تأخذ من الضّعيف أو الفقير حقّه ويا ليت تركته على حاله وضعفه فهنا أصبح الظّلم ظلمين أوّلاً لم تعطه أجرته أو حقه، كما هو المفروض،

أو طلبت منه أن يعمل لك زمناً من دون أجر لتغنى أنت، وهذا ظلم آخر أيْ: ظلمٌ مركب.

إنا كنا طاغين: أيْ: حين منعنا المساكين من حقهم وحاولنا أخذه ولم نشكر نعمة الله علينا فقد كنا طاغين.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾:

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ﴾: عسى: فعل رجاء والأمر المرجو بعدها مطموع في حصوله عن قريب أو بعد مدة قد تطول وعسى أداة ترجي سواء كان الأمر محبوباً أو مكروهاً.

﴿أَن﴾: تدل على الاستقبال أو مؤذنة بمجيء الفعل.

﴿يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾: بعد الاعتراف بذنبهم رجعوا إلى ربهم ويبدو أنّهم تابوا وأخلصوا نيتهم ودعوا الله أن يبدلهم خيراً منها أيْ: من جنتهم.

يبدلنا: الإبدال: هو رفع الشّيء ووضع شيئاً آخر مكانه.

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾: جمع راغب: طالب العفو والخير يقال: رغب إلى فلان في كذا، أيْ: سأله إياه، أيْ: سائلون إياه العفو وأن يبدلنا خيراً منها.

وقيل: إنّ الله سبحانه أبدلهم بها خيراً منها، كما رُوِيَ عن مجاهد وابن مسعود.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تعني مثل ذلك أو أيضاً أو هي كتلك، كذلك: الكاف كاف التّشبيه، ذلك: اسم إشارة يشير إلى العذاب الذي أصاب أصحاب الجنة، وأهل مكة، مثل ذلك العذاب سيصيب كلّ من طغى وعصى أمر الله تعالى.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: اللام للتوكيد، عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدّنيا على

وزن أفعل، أكبر أيْ: أشد وأدوم (لأنّ عذاب الدّنيا محدود بالأجل) وعذاب الآخرة أبدي لا يحول ولا يُبدل ولا يخفَّف.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو: شرطية، كان يعلمون: أي: الكفار أو المشركين أو الظّالمين والطّاغين أو تعني لو كانوا يعلمون ذلك لعادوا إلىٰ رشدهم وتابوا.

[٣٤] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾:

ثمّ ذكر الله سبحانه ما للمتقين عند ربهم فقال:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ للتوكيد، للمتقين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في الآخرة.

﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: نوع من الجنات، مثل جنات الفردوس، جنات عدن، أو تعني وصفاً عاماً لكلّ الجنات.

[٣٥] ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾:

المناسبة: كان زعماء قريش حين يسمعون الآيات التي تتحدث عن الآخرة وما وعد الله سبحانه المسلمين والمؤمنين يقولون: لنُعطَىٰ في الآخرة أفضل مما يُعطينا ربنا في الدنيا أو علىٰ الأقل مثل ما نُعطَىٰ في الدنيا.

﴿أَفَنَجْعَلُ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وتقرير، أيْ: إنكار التّسوية بين المسلمين والمجرمين، أيْ: كيف نساوي بين المسلمين والمجرمين في الأجر والثّواب.

﴿الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾: كيف نساوي بين المطيع والعاصي، ثمّ يذكر الله سبحانه سبع استفهامات إنكارية توبيخية تنفي أيَّ دليل أو برهان علىٰ التّسوية بين المجرمين والمسلمين وقدَّم المسلمين علىٰ المجرمين. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ المجرمين.

وأصل الكلام: أفنجعل المجرمين كالمسلمين، تشبيه مقلوب وحين يقلب التشبيه فهو للفت الانتباه ويكون أبلغ.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾:

﴿مَا لَكُمْ﴾: ما: للاستفهام الإنكاري، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام للتعجب، والسؤال عن الحال.

﴿تَحْكُمُونَ﴾: هذا الحكم غير العادل أو الدليل العقلي لا يقبل بذلك الحكم أيضاً.

[٣٧] ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ، وأم المنقطعة: أيْ: للإضراب الانتقالي.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: كتاب منزل من السّماء، تدرسون: أيْ: تقرؤون وفيه حكم مؤكد بالتّسوية بين المطيع المسلم والعاصي المشرك الكافر.

[٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَكُمْ فِيهِ﴾: أيْ: وذكر لكم فيه أن لكم في الآخرة ما تشتهون وما تختارون.

﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: من تخير الشّيء: أيْ: أخذ خيره.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري أم: للإضراب الانتقالي

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة وليس لغيركم.

﴿أَيْمَنٌ عَلَيْنَا﴾: أيْ: أقسمنا لكم أو لكم عهود مؤكدة عند الله موثقة أو حلف لكم الله تعالىٰ أو أقسم لكم: إنّ لكم لما تحكمون أيْ: تقضون لأنفسكم أو تختارون لأنفسكم الحكم الذي تريدونه.

﴿بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أيْ: سارية المفعول أو ثابتة إلىٰ يوم القيامة.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾: إنّ تفسيرية تفيد التّوكيد أيْ: سننفذ الحكم الذي تصدرونه لأنفسكم من الخير والكرامة، فيها توبيخ وتهكم لما يزعمونه.

[٤٠] ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾:

﴿سَلْهُمْ﴾: يا محمّد، أيْ: سَلِ الكفار.

﴿أَيُّهُم﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿بِذَٰلِكَ﴾: الباء للإلصاق، ذلك: اسم إشارة يعود إلىٰ الحكم أو أنّ لهم ما يحكمون.

﴿زَعِيمٌ﴾: أي: المتكفل بأمورهم الضّامن أو المتكلم نيابة عن القوم بأنّ لهم ما للمسلمين من ثواب وأجر.

[٤١] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿أَمْ لَهُمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام والإنكار والتوبيخ، لهم: لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿شُرَكَآءُ﴾: شركاء لله بزعمهم مثل الأصنام والأنداد والآلهة أعطوهم الوعد أو العهد أن يحققوا ذلك لهم ويعطوهم ما سيُعطىٰ للمسلمين أو تعني: هل هناك أناس يشاركونهم في هذه الدّعوىٰ ويشهدون لهم بذلك.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾: الفاء للمباشرة والتّرتيب.

﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾: إن: شرطية تستعمل للأمر الذي فيه شك.

كانوا صادقين: في زعمهم وشهادتهم وإضافة الشّركاء لهم فقال: بشركائهم لادعائهم بأنّهم شركاء (وهم ليسوا بشركاء)؛ أيْ: هم كاذبون.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾:

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النّبي ﷺ يقول: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كلّ مؤمن ومؤمنة، ويبقىٰ من كان يسجد في الدّنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً) أيْ: غير قادر علىٰ السجود.

هذا تأويل أوّل، أمّا التّفسير الثّاني: يوم يكشف عن ساق: فتعني يوم يشتد الأمر والخطب أيْ: يوم القيامة (أي: البعث).

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هذه استعارة تمثيلية كشف السّاق والتّشمير عنها يحدث إمّا لخوض لجة ماء أو نهر أو للجري بسرعة، فحين يشتد الخطب يوم القيامة ويعظم الأمر يسجد كلّ مؤمن ومؤمنة لله تعالىٰ، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية:٢٨]، عندها يحاول المشركون والمنافقون السّجود أيضاً مع المؤمنين فلا يستطيعون حيث تصبح ظهورهم متصلبة كأنّها عظم واحد فلا يقدرون علىٰ السّجود، وإن قيل: لماذا يدعون إلىٰ السّجود في الآخرة، الجواب: يدعون توبيخاً وتعنيفاً وتذكيراً لهم علىٰ تركهم السّجود في الدّنيا وعندها يتمنون الاستطاعة علىٰ السّجود فلا يستطيعون، والله أعلم بهذا الأمر.

❖❖❖

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم
مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ
لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ
لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

ترتيبها ٦٩ آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٧

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ
وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ
سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ
كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

سورة القلم [الآيات ٤٣ - ٥٢]

[٤٣] ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾:

وتراهم حينذاك: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾: الخشوع يكون في الأبصار والأصوات، والخشـــوع يعني: الخوف والتعظيم، وأما الخضوع يكون في الجســـم أو البدن، والخشوع يمكن أن يبدأ في القلب، وقيل: الخشوع هو خوف الخاشع للمخشوع له وليس تكلفاً، وقيل: هو النظر إلى الأرض وخفض الصوت.

﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾: تغشاهم ذلة، ذل النّدامة والحسرة.

﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾: فـــي دار الدّنيا يدعون إلى الصّلاة بالآذان وغيره إلى الصّلوات المفروضة.

﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾: هم: للتوكيد، سالمون: من الأمراض معافون أصحاء لا مانع يمنعهم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ مع الآية (٧) من ســـورة القمر: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾:

خشـــعاً تفيد المبالغة والتّكثير في الخشوع الذي يصيب جوارحهم ويعني: الذل والانكسار، وشدة التنكير؛ ينكرون ما يرون؛ أي: لا يصدقون ما ترى أعيُنُهُم من شدة الهول والمقام.

هناك فرق بين الموقفين في الزّمن والنّاس: الموقف الأوّل: خشعاً أبصارهم يحدث بعد الخروج من الأجداث وكأنّهم جرد منتشـر، الموقف الثّاني: خاشعة أبصارهم يحدث في أرض المحشر، وقيل: خشعاً أبصارهم تعني كلّ الناس، أما خاشعة أبصارهم تعني: المنافقين.

[٤٤] ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَذَرْنِي﴾: الفاء للتوكيد، ذرني: دعني خلي بيني وبينهم أو اترك أمر هؤلاء المكذبين بهذا الحديث أي: القرآن، إليَّ ولا تشغل بالك بهم.

﴿وَمَن﴾: من: ابتدائية اسـم موصول للعاقل؛ من: تشـمل المفرد والمثنى والجمع، والذكر والأنثى.

﴿يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾: أي: القرآن الكريم وسمّي بالحديث كقوله ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾[الواقعـة: ٨١]، ولمعرفة لماذا سـمّي القرآن بالحديث ارجع إلى سورة الزمر آية (٢٣).

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الاسـتدراج مـن الدّرج وهو السّـلم للصعود أو النّزول، والاسـتدراج: أيْ: نملي عليهم بالنّعم الواحدة تلو الأخرى مثل الغنى والصّحة وغيرها، ويظنون أنّ الله راض عنهم فيزدادون كفراً وطغياناً وبعداً عن الله، فالاستدراج هو نوع من الكيد ويقربهم للهلاك، وهم لا يشعرون، كقولـه تعالـى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون بما يُدبر لهم من انتقام.

[٤٥] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾:

﴿وَأُمْلِي﴾: من الإملاء وهو الإمهال والتّأخير في العقوبة أو العذاب.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لهم خاصة.

﴿إِنَّ كَيْدِي﴾: إنّ للتوكيد، كيدي: من الكيد: التّدبير الخفي لإيقاع المكروه والمشقة بالغير قهراً سواء علم به أو لم يعلم والكيد أقوىٰ من المكر، إن كيدي: أيْ: تدبيري وأخذي.

﴿مَتِينٌ﴾: قوي شديد لا يطاق كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

[٤٦] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة استفهام إنكاري أم للإضراب الانتقالي.

﴿تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ علىٰ تبليغ الرّسالة، أيْ: أطلبت منهم أجراً لكي تبلغهم رسالة ربك، أو أجراً علىٰ هدايتك لهم فأعرضوا ولم يستجيبوا لك، أو سألتهم أجراً عظيماً أثقلهم ومنعهم من الدّخول في الإسلام والإيمان أو ثقل عليهم الحمل أو ذلك الأجر مما منعهم من الإيمان.

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: فهم خاصة، من: ابتدائية، مغرم: من الغرامة والغرم

ما يلزم أداؤه أو ما يدفع من المال كغرامة لمخالفة القانون أو عقوبة، أو شرع الله سبحانه.

[٤٧] ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾: اللوح المحفوظ أو ما كتب فيه من الغيب فهم مطلعون عليه ويقرؤون ما فيه.

﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: لا يحتاجون إليك لتبلغهم ما في القرآن؛ لأنّهم يعلمون الغيب أو يعلمون ما في اللوح المحفوظ ويكتبون منه ما يعلمونه.

[٤٨] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾:

﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: اصبر: علىٰ أذىٰ قومك وعنادهم وإعراضهم، واصبر علىٰ تبليغهم ودعوتهم إلىٰ الإيمان، واصبر حتىٰ يأتي أمر الله أو عذابه.

﴿وَلَا تَكُن﴾: الواو عاطفة، لا النّاهية، تكن: مثل صاحب الحوت في عدم الصّبر والضّجر والغضب إذ ذهب مغاضباً.

﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: يونس عليه السلام، الحوت: يطلق علىٰ السّمك الكبير مثل الحيتان الزرقاء ذات الوزن العظيم والحجم الهائل، وليس لها أسنان حادة وتتنفس الأوكسجين، وفي سورة الأنبياء وصفه بذي النّون. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء الآية (٨٧) للبيان، وسورة الصافات آية (١٤٦) للبيان.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين.

﴿نَادَىٰ﴾: دعا ربه وهو في فم الحوت.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مَكْظُومٌ﴾: اسم مفعول من كظم مملوء غماً وغيظاً علىٰ قومه؛ لأنّهم لم يؤمنوا، مأخوذة من الكظم. ارجع إلىٰ الآية (١٣٤) من سورة آل عمران للبيان.

[٤٩] ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾:

﴿لَّوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود لولا وجود نعمة ربك لنبذ بالعراء.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: تداركه جاءت بصيغة التّذكير ولم يقل: تداركته نعمة من ربه، وقيل: هذه النّعمة هي توفيقه للتسبيح وللتوبة وقبول توبته أيْ: تاب الله عليه.

﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾: النّبذ هو الطرح والإلقاء واللام للتوكيد، طرح من فم الحوت بالعراء: بالأرض الخالية من الشّجر والزّرع أو الخالية من النّبات، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ أنبت عليه شجرة من يقطين، كما بين ذلك في سورة الصافات آية (١٤٢) ارجع إلىٰ تلك الآية للبيان.

﴿وَهُوَ﴾: الواو للتوكيد، هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مَذْمُومٌ﴾: من الذّم، من ذم الشخص؛ أي: عابه ولامه وانتقصه، والذم يستحق العقاب على فعله.

[٥٠] ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، اجتباه: اختاره واصطفاه ربه ورد إليه الوحي والنّبوة.

﴿فَجَعَلَهُۥ﴾: الفاء: للتوكيد، والمباشرة؛ جعله: الجعل: التصيير.

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: من: ابتدائية؛ ارجع إلى الآية (١٣٠) من سورة البقرة.

[٥١] ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو استئنافية، إن: للتوكيد.

﴿يَكَادُ﴾: من أفعال المقاربة من كاد أيْ: قرب أو أوشك.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾: اللام والنّون للتوكيد، ليزلقونك: من الزّلق زلة القدم أيْ: يكادون ليزلون قدمَك (يُزلونك بأبصارهم) من شدة الغيظ والعداوة حتى تزلَ قدمُك أيْ: تسقط على الأرض أيْ: تصرع أو يصيبوا رسول الله ﷺ بأعينهم (عيون الحسد).

﴿لَمَّا﴾: ظرفية زمانية أيْ: حين.

﴿سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: سمعوا القرآن أو سمعوك تتلو آيات القرآن.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾: يقولون: بصيغة المضارع لاستمرار قولهم ذلك

وتجدُّده وتكرُّره، إنه لمجنون: للتوكيد، اللام للتوكيد، مجنون: مصاب بالجنون والخبل بسبب الوحي أو القرآن.

[٥٢] ﴿وَمَاهُوَإِلَّاذِكْرٌلِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَمَاهُوَإِلَّا﴾: الـــواو حالية تفيد التّوكيد، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد، إلا: حصراً.

﴿ذِكْرٌ﴾: أي: القرآن ذي الذكر؛ أي: فيه تذكير للعالمين.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، العالميـــن: الجن والإنس والملائكة، ولم يقل: ذكرىٰ للعالمين. ارجع إلىٰ الآية (٩٠) من سورة الأنعام لمعرفة الفرق بين الآيتين.

❖❖❖

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

ترتيبها ٦٩ آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٧

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۙ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

سورة الحاقة [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٦٩) وترتيبها في النّزول (٧٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾:

القيامة أو اسم من أسماء يوم القيامة أيْ: يوم تعرف الأمور على حقيقتها، أو تظهر فيه الحقائق من حساب وثواب، وينال كل إنسان حقَّه من خير وشرٍّ، ويتحقَّق فيه كل وعد ووعيد، ومن أسماء يوم القيامة الطامة، القارعة، الصاخة، الواقعة، الأزفة.

[٢] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾:

ما استفهام فيها معنى التّفخيم والتّهويل أيْ: ما هي الحاقة؟ أو هل تدرون ما حقيقة القيامة؟

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾:

تكرار ما للتوكيد والاستفهام والتهويل والتعظيم.

﴿أَدْرَاكَ﴾: أعلمك أو أخبرك ما الحاقة، أيْ: أنت لأعلم لك بكنهها

ومدىٰ عظمها وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، والخطاب موجَّه إلىٰ الرسول ﷺ، وأيضاً إلىٰ أمته.

الفرق بين ما أدراك وما يدريك: كل آية وكلّ شيء أو أمر أو خبر ذكر معه ما أدراك: فقد أدراه إياه، أيْ: أخبر الله به رسوله ﷺ وأعلمه ما هو، وبيَّنه له، وكلّ آية شيء أو أمر أو خبر ذكر معه يدريك لم يدره، أو يخبره الله به بعد مثل السّاعة.

[٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾: قبيلة ثمود أو قوم صالح عليه السلام ومنازلهم بالحجر بين الشّام والحجاز (مدائن صالح) وثمود هم عاد الثانية، وهم أتباع، أو من ذرية عاد الأولىٰ.

﴿وَعَادٌ﴾: قبيلة عاد أو قوم هود عليه السلام، ومنازلهم بالأحقاف ما بين عُمان وحضرموت باليمن، وهم عاد الأولىٰ وهم بقية من ذرية نوح.

﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾: بيوم القيامة، القارعة اسم من أسماء يوم القيامة، وسمِّيت بالقارعة: من القرع وهو الضّرب بشدة، تقرع القلوب بالفزع والأهوال، والباء للإلصاق. ارجع إلىٰ سورة القارعة آية (١-٥) لمزيد من البيان.

وبالقارعة: تعني: كذبت ثمود وعاد بالقارعة بأهوال القيامة والبعث والحساب.

بالقارعة التي حلَّت بهم في الدنيا، وبالقارعة التي ستحل بهم في الآخرة.

وتقديم قوم ثمود علىٰ عاد مخالفة للتّرتيب الزمني، فقد جاء قوم عاد قبل

قوم ثمود، وقد يكون التقديم للأقرب زمناً بالنسبة لزمن المتكلم أو لأنّ تكذيب ثمود بالنّاقة كمعجزة أشد من تكذيب قوم عاد، أو تكذيب ثمود بالقارعة أشد من تكذيب عاد بها.

[٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء تفريعية، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب.

﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾: الباء للإلصاق، الطّاغية: العقاب بالصيحة التي تعقبها الرجفة أو الزلزلة الشديدة فالأذن تتحمل شدة معينة من الصوت أعلاها (٧٠ ديسيبل) عندها يبدأ بالانزعاج، وعندما تصل شدة الصوت إلى (١٠٠ ديسيبل) أو أكثر واستمرت لفترة طويلة تؤدّي شدة الصوت لإتلاف الخلايا العصبية في الأذن الداخلية ويصاب الإنسان بالصمم العصبي.

والانفجارات الشديدة أعلى من (١٤٠ ديسبيل) قد تؤدّي إلى سكتة قلبية أو اضطرابات في نظم القلب، وبالتالي إلى توقفه، وخاصة أن قوم ثمود كانوا يعيشون في بيوت منحوتة من الصخر فكان صدى الصوت شديداً ورهيباً.

[٦] ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾:

﴿بِرِيحٍ﴾: الرّيح في القرآن تحمل معنى العذاب والرّياح تحمل معنى الرّحمة.

﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: ريح شديدة البرودة تؤدّي إلى انقباض الأوعية الدموية

وعدم وصول الدّم إلى أصابع اليدين والقدمين، وبالتّالي إلى موت الجلد والألم الشّديد، ثم إلى اضطراب القلب وتوقُّفه بسبب هبوط حرارة الجسم، صرصر: لها صوت الصّفير، الصّر: قد يعني البرد الشّديد أو شدة الصّوت.

﴿عَاتِيَةٍ﴾: متجاوزة كلّ حدود الطّاقة والسرعة على تحملها شديدة البرودة برودتها تجاوزت في حدتها وزمنها وسرعتها كلّ المعايير السّابقة.

[٧] ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾:

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: سلَّطها عليهم أو قدَّرها عليهم.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: حسوماً متتابعات أو تباعاً أو من الحسم: الاستئصال والقطع أيْ: تستأصل استئصالاً. وذكر سبع ليال وثمانية أيام ليؤكد لنا أن العقاب بالريح بدأ بالنهار وانتهى بالنهار؛ لكي يروه بأعينهم ولو جاء بالليل لكان أهون، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٩) في سورة القمر وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ يمكن الجمع بين الآيتين بالقول: إن العرب تعبر عن اليوم بالأيام كقولهم: (يوم بعاث)، و(في يوم نحس مستمر): يعني اليوم الذي بدأت به الريح تهب ثم استمرت ثمانية أيام حُسوماً.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾: فترى القوم في تلك الأيام والليالي صرعى: موتى ساقطين على الأرض، جمع صريع.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: جذوع نخل خالية الأجواف أو ساقطة، شبههم

بالنّخل السّـــاقطة بلا رؤوس وقيل: كانوا طويلي القامة يشبهون النّخل المنقعر: المنقلـــع والفارغ من داخله، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٠) في ســـورة القمر وهي قوله تعالـــى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: نجد أن كل منقعر خاوي، والخاوي: يشـــمل المنقعر وغير المنقعر. ارجع إلى سورة القمر آية (٢٠) لمزيد من البيان والفرق بين الآيتين.

[٨] ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾:

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: للاستفهام يفيد النّفي.

﴿تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾: من: الابتدائية باقية من البقاء أو هل ترىٰ لهم من أثر أيْ: هلكوا أو استأصلوا أجمعين.

❖ ❖ ❖

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ
ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ
عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

سكتة لطيفة على هاء ماليه

سورة الحاقة [الآيات ٩ - ٣٤]

[٩] ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾:

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾: ثمّ جاء فرعون ومن قَبْله؛ أيْ: من الأمم الكافرة.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾: المنقلبات، مشتقة من ائتفك انقلب، والمراد بالمؤتفكات: هي قرىٰ قوم لوط. قيل: كانت خمس قرىٰ: هي سدوم، وعمورية، ودرما، ومنع، وصعر، اقتلعها جبريل عليه السلام، ثمّ قلبها فجعل عاليها سافلها، والإفك هو الكذب المتعمَّد والانحطاط في السلوك.

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: بالأفعال الخاطئة ذات الخطأ وأسند الخطأ إلىٰ القرىٰ علىٰ سبيل المجاز، والمراد بها أصحابها مثل الشّرك والمعاصي والمنكر وإتيان الرجال شهوة.

[١٠] ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾:

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: عصت كلّ أمة رسولها أو كذبوا رسلهم ولم يقل: فعصوا رسل ربهم، وإنما قال: رسولَ ربهم؛ لأن الرسل رسالتهم واحدة فالرسل يمثلون الرسول والرسول يمثل الرسل.

﴿فَأَخَذَهُمْ﴾: الفاء فاء السّببية بصيغة المجهول وهو الله سبحانه، من الأخذ: وهو الانتقام أي: انتقم منهم فأهلكهم.

﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: أخذة شديدة زائدة في الشّدة من ربا الشّيء يربو زاد وتضاعف.

[١١] ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾:

﴿إِنَّا لَمَّا﴾: إنا: للتعظيم، لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿طَغَا الْمَاءُ﴾: حدث الطّوفان طوفان نوح طغا الماء: جاوز حده المعتاد في الارتفاع، كما قال تعالىٰ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١١-١٣].

﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أيْ: حملنا أجدادكم أو آباءكم نوح وذريته، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧]، في: ظرف، الجارية: الفلك أو السّفينة، والخطاب إلىٰ كفار مكة وغيرهم وقيل: حملناكم؛ لأنهم كانوا في أصلاب الذين نجوا من ذرية قوم نوح، كما أن كل البشرية كانت في صلب آدم وحواء.

[١٢] ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾:

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾: اللام للتوكيد، والضّمير يعود علىٰ الجارية (الفلك) أو عملية الإنقاذ أو إنجاء السّفينة وإغراق الكافرين أو تشمل كلّ ما حدث.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة أيها المسلمون.

﴿تَذْكِرَةً﴾: عبرة وموعظة أيْ: ذكرىٰ تذكرونها فتشكرون نعمة ربكم عليكم. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (١٥) لمزيد من البيان.

﴿وَتَعِيَهَا﴾: من الوعي: وهو الفهم والإدراك للحقيقة والغاية أو النتيجة والعبرة بعد سماع القصة أو الآيات فتذكرها وتقصها مراراً.

﴿أُذُنٌ﴾: جاءت بصيغة الإفراد والتّنكير للدلالة علىٰ قلة الأذان الواعية الحافظة لهذه الوقائع أو التي تعظ النّاس بقصة نوح.

﴿وَاعِيَةٌ﴾: أيْ: كلّ ما تحفظه في الذاكرة أو في نفسك وتذكره فقد وعيته والأذن الواحدة الواعية أهم بكثير من الآذان الكثيرة غير الواعية للحوادث

والأذن الواعية التي تؤمن بالله وتشهد بصدق محمد ﷺ وبصدق القرآن، فكان العثور على هذه السفينة من أعظم الدلائل على قدرة الله تعالى وعظمته.

[١٣] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء استئنافية، إذا: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ النّفخة قيل: النفخة الأول، وجاءت بصيغة التّنكير للتهويل والتّعظيم، والنّافخ هو إسرافيل عليه السلام، واحدة: للتوكيد.

[١٤] ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾:

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: أيْ: يوم تقوم الساعة أيْ: يبدأ التهدم الكوني فتحمل الأرض بما فيها الجبال وتدك دكة واحدة أيْ: تدق وتتكسر وتتفتت بعد الزلزلة والرجفة والرج والجبال تدك أيْ: تتفتت بعد أن ترجف مع الأرض وتسير وتنسف وتصبح كثيباً مهيلاً بعد مرحلة (وبست الجبال بساً) أيْ: فتتت، ثم تكون كالعهن، ثم كالسراب وتزول، وأما الأرض فيقبضها بيمينه سبحانه كل ذلك يحدث قبل خلق الأرض الجديدة والسموات، والتي تحوي على بقايا الأرض القديمة بما فيها القبور والأشلاء والعظام.

أيْ: سيخلق الله سبحانه أرضاً جديدة وسماء جديدة، والله سبحانه سيدك الأرض ليوسعها ويدك الجبال فيزيلها لكي تتسع هذه الأرض الجديدة للبلايين من البشر من زمن آدم إلى آخر من يخلق.

[١٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾:

فيومئذٍ: قامت القيامة أو الساعة أي: حين تدك الأرض والجبال وتتفتت وقعت الواقعة: اسم للقيامة أو للساعة.

[١٦] ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾:

وأما ما يحدث للسماء حين تقوم الساعة، فهو المور ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ

مَوْرًا ﴾ [الطور:٩]، ثم الانشقاق والانفطار، كقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١]، وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات:٩]، ثم تصبح واهية، ثم وردة كالدهان، وتطوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، ثم يخلق سبحانه سموات جديدة.

﴿وَاهِيَةٌ﴾: ضعيفة غير متماسكة بعد أن فقدت قواها الجاذبية والمغنطيسية والكهربائية بعد أن كانت محكمة كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧]، ولذلك سبحانه ذكر كلمة انشقت في عدة آيات ليدل علىٰ شدة تماسك وبناء السموات بقوة التي وصفها سبحانه ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦]، ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت أو فطور، ويومئذ تفتح السماء فتكون أبواباً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾[النبأ:١٩]، أيْ: طرقاً ومسالك لنزول الملائكة.

[١٧] ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾:

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: المراد به اسم الجنس جنس الملائكة.

﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: أطرافها جمع رجا أيْ: جانب أيْ: جوانبها وحافاتها فبعد أن كانت السّماء مكانَهم ومستقرَّهم انشقت وانفطرت صاروا إلىٰ أطرافها وجوانبها ينتظرون الأمر بالنّزول إلىٰ أرض المحشر ليحيطوا بالمخلوقات أو ينتظرون أمر ربهم.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: حمل العرش مجاز، ولا يعلم به إلا الله، فوقهم: أيْ: يرىٰ الناس عرش ربهم فوقهم يحمله ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾: نكرة ثمانية من الملائكة أو ثمانية صفوف أو ثمانية آلاف أو ملايين من الملائكة، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠].

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم ظرف أضيف إلىٰ ظرف إذ.

﴿تُعْرَضُونَ﴾: من العرض وأصل العرض: إظهار الشّيء إلىٰ من يريد التّأمل فيه مثل عرض السّلعة علىٰ المشتري حتّىٰ يتأملها، عرض العباد علىٰ الله سبحانه للحساب: أي: المثول والحضور بين يدي الله سبحانه. صفاً صفاً كما قال تعالىٰ: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨].

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: لا: النّافية، تخفىٰ منكم خافية: من ذواتكم وأقوالكم وأفعالكم.

[١٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾:

يكون ذلك بعد الحساب والمسائلة واطّلاع العباد علىٰ ما قدّموه من أعمال وإقامة الشهود والمعاتبة، ثم إيتاء العباد كتبهم.

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أما: حرف تفصيل.

﴿مَنْ﴾: لابتداء الغاية.

﴿أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: أوتي: أعطي كتابه: كتاب أعماله أو سجلّه، بيمينه: بيده اليمنىٰ.

﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾: هاؤم: هاكم (بالعامية) وهاؤم تقولها للجمع أو للجماعة ها: هاء الممدودة خُذ، هاؤم فعل أمر بمعنىٰ خذوا والفاعل ضمير تقديره: أنتم.

اقرؤوا كتابيه: تفاخراً وسروراً، كتاب أعمالي بعد أن يطلع علىٰ ما فيه.

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾:

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿ظَنَنتُ﴾: علمت وأيقنت، الظّن هنا يصل إلى درجة اليقين أو العلم الثّابت.

﴿أَنِّي﴾: للتوكيد.

﴿مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾: أيْ: أيقنت أني سيحاسبني الله في الآخرة، أي: سأبعث وأحاسب في الآخرة، ملاق حسابيه: شبه الحساب بصديق سيجتمع به لا محالة يوم القيامة، ملاق: بدلاً من ملاقي: ملاقٍ تدل على أنّه ظن أنّ حسابه سيكون قصيراً ويسيراً ولن يطول وبعدها يذهب إلى الجنة. ولو قال: ملاقي، فهي تدل على حساب طويل.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾:

﴿فَهُوَ﴾: الفاء استئنافية، هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: عيشة: مصدر للفعل الثّلاثي عاش، أي: عيشة صاحبها راض عنها أي: عيشة رفيعة لم تخطر على بال بشر مليئة بالنّعيم وخالية من الخوف والجوع والمرض والموت، وأيِّ مكروه، فهي خالية من شوائب الدنيا وكدرها.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾:

عالية الدرجات أو مرتفعة في السّماء أو رفيعة القصور والمباني والغرف.

[٢٣] ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾:

﴿قُطُوفُهَا﴾: من القطف: ما يجنى من الثّمار.

﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة جداً يتناولها كيف يشاء حتّى وهو متكئ.

[٢٤] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾:

يقال لهم في الجنة:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: من طعام الجنة وشرابها.

﴿هَنِيئًا﴾: أيْ: سائغاً مستلذاً طيباً عند أكله سهل الهضم أي: خال من أيِّ صعوبة في الهضم أو اختلاطات هضمية كما في أطعمة الدّنيا.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق والتّعليل أو سببه، ما: بمعنىٰ الذي.

﴿أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: قدَّمتم من الأعمال الصّالحة في أيّام الدّنيا الماضية. وقدّر البقاء في الأرض بالأيام رغم أننا نظنها سنيناً طويلة.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو استئنافية، أمّا: للتفصيل.

﴿مَنْ﴾: لابتداء الغاية.

﴿أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾: أُعطي كتابه (سجل أعماله) بشماله: الباء للإلصاق، بيده الشّمال أو اليسرىٰ أو من وراء ظهره.

﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾: يا ليت: تستعمل للتمني المستحيل حدوثه.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي.

﴿أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾: أُعطَىٰ كتابيه لما فيه من السّيئات، أوت: حذفت الياء: لأنّه لا يريد أن يطلع علىٰ كتابه ولو نظرة واحدة.

[٢٦] ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾:

﴿وَلَمْ﴾: للنفي، وتكرار لم تفيد التوكيد وفصل كلّاً من إيتاء الكتاب والدراية بنتيجة أعماله علىٰ حِدَةٍ، أو كلاهما معاً.

﴿أَدْرِ﴾: أُخبرت والإخبار هنا يكون بعد جهل.

﴿مَا﴾: استفهام.

﴿حِسَابِيَهْ﴾: ما محصلة أعمالي أو جزاء أعمالي.

[٢٧] ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾:

﴿يَٰلَيْتَهَا﴾: يا: أداة نداء، ليت: من أدوات التّمني المستحيل حدوثها.

﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾: الهاء تعود على الموتة التي ماتها في الدّنيا، كانت القاضية: أي: يتمنّى دوام الموت ولم يبعث مرة أخرى ليحاسب على أعماله.

[٢٨] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾:

﴿مَآ﴾: النّافية، أيْ: لم ينفعني أو يدفع عني مالي عذاب الله.

﴿مَالِيَهْ﴾: الذي جمعته في الدّنيا، وكيف يأتيه ماله ليدفعه، أو أين هو ماله وهل هو كاف، فقد أخبر الله سبحانه لو أنّ لهم ما في الأرض ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم.

[٢٩] ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾:

زال عني مُلكي وقوتي وسلطاني ومكانتي بين القوم وعزي وجاهي ومنصبي.

[٣٠] ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾:

أيْ: يأمر الله سبحانه الملائكة: خذوه فغلوه: اجمعوا يده إلى عنقه بالأغلال.

[٣١] ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾:

ثمّ أدخلوه الجحيم ليحرق ويُصلى في نارها، ثمّ لتباين الدّرجة بين الغل والتّصلية بالنّار.

[٣٢] ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للدلالة على التفاوت بين ربطه بالسلاسل والتصلية في الجحيم.

﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾: طولها (٧٠) ذراعاً، وقد يكون الطول للمبالغة في ضخامة السلسلة.

﴿فَاسْلُكُوهُ﴾: قيِّدوه كي يسحب بها في الجحيم ويسجر في النّار.

[٣٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾:

ثمّ بيَّن أسباب العذاب الشّديد والجحيم والاصطلاء في نارها.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا﴾: كان في الدّنيا، لا: النّافية.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: كان لا يؤمن بالله ووحدانيَّته، كان كافراً جاحداً لا يصدق بوجود الله سبحانه.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة عطف حرمان المسكين على عدم الإيمان بالله حد من شدة أهميته (ولم يقل: الفقير)، والمسكين من يملك ما لا يكفيه.

﴿يَحُضُّ﴾: يحث على طعام المسكين والفقير، وذكر الحضَّ دون الفعل أي: هو لا يطعم المسكين أو الفقير، ولا حتى يحثُّ الآخرين على فعل ذلك، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء:٣٧].

❖ ❖ ❖

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِجِ

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

سورة الحاقة [الآيات ٣٥ - ٥٢]

[٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾:

﴿فَلَيْسَ﴾: الفاء للتوكيد، ليس: حرف نفي.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، له خاصة.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿هَٰهُنَا﴾: أيْ: في جهنم.

﴿حَمِيمٌ﴾: صديق مشفق ينفعه أو يشفع له، أو يدفع عنه العذاب، صديق مخلص حميم من احتم، ويقال: احتم فلان لفلان: أي: احتد أو تعصب له كما يحتد القريب لحماية ذويه.

[٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾:

﴿وَلَا﴾: لزيادة توكيد النّفي.

﴿طَعَامٌ إِلَّا﴾: حصراً.

﴿مِنْ﴾: لابتداء الغاية.

﴿غِسْلِينٍ﴾: قيل: قيح أهل النّار أو دم القيح أو شجر تسمَّى غسلين خاص لإطعام أهل النّار أو طعام سيِّئ للغاية لا يعلمه إلا الله والغسلين قيل: هو الغساق وطعام أهل النار أيضاً الضريع والزقوم وشرابهم قيل: الحميم والغسلين والغساق.

[٣٧] ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾:

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا﴾: حصراً.

﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾: الآثمون أصحاب الخطايا، الخاطئون: من تعمد الخطأ وأقدم على المعصية أو الذّنب بتعمُّد، ويعلم أنّه ذنب أو معصية ومات ولم يتب بينما المخطئون: من يرتكب الخطأ من دون تعمُّد. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٨٦) لمزيد من البيان في أخطأنا.

[٣٨] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: الفاء استئنافية، لا أقسم: ارجع إلى الآية (١) من سورة القيامة للبيان، والقسم لا يكون إلا بشيء عظيم لينبه الناس إلى عظمته وعظمة جواب القسم.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي).

﴿تُبْصِرُونَ﴾: أي: المشاهدات، وقيل: ما تبصرون تشكل (١٪ واحد في المئة).

[٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: وقيل: تشكل ٩٩٪ تسع وتسعون في المئة.

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة. ما: الذي وما أوسع شمولاً من الذي تشمل كل شيء وتكرار ما للتوكيد وفصل ما نبصر عما لا نبصر.

﴿لَا تُبْصِرُونَ﴾: لا: النّافية، تبصرون: من مَلَكوت السّموات والأرض (المغيبات) فكل ما نراه في صفحة السماء هو (١٪) من مليارات المجرات ومئات المليارات من النجوم والكواكب والأقمار، فقد قيل، أو قُدِّر أن مجرة درب التبانة تحوي ما يقارب من (٤٠٠ مليار نجم) وحدها.

[٤٠] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿إِنَّهُۥ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَقَوْلُ﴾: اللام: للتوكيد، ثلاث توكيدات: القسم، وإن، واللام، إنه لقول رسول كريم هو جواب القسم.

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: قيل: رسول كريم هو جبريل عليه السلام وقيل: محمّد ﷺ، وقد يكون المقصود كلاهما جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤].

[٤١] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَمَا هُوَ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية، هو ضمير فصل يفيد التّوكيد ويعود علىٰ القرآن الكريم.

﴿بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾: أي: القرآن ليس بقول شاعر، كما تزعمون؛ لأن نظم الشعر معروفة عند الشعراء، وعلماء النحو والبلاغة، والقرآن مخالف لنظم الشعر فمن قال أنه شعر، أو أن محمداً شاعر قد كفر وليس بمؤمنٍ.

﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾: (مـا) هنا للتوكيد، أصلها قليلاً تؤمنون. وقليلاً ما تؤمنون لها عدة معانٍ:

١ - العـدد قليل أو كميـة الإيمان قليلـة أي: عدد المؤمنيـن قليل جداً وكمية إيمانهم قليلة كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

٢ - أي: القرآن ليس بقول شاعر قليلاً ما تصدقون ذلك.

٣ - قليلاً ما تؤمنون أنّ القرآن منزل من عند الله العزيز الحكيم.

ونفي الشّعر عن القرآن أيْ: إذا قرأه بعض الشّعراء الذين يعلمون الشّعر ونظمه وأوزانه يعلمون أنه ليس بشعر.

[٤٢] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: النافية.

﴿بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾: الكاهن هو الذي يزعم معرفة الغيب أو يتحدث بالغيب من دون دليل أو سلطان، وبما أن كلام القرآن يخالف أقوال الكهنة وهذا لا يحتاج إلىٰ كثير من التذكير بل قليل، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: ما: للتوكيد، أي: قليلاً تذكرون وأصلها تتذكرون أي: لو تذكرتم لعلمتم أنّ القرآن ليس بكلام الكُهان أيضاً.

[٤٣] ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿تَنزِيلٌ﴾: أي: من عند الله تعالىٰ، نزل به جبريل عليه السلام، حتىٰ يبلغه إلىٰ النبي ﷺ. ارجع إلىٰ سورة الواقعة الآية (٨٠) للبيان، وسورة الشعراء آية (١٩٢).

[٤٤] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾:

أي: لو افترىٰ محمد شيئاً ولو آية من القرآن وجاء بها من عند نفسه.

وقيل: هذه الآية ردٌّ علىٰ الآية (٣٣) من سورة الطّور ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ [الطور:٣٣]: أي: تَقَوَّل القرآن أي: افتعله أو اختلقه من تلقاء نفسه والتّقوُّل يعني: التّكلُّف والكذب، فجاء الرّد علىٰ ذلك بهذه الآية.

﴿وَلَوْ﴾: لو شرطية.

﴿تَقَوَّلَ﴾: افترىٰ وتكلَّف وافتعل أو نقل بعض الأقاويل والتقوُّل هو نسبه القول إلىٰ من لم يقله.

﴿عَلَيْنَا﴾: أيْ: لو قال محمّد قولاً من عنده ونسبه إلينا، أي: إلىٰ الله سبحانه وجاء بصيغة التّعظيم.

﴿بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾: الأقاويل: جمع أقوال والأقوال جمع قول فهو جمع الجمع ولم يقل: بعض الأقوال؛ لأنّ الأقوال جمع قول حق، والأقاويل جمع قول مفترىٰ وكذب، والأقاويل فيها معنىٰ التّحقير والتّصغير. والأقاويل ذكرت مرة واحدة في القرآن في هذه الآية.

[٤٥] ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾:

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ﴾: اللام لام التّوكيد، أخذنا منه: أي: انتقمنا منه بشدة وقوة.

﴿بِٱلْيَمِينِ﴾: اليمين تعني: القوة وقوة الإنسان عادة تكون في يده اليمنىٰ واليمين: يعني: بالحق أي: لأخذناه بشدة وعنف، الباء للإلصاق؛ أي: بشكل تام وكامل.

[٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل علىٰ تفاوت الصّفات بين الأخذ باليمين وقطع الوتين ولا تدل (ثم) علىٰ التّراخي في الزّمن، ومنه: تعود علىٰ الرسول محمّد ﷺ فقطع الوتين وهو الشّريان الأبهر الخارج من القلب قطعه يؤدّي إلىٰ الموت حالاً.

[٤٧] ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾:

﴿فَمَا مِنكُمْ﴾: الفاء عاطفة تفيد التوكيد، ما: النّافية، منكم: خاصة أنتم يا قريش.

﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾: استغراقية تشمل الواحد والاثنين أو الجماعة.

﴿عَنْهُ﴾: تعود إلىٰ رسول الله ﷺ أو تعود علىٰ قطع الوتين.

﴿حَٰجِزِينَ﴾: دافعين عنه أو مانعين عنه القطع، جاءت بصيغة الجمع أي: مهما كان عددكم لن تقدروا على ذلك.

[٤٨] ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: عاطفة وإنه للتوكيد، والضّمير يعود على القرآن الكريم.

﴿لَتَذۡكِرَةٞ﴾: اللام لام التّوكيد، تذكرة: شيء يذكركم بخالقكم وربكم وبالآخرة.

﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المتقين: أي: الذين أطاعوا أوامر الله تعالى وتجنّبوا نواهيه وأصبحت صفة التّقوى عندهم ثابتة أي: تذكرة تنفع المتقين خاصة.

[٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾:

﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ﴾: وإنا: للتعظيم، لنعلم: اللام للتوكيد.

﴿أَنَّ﴾: تفيد الاستقبال أي: لنعلم أنّ منكم مكذبين بالقرآن الآن، وفي المستقبل.

﴿مِنكُم﴾: من للتبعيض والكاف للخطاب، مكذبين: بالقرآن ومنكم مصدقين.

﴿مُّكَذِّبِينَ﴾: جملة اسمية تدل على الثّبوت أي: صفة التّكذيب عندهم ثابتة.

[٥٠] ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: للتوكيد، والضّمير يعود على القرآن يكون سبباً لحسرتهم يوم القيامة والنّدم؛ لأنهم كذبوا به.

﴿لَحَسْرَةٌ﴾: اللام للتوكيد، الحسرة: أشد النّدم.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: على تفيد المشقة والصّعوبة أي: إذا رأى الكفار ثواب المصدقين بالقرآن يوم القيامة سيشعرون بحسرة وندم شديد على ما فرطوا بحق القرآن.

[٥١] ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: للتوكيد والضّمير يعود على القرآن.

﴿لَحَقُّ﴾: اللام للتوكيد.

﴿ٱلْيَقِينِ﴾: هو العلم بالحق العلم الذي ليس هناك غيره حق اليقين: أعلى درجات اليقين، فاليقين ثلاث درجات هي: علم اليقين، ثم عين اليقين وأعلاها حق اليقين، والحق هو الشّيء الثابت الذي لا يتغيَّر أو يزول، وإضافة الحق إلى اليقين للتوكيد، وفي هذا نفي للقرآن عن كلّ باطل أو هو من عند غير الله سبحانه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

[٥٢] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿فَسَبِّحْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر أي: إن كان تنزيل من رب العالمين. فسبح: نزِّه وبرِّئ: الله تعالى والقرآن عما يقولونه أو يدعونه باطلاً، وسبحه لذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه تسبيحاً مطلقاً وشكراً على نعمه.

﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾: الباء للإلصاق، اسم ربك: وهو الله تعالى الإله المعبود واجب الوجود.

﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: ارجع إلى سورة الواقعة الآية (٧٤) للبيان.

❖ ❖ ❖

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِجِ

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

سورة المعارج [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٧٠) وترتيبها في النّزول (٧٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾:

سبب النّزول: كما ذكر الجمهور وابن عباس ومجاهد: نزلت هذه الآية رداً على النضر بن الحارث حين دعا استهزاءً وتعنتاً قائلاً: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾: دعا داع مثل النضر بن الحارث.

﴿بِعَذَابٍ﴾: الباء للإلصاق، دعا داع بالعذاب لنفسه، أو أن يحل به العذاب، ولو قال: سأل سائل عن عذاب واقع، لكان سؤال استفهام ولا يدعو بالعذاب لنفسه مثلاً يسأل على نوعه أو زمنه وغير ذلك.

﴿وَاقِعٍ﴾: لا محالة حتماً حادث؛ أي: نازل بشدة لا محالة.

[٢] ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾:

﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، نازل بالكافرين لا محالة.

﴿لَيْسَ لَهُۥ﴾: ليس للنفي، له: أي: العذاب.

﴿دَافِعٌ﴾: أيْ: لا أحد يستطيع منعه أو ردَّه إذا وقع أو حلَّ.

[٣] ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾:

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: لابتداء الغاية، أيْ: مُنزل من الله تعالىٰ.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: ذي: صاحب وذي أسمىٰ وأشرف من صاحب المعارج، المعارج: من العروج، والعروج لغة: هو سير الجسم في خط منعطف منحنٍ، أي: الصّعود مع الميلان، أيْ: لا يتحرك أو يصعد في خط مستقيم، والعروج علمياً: هو كلّ جرم متحرك أو يتحرك في السّماء يخضع لقوتين متعارضتين، الأولىٰ: قوة الجاذبية أيْ: قوة التّجاذب التي تربط الأجرام السّماوية ببعضها ومنها الأرض، والثّانية: القوة الدّافعة أو الطّاردة.

ويخضع كلّ جرم سماوي متحرك لقانون العروج أو التّحرك الزّاوي، أي: بشكل خط منحن يمثل محصلة كلّ من القوتين الجذب والطّرد المؤثرة فيه، فالعروج سببه اختلاف جاذبية الأجرام السماوية المختلفة من النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات.

ذي المعارج: أيْ: سبحانه هو المتحكم أو المتصرف أو المدبِّر لهذه الأجرام السّماوية المتحركة في السّماء من دون أن تصطدم ببعضها البعض، أو تعني الصعود إليه لا يكون إلا بالعروج لوجود هذه الأجرام السماوية المختلفة القوىٰ والطاقة.

[٤] ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾:

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾: تعرج الملائكة والروح أيْ: جبريل عليه السلام، تعرج: العروج كما بينا سابقاً هو الصّعود مع الميلان أيْ: بخط منحنٍ غير مستقيم، وهذا ما اكتشف حديثاً من أبحاث غزو الفضاء، تعرج الملائكة والرّوح.

﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله تعالى لتتلقى الأوامر الإلهية منه تعالى مباشرة، ومن دون رؤيته عز وجل.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: أفضل ما قيل في تفسير خمسين ألف سنة هو مقدار يوم القيامة لما فيه من الأحوال، والأحداث الجسام، وأما قوله تعالى في: الآية (٥) في سورة السجدة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يعني: العروج من الأرض إلى سدرة المنتهى يحتاج إلى ألف سنة مما نُعد، وأما قوله تعالى في الآية (٤٧) في سورة الحج ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يعني: العذاب في جهنم يوماً واحداً يعادل ألف سنة، وهناك من قال الزّمن المحتاج للعروج في أقطار السّموات والوصول إلى سدرة المنتهى لتلقي الأوامر الإلهية هو (٥٠ ألف سنة) من سني الدّنيا، وقيل: ألف سنة للوصول إلى السّماء الدّنيا، و(٤٩ ألف سنة) للوصول إلى سدرة المنتهى بعد الوصول إلى السماء الدنيا، ويعرج إليه سبحانه الروح والملائكة بسرعة قدرت بـ (١٥ مليون كم/ بالثانية)، والله أعلم.

وكما قال ابن عبّاس وبعض المفسرين: المراد باليوم هنا هو يوم القيامة تهويلاً وتخويفاً وطوله (٥٠ ألف سنة) من سني الدّنيا هذا بالنّسبة للكافر، أمّا بالنّسبة للمؤمن فيختلف حسب عمله.

[٥] ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾:

المخاطب في هذه الآية رسول الله ﷺ، وبالتّالي أمته.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدَّر أيْ: إن سأل سائل بعذاب واقع، فاصبر.

صبراً جميلاً: الصّبر الجميل هو الصّبر الذي لا يصاحبه جزع ولا شكوىٰ إلىٰ غير الله تعالىٰ وهو صبر غير دائم.

وهناك فرق بين (صبرٌ جميلٌ) و(صبراً جميلاً)، صبر جميل: أي: اصبر صبراً دائماً مهما طال (جملة اسمية) أما صبراً جميلاً: أيْ: صبر غير دائم فهو (جملة فعلية).

[٦] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: تعود علىٰ الكفار.

﴿يَرَوْنَهُۥ﴾: يوم القيامة (العذاب).

﴿بَعِيدًا﴾: مستحيل الوقوع أو لا يؤمنون بيوم الحساب أصلاً، أو بعيداً عن الوقوع؛ أي: يحتاج إلىٰ زمن طويل، أو يرون مقدار القيامة (٥٠ ألف سنة) أمر بعيد عن التّصديق.

[٧] ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾:

ونراه: للتعظيم؛ أي: سبحانه يراه وأي يوم القيامة أو العذاب، قريب الوقوع كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١]، أو ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١].

[٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: القيامة.

﴿تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾: المهل: كخليط المعادن المختلفة المذابة أو المنصهرة (النّحاس والرّصاص والذّهب) بعد أن كانت زرقاء صافية يصبح لونها

كعكر الزّيت المتشـــكل من إذابة معادن مختلفة، وفي مرحلة أخرىٰ تكون وردة كالدّهان. ارجع إلىٰ سورة الرحمن آية (٣٧).

[٩] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾:

ويوم القيامة تكون الجبال كالعهن: الصّوف المصبوغ ألواناً مختلفة، وذلك لكون الجبال ذات ألوان مختلفة، ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:٢٧].

فالجبال تمر بمراحل متعددة منها السّـــير والدّك والنّسف، ثم تصبح كثيباً مهيلاً، ثمّ عهناً منفوشاً، ثمّ هباءً منبثاً، وفي آية أخرىٰ ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥] الصّوف المندوف.

[١٠] ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾:

﴿وَلَا﴾: النّافية.

﴿يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: بفتـــح الياء، أيْ: لا يســـئل قريب قريبـــه، أو صديق صديقه، أو خليل خليله من شـــدة الأهوال والخوف والرّعب. ارجع إلىٰ ســـورة الحاقة آية (٣٥) للبيان.

الكل يقول: اللهم نفســـي نفسي، ورب قائل يقول: لا يَسألُ حميم حميماً؛ لأنّهم لا يرونهم أو يبصرونهم، فجاء الرّد علىٰ هذا التّســـاؤل بقوله: يبصرونهم، أيْ: يشاهدونهم بأعينهم ومع ذلك لا يسألونهم.

❖ ❖ ❖

يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٧

سورة المعارج [الآيات ١١ - ٣٩]

[١١] ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾:

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: ولم يقل: يبصرونهم بتشديد الصاد من بصرته بالشّيء أيْ: أوضحته له حتّىٰ يبصره، أو يحضر الله سبحانه القريب أو الحميم أمام حميمه عمداً، فلا يسأله عن شيء، يُبصَّرونهم: تعني بقصد وتعمُّد، بينما يبصرونهم من دون تشديد الصاد أيْ: بغير قصد أو نية وتعمد أيْ: يشاهدونهم ويتعرفون عليهم أنّهم أقرباؤهم، ولكنهم كأنّهم لا يعرفونهم.

﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾: يتمنىٰ المجرم: أي: الكافر أو المشرك والذي أذنب ذنباً يستحق به النّار.

﴿لَوْ﴾: حرف مصدري.

﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾: لو يفتدي يوم القيامة بأقرب شيء إليه يفدي نفسه أيْ: يدفع فدية ليخلص نفسه من عذاب ذلك اليوم، أو يتمنىٰ لو قُبل منه الفداء يومئذ حتّىٰ ولو كان المرء يصل إلىٰ أن يفدي نفسه ببنيه.

﴿بِبَنِيهِ﴾: أيْ: أولاده.

[١٢] ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾:

زوجته وأخيه، وسماها صاحبة بدلاً من زوجته؛ لأنّ صاحبته تعني تصحبه إلىٰ مدة حتّىٰ يكون منها ولد.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾:

أيْ: عشيرته أو قبيلته التي تضمه إليها وتحميه.

[١٤] ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾:

ومن: لابتداء الغاية واستغراقية تستغرق كلّ من في الأرض بشكل مفرد أو جمع.

لم يذكر أنّه يفتدي بأمّه ولا بأبيه، فكيف يفدي نفسه بأمّه وأبيه، والله سبحانه قال: وبالوالدين إحساناً، فهذا لا يجوز أو يصح، ولكن المجرم لو استطاع أن يقدِّم أباه وأمّه إلى النار بدلاً منه لفعل ذلك، ولكنه في سورة عبس الآية (٣٤-٣٥) ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ الفرار من الأم والأب قد يحصل، أو يجوز بينما الفداء لا يجوز.

ولو قارنّا هاتين الآيتين من سورة المعارج، وهي قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [٣٤-٣٥] من سورة عبس، وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾:

في حالة الفداء: يقدِّم أقرب النّاس إليه وهم أولاده أولاً.

وفي حالة الفرار: أخَّر من يفرُّ منهم وهم أولاده.

هذا التّرتيب الإلهي له دلالاته، ففي مقام الفرار يفرُّ الإنسان من الأباعد أوّلاً، ثمّ ينتهي بأقرب النّاس إليه فيكونون آخر من يفرُّ منهم وهم الأبناء بعكس الفداء؛ حيث يفتدي بأقرب النّاس؛ لأنّ شدة العذاب دعته للاهتمام بنفسه ونسي أقرب النّاس إليه.

[١٥] ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: كلمة ردع وإبطال لما سبق من الكلام أيْ: كلا لا قرابة يومئذ تنفع ولا فداء يقبل.

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾: اسم دركة من دركات النّار، فهي سبع دركات هي الجحيم، جهنم، لظىٰ وسقر والسعير والهاوية والحطمة، واللظىٰ: اللهب الخالص.

[١٦] ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾:

﴿نَزَّاعَةً﴾: قلاعة تقلع بشدة.

﴿لِّلشَّوَىٰ﴾: اللام لام الاختصاص، الشّوىٰ: هي جلدة الرّأس وقيل أيضاً: جلدة أطراف البدن كاليد والرّجل.

[١٧] ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾:

﴿تَدْعُوا﴾: أيْ: لظىٰ تنادي: إليَّ إليَّ يا مَنْ:

﴿أَدْبَرَ﴾: أدبر عن طاعة الله ورسوله أو عن الإيمان أيْ: أدار ظهره ولم يلتفت أو أعرض.

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: ابتعد عن الحق.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾:

﴿وَجَمَعَ﴾: المال، جمع المال.

﴿فَأَوْعَىٰ﴾: جعله في أوعية من كثرته أو أودعه في البنوك، ولم يؤدِّ زكاته أو ينفقه أو كنزه.

[١٩] ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾: خُلِقَ لا يعني: أن الله خلقه هلوعاً؛ لأن الهلع يحدث بعد الخلق، وبعد أن يبلغ مرحلة البلوغ أو الشباب، فقد قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل:٧٨]؛ أي: الإنسان انتحل هذه الصّفة ومارسها فأصبحت صفة مكتسبة راسخة ملتصقة به كأنّها خُلقت معه،

أو كأنّه مجبول عليها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[الإسراء:١١] وهلوعاً: من الهلع، وهلوعاً: صفة مشبهة من الفعل؛ هلع: بمعنىٰ شدة الجزع، وعدم الصبر علىٰ المصائب الذي فسرته الآيتان التّاليتان: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وناقة هلواع: سريعة السّير.

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل علىٰ حتمية الحدوث وكثرته.

﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: أصابه الشّر مثل المرض أو الفقر أو فقد مال أو ولد أو أهل أو حادثة طارئة، ولو كانت إصابة خفيفة غير شديدة، تراه عديم الصبّر كثير الضّجر قليل الرّضا بما قضىٰ الله، مَّسه: تعني: أقل المس أو اللمس.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل علىٰ حتمية الحدوث.

﴿مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾: منوعاً: من الفعل الثلاثي منع إذا أصابه الخير كالغنىٰ والعافية والخيرات تراه مبالغاً في الإمساك والبخل والشّح لا ينفق مما أتاه الله، ولا يشكر الله علىٰ نعمه.

[٢٢] ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، استثناء من الهلع والجزع أو المنع.

﴿ٱلْمُصَلِّينَ﴾: جمع المصلي الذين وصفهم الله سبحانه في الآيات التّالية في ثماني صفات ثابتة دائمة جاء بصيغة الجملة الاسمية، مثل علىٰ صلاتهم دائمين حافظين مشفقين، فهؤلاء إيمانهم وصلاتهم من المفروض أن تمنعهم من الهلع أو الجزع أو المنع والبخل والشّح.

[٢٣] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ﴾: الذين: اسم موصول يفيد المدح، هم: تفيد التّوكيد وتكرار الذين هم في عدة آيات لزيادة التّوكيد، وفصل كلّ صفة عن الأخرىٰ.

﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾: الدّوام يعني: الاستمرار بلا انقطاع علىٰ المواظبة علىٰ صلاتهم خمس مرات باليوم حتّىٰ يجيء الأجل، ودائمون علىٰ الصلاة في الصّحة والمرض والسّفر والإقامة، وتقديم الصلاة أولاً والتذكير بها آخراً في الآية (٣٤) للدلالة علىٰ فضلها العظيم، وتقديمها علىٰ سائر العبادات، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة في حديث أبي هريرة الذي رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

[٢٤] ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: كالسّابقة.

﴿فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾: هو الزّكاة (نصيب معين معلوم) وكذلك الصّدقة، معلوم له ولغيره من كافة المسلمين المؤمنين.

[٢٥] ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾:

﴿لِّلسَّآئِلِ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، والسّائل هو الفقير الذي يسأل النّاس الصّدقة، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٩) في سورة الذاريات وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: نجد في هذه الآية (آية الذاريات) لم يذكر كلمة معلوم، وقالوا: إن آية الذاريات جاءت في سياق الصدقات، وآية المعارج (حق معلوم) في سياق الزكاة؛ لأن الزكاة معلومة المقدار.

﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾: الفقير المتعفف الذي لا يسأل، فيظن أنّه غني فيُحرم الصّدقة أو العطاء.

[٢٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء والآخرة، ويوم القيامة تصديقاً بالقلب والعمل أيْ: يستعدون له بالعبادة والطّاعة والعمل الصّالح.

[٢٧] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: من لابتداء الغاية عذاب ربهم مشفقون: خائفون وحذرون وحريصون، يشعرون أن أعمالهم الصّالحة ربما لن تقبل منهم، وما عملوا من الخيرات؛ لأنّها لا تليق بحق الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠].

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: لأنّهم لا يعلمون هل ستقبل أعمالهم الصّالحة أم لا، فهم في حالة بين الخوف والرّجاء، كقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢].

[٢٩] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص والفرج: هو سوءَة الرّجل أو المرأة.

﴿حَٰفِظُونَ﴾: من الزّنى والفواحش وما حرَّم الله تعالى.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾: لأنّ الله سبحانه أحل لهم ذلك بعقد الزّواج.

﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾: هذا لـم يعد موجوداً، فلم يعد هناك إماء، ويعتبر هذا الحكم الآن حكماً معطلاً، وغير مُلغىٰ؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يُلغي حكم الله تعالىٰ.

[٣١] ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾:

﴿فَمَنِ﴾: الفاء للتوكيد، من شرطية.

﴿ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾: ابتغىٰ: طلب أو التمس وراء ذلك أيْ: غير ذلك الزّواج أو ما ملكت أيمانهم أيْ: علاقة جنسية.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، أولئك: اسم إشارة واللام للبعد تفيد التّحقير والذّم.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلۡعَادُونَ﴾: المتجاوزون لما شرع الله تعالىٰ سواء ما أحلَّ أو ما حرَّم، وهو تحذير لمن يحاول أن يتعدَّىٰ حدود الله تعالىٰ أو يقربها.

[٣٢] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٣).

﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾: اللام لام التّوكيد والاختصاص، لأماناتهم: من الأمانة ما ائتمنوا عليه من التّكاليف الشّرعية والأموال والأمانات المودعة عندهم، وعهدهم: العهد يضم العقود والوعود والمعاهدات والميثاق العادي والغليظ، وهو ما يلتزم به الإنسان سواء مع الله تعالىٰ أو إنسان آخر، وسواء كان تكليفاً أو وصية أو أمراً، راعون: من الرّعي: وهو الحفظ: أيْ: حافظون لأماناتهم وموفون لعهودهم لا ينقضونها ولا يغدرون ولا يخونون.

[٣٣] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٣).

﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾: الباء للإلصاق والمداومة، الشّهادة: اسم جنس، شهادتهم: جمع شهادة والشّهادة مختلفة الأنواع، قائمون: مؤدون: يؤدون شهاداتهم ولا يكتمونها ولا يغيرونها ويتمُّوا الشّهادة الله، ولو علىٰ أنفسهم، أو الوالدين والأقربين، وإقامة الشهادة جاء بعد قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ ليُذكرنا أن إقامة الشهادة نوع من الأمانة يجب أن يؤديها إذا احتيج لها.

[٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٣).

﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يؤدُّون صلاتهم في أوقاتها محافظين علىٰ شروطها وأركانها وسننها ووضوئها لا يشغلهم شاغل، وتكرار ذكر الصّلاة للدلالة علىٰ توكيد أهميتها وفضلها، يحافظون: جاءت بصيغة الجملة الفعلية؛ لأنّ الصّلاة تتجدَّد وتتكرَّر.

[٣٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد والمدح، ويشير إلىٰ المصلين الذين اتصفوا بتلك الصّفات الثّمانية.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾: جنات جمع جنة منها جنات الفردوس والنعيم وعدن من التكريم والنعيم بألوان الملاذ والطيبات وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، مكرمون تدل علىٰ الثّبوت، مكرمون دائماً.

[٣٦] ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾:

﴿فَمَالِ﴾: الفاء استئنافية، ما: استفهام إنكاري.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قَبْلَهُمْ﴾: حواليك أو أمامك أو عن يمينك أو شمالك.

﴿مُهْطِعِينَ﴾: جمع مهطع: اسم فاعل من أهطع يهطع فهو مهطع، أي: المسرع في المشي والرافع رأسه. ارجع إلى سورة إبراهيم الآية (٤٣) لمزيد من البيان، وسورة القمر الآية (٨).

[٣٧] ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾:

عن يمينك وعن شمالك عزين: جماعات متفرقة، عزين: جمع عزة أيْ: في حالة تفرقة أي: جماعة هنا وجماعة هناك عن يمين الرّسول ﷺ وعن شماله.

[٣٨] ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾:

﴿أَيَطْمَعُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ﴾: كلّ واحد من هؤلاء الذين كفروا.

﴿مِّنْهُمْ﴾: خاصة.

﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل، يدخل جنة نعيم.

[٣٩] ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: كلمة ردع لهم بعدم الطمع في الجنة أيْ: ليس الأمر كما يأملون أو يتمنون بأن يدخل كلّ منهم جنة نعيم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾: إنّا للتعظيم، خلقناهم: من ماء مهين أو من تراب أو نطفة إذا تُمنى، فهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فكيف يكفرون ويجحدون، ثمّ يطمعون أن يدخلوا جنة نعيم.

❖ ❖ ❖

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ
وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

سورة المعارج [الآيات ٤٠ - ٤٤]

[٤٠] ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: ارجع إلىٰ سورة القيامة الآية (١) للبيان، والله غني عن القسم ولا يقسم إلا بشيء عظيم.

﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾: فقد تبيَّن أنّ الشّمس تشرق كلّ يوم أو تطلع بزاوية تختلف عن زاوية اليوم الآخر، وتبيَّن أنّ للشمس ملايين المشارق والمغارب ولكلّ كوكب وقمر مشرق ومغرب، فالله سبحانه يقسم بمشارق ومغارب الشمس، وللشمس مشرق حقيقي أساسي واحد، ولها مغرب أساسي واحد (رب المشرق والمغرب) ولها مشرقان ولها مغربان. ارجع إلىٰ سورة الرحمن آية (١٧) للبيان.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَقَٰدِرُونَ﴾: اللام للتعظيم، قادرون: علىٰ أن نبدل خيراً منهم بأن نهلكهم، ونأتي بخير منهم وما نحن بمسبوقين.

[٤١] ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾:

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾: أيْ: نخلق خيراً منهم: أيْ: أمثل وأفضل طاعة وعبادة.

﴿وَمَا نَحۡنُ﴾: ما النّافية، نحن: للتعظيم.

﴿بِمَسۡبُوقِينَ﴾: بعاجزين أو مغلوبين، جمع مسبوق والذي يُسبق: يُغلب.

[٤٢] ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾:

﴿فَذَرْهُمْ﴾: أيْ: دعهم أو اتركهم.

﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: ارجع إلى سورة الزخرف الآية (٨٣) للبيان.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتهويل والتّعظيم أيْ: يوم البعث.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: الأجداث: جمع جدث، والجدث هو القبر، فالقبر يتحول إلى جدث حين خروج الميت منه، حيث يكون القبر ساكناً هامداً ليس فيه حركة ولا صوت إلى قبر يخرج منه صوت خافت يشبه صوت الحافر أو الخف عندما يسرع الإنسان في السير أو يركض، فيسمَّى القبر في تلك المرحلة جدث.

﴿سِرَاعًا﴾: مسرعين إلى إجابة الداع مسرعين إلى أرض المحشر أو موقف الحساب.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾: كأنّهم إلى نصب: إلى راية أو علم أو صنم منصوب (كوثن يعبدونه) يوفضون: يسرعون ويتسابقون.

[٤٤] ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾:

الخشوع: يكون في الصّوت والبصر وأما الخضوع يكون في الجسم.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾: الخشوع: هو الخضوع + الخوف + النّظر إلى الأرض، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧) في سورة القمر، وهي قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾: نجد أن خشعاً تفيد المبالغة والتأكيد، وكثرة العدد؛ مبالغة في خشوع

أبصارهم، والخشـــوع يصيب الأبصار والقلوب والســـمع؛ فآية القمر زمنها بعد الخروج من الأحداث، وآية المعارج حالة متأخرة.

﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: تغشاهم ذلة من الذّل وهو الانقياد كرهاً ضد العزة والشّعور بالهون والاســتخفاف؛ أي: الشــعور بأن ليــس لهم قيمة، والــذّل يعني: اللين والانقياد.

ذلك: اسم إشارة والكاف للبعد.

اليوم: يوم البعث.

الذي كانوا يُوعدون: كانوا يوعدون: من الوعد، يوعدون في الدنيا أنه قادم.

❖❖❖

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ
وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

سورة نوح [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٧١) وترتيبها في النّزول (٧١). تشمل هذه السّورة طرفاً من دعوة نوح لقومه وأساليب دعوته وعدم استجابة قومه له ودعوة نوح على الكافرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾: إنا للتعظيم، أرسلنا: لمعرفة معنى الإرسال والفرق بين البعث والإرسال ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩).

﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾: نوح من سلالة إدريس وإدريس هو أب جد نوح وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس كان بين آدم ونوح ما يقارب عشرة قرون، أيْ: حوالي (١٠٠٠ سنة).

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾: أن تفيد التّعليل، أنذر: من الإنذار وهو الإعلام المقترن بالتّحذير والتّخويف.

﴿مِن قَبْلِ﴾: من: لابتداء الغاية، قبلِ: بكسر اللام ليس فيها تحديد للزمن أيْ: لم يحدِّد متى سيأتيهم العذاب الأليم القادم، ولو قال من قبلُ: فيها تحديد: فيها تحديد للزمن بعد كذا زمن سيأتيهم سواء كان قصيراً أم طويلاً.

﴿أَن﴾: للتعليل.

﴿يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هو الطّوفان في الدنيا أو عذاب الجحيم في الآخرة.

وعذاب الجحيم في الآخرة.

[٢] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿يَٰقَوْمِ﴾: نوح عليه السلام.

﴿يَٰقَوْمِ﴾: ياء النداء نداء فيه حنان واستعطاف وبرفق ولين؛ ليجلب قلوب قومه إليه حتىٰ يؤمنوا به.

﴿إِنِّي لَكُمْ﴾: إني للتوكيد، لكم خاصة.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: نذير (ارجع إلىٰ الآية السّابقة نذير من الإنذار) وهو الإعلام مع التحذير والتخويف.

مبين: واضح الإنذار لكل واحد منكم لكل فرد، ومبين إنذار كامل تام من دون ترك أيِّ شيء، ولا يحتاج إلىٰ من يُبينه واضح بنفسه، والإنذار هو اعبدوا الله واتقوه وأطيعون.

[٣] ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾:

﴿أَنِ﴾: تعليلية.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: من العبادة وهي طاعة العابد للمعبود فيما أمر به ونهىٰ عنه والخضوع، ولها منهج وجزاء ولا تكون إلا للخالق وحده. ارجع إلىٰ سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من البيان.

﴿وَاتَّقُوهُ﴾: امتثلوا أوامر ربكم وتجنبوا نواهيه، اتقوا غضب الله وسخطه وناره.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: أيْ: أطيعوا الله وأطيعون كرسول لكم، ولم يقل: وأطيعوني. الفرق بينهما:

أطيعــون: لأنّ نوح ﷺ يعلم أن من يطيعه هم قلة ولو كانوا كثرة لربما قال: وأطيعوني.

وأطيعون: ولو بقليل من الطّاعة، أما أطيعوني فتعني: الكثير من الطّاعة.

[٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

من ثمرات عبادة الله وحده وتقواه وطاعتي كرسول لكم:

أولاً: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: الغفر هو السّتر ومحو الذنب وترك العقاب، من: للتبعيض، من ذنوبكــم: أيْ: يغفر لكم بعض ذنوبكــم ولو قال: يغفر لكم ذنوبكم لــكان يعني كلّ أو جميع ذنوبكم، ولا تأتــي آية ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:٣١] إلا في ســياق المؤمنين دائماً، ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: لا تأتي إلا في سياق غير المؤمنين.

ثانياً: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لا يعجِّــل لكم العذاب في دنياكم حتى تنقضي آجالكم.

والأجل الأول: هو الموت، وهو الوقت المضروب لانقضاء الشّيء وأجل الإنسان هو الوقت لانقضاء عمره.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾: الأجــل الثانــي: هــو أجلهــم جميعــاً حين يســتأصلهم العذاب أو يحل بهم؛ إن: للتوكيد، أجل الله هو الموت أو البعث أو العذاب أو الكل.

إذا: ظرف للزمن المستقبل فيه معنى الشّرط وتفيد حتمية الحدوث.

﴿جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾: لا النّافية، لا يؤخر.

﴿لَوْ﴾: شرطية جوابها محذوف تقديره: لآمنتم.

﴿كُنتُمْ﴾: في الدّنيا.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: أنّ الأجل لا يؤخر.

[٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾:

هذه الآيات تبيِّن لنا أساليب دعوة نوح لقومه وعدم استجابتهم لدعوته.

﴿قَالَ رَبِّ﴾: حذف أداة النّداء ولم يقل: قال نوح: يا رب لكون نوح يعلم أنّ الله قريب منه.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿دَعَوْتُ قَوْمِي﴾: للإيمان بك.

﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: يعني: في كل الأوقات من غير فتور.

[٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾:

﴿فَلَمْ﴾: الفاء للتوكيد، لم للنفي.

﴿يَزِدْهُمْ دُعَائِي﴾: إلى الإيمان ولم يقل: يزيدهم، حذف الياء في كلمة (يزدهم) لتناسب قلة عدد الذين استمعوا إليه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِرَارًا﴾: الفرار هو الجري بسرعة والخوف والانكشاف (من دون خُفية) أيْ: كلما رأوني هربوا مني بعيداً وتعني: تباعدوا عن الإيمان.

[٧] ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾:

﴿وَإِنِّي﴾: تكرار إني للتوكيد.

﴿كُلَّمَا﴾: مركبة من كل الظّرفية، ما المصدرية فهي أداة شرطية تفيد التّكرار.

﴿دَعَوْتُهُمْ﴾: إلى الإيمان وعبادة الله وحده (التّوحيد).

﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾: اللام لام التّعليل، تغفر: تستر وتمحو أو تحط عنهم خطاياهم.

﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: (مجاز مرسل) إطلاق الكل وإرادة الجزء عادة يجعل الإنسان طرف إصبعه أيْ: إصبع واحدة في أذنه لكي لا يسمع إلى ما يُقال فهم لم يستعملوا طرف إصبع واحدة وإنما أدخلوا أصابعهم العشرة كاملة في آذانهم لئلا يسمعوا ولو كلمة واحدة تتسرب إلى آذانهم.

وهذا دليلٌ على المبالغة في رفضهم للاستماع إليه أو كراهية الاستماع إليه، وهو يدعوهم إلى الإيمان والتّوحيد ولم يكتفوا بذلك، بل استغشوا ثيابهم.

﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: أيْ: تغطوا بها كراهية النظر إلى من ينصحهم ويعظهم للإيمان بربهم، ولكي لا يستمعون إليه، ولكي لا يعرفهم ويكون شهيداً عليهم.

﴿وَأَصَرُّوا﴾: استمروا على كفرهم وشركهم.

﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾: استكبروا عن الإيمان، استكبروا: الألف والسّين والتّاء للطلب أيْ: تكبروا وهم ليس عندهم مؤهلات الكبر، استكباراً: مصدر استكبر للتأكيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

[٨] ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: للترتيب والتّراخي في الزمن أيْ: بعد زمن طويل من دعوتهم بالسّر دعوتهم بالجهر.

﴿إِنِّي ﴾: للتأكيد.

﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾: أيْ: مجاهراً بالدّعوة والجهر هو رفع الصّوت مع الإعلان جهاراً أيْ: بأعلى صوتي أو مبالغة في الإظهار أيْ: دعوتهم بالعلن بعد أن دعوتهم بالسّر والخفاء.

[٩] ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: للدلالة على البعد والتباين بين صفة الدّعوة في السّر والعلن.

﴿إِنِّي ﴾: لتكرار التّوكيد وأنّه استعمل أسلوبي الدّعوة الإسرار والإعلان (الجهر) معاً.

﴿لَهُمْ ﴾: وتكرار لهم تفيد التّوكيد.

﴿وَأَسْرَرْتُ ﴾: تفيد التّوكيد.

[١٠] ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾:

﴿ فَقُلْتُ ﴾: الفاء للتوكيد.

قلت: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾: اطلبوا منه المغفرة والاستغفار، من الغفر هو ستر الذّنب، وبالتالي محوه وترك العقاب، والاستغفار يعني: التّوبة من الكفر والشّرك وترك المعاصي وعدم العودة إليها.

﴿إِنَّهُ ﴾: للتأكيد، تعود على الله سبحانه في واجب الوجود.

﴿كَانَ غَفَّارًا﴾: كان: تشـــمل كل الأزمنة وليس الزمـــن الماضي فقط، بل الحاضر والمســـتقبل أيْ: كل زمان، غفـــاراً: صيغة مبالغة مـــن الغفر أيْ: كثير الغفران لمن تاب وأقلع عن ذنبه، وتفيد تكرار مغفرته وتجددها، والغفور تعني: داوم مغفرته وكثرتها.

﴿غَفَّارًا﴾: يغفـــر الذّنوب الكبار. ارجع إلىٰ ســـورة طه آيـــة (٨٢) للمزيد ومعرفة الفرق بين غفور وغفّار.

❖ ❖ ❖

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

سورة نوح [الآيات ١١ - ٢٨]

[١١] ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾:

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾: أي: السّحاب؛ لأنّ تعريف السّماء هي كل ما علاك والسّحاب يعلونا والسّحاب يشكل السحب الركامية التي تنزل المطر.

﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: مدراراً صيغة مبالغة وأصلها الدّر سيلان اللبن وكثرته، ثم استعير للمطر الغزير المتتابع.

[١٢] ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾:

﴿وَيُمْدِدْكُم﴾: من الإمداد والإمداد في القرآن يأتي في سياق الخير (بالقوة والعون).

أما المد: فيأتي في سياق الشّر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥].

أو كقوله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم:٧٩].

﴿بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: الباء للإلصاق، وقدَّم المال علىٰ الولد؛ لأنّ الكل بحاجة إلىٰ المال وليس الكل بحاجة إلىٰ الولد، أو قدَّم الأكثر علىٰ الأقل.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿جَنَّٰتٍ﴾: بساتين وحدائق.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾: تكرار لكم تفيد التّوكيد وفصل كلاً علىٰ حِدَةٍ، الجنات

والأنهار أو كلاهما معاً، ولمعرفة كيف تتشكل هذه الأنهار، ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٢) والرعد آية (٣).

[١٣] ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾:

﴿مَّا لَكُمْ﴾: ما الاستفهامية تفيد الحثَّ وإنكار ما هم عليه من العناد والاستكبار، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿لَا تَرْجُونَ﴾: الرجاء: هو توقع الخير، والأمل، ويقوم على الظن الراجح؛ لا النّافية، ترجون: أو لا تبدون لله وقاراً، لا تقدرون الله حق قدره في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر:٦٧].

﴿وَقَارًا﴾: تعظيماً ويوقّرونه، يعظمونه.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾:

﴿وَقَدْ﴾: الواو عاطفة، قد للتحقيق.

﴿خَلَقَكُمْ﴾: من الخلق وهو التّقدير والإيجاد.

﴿أَطْوَارًا﴾: أي: مراحل جمع طَور: نطفة علقة مضغة جنين وليد وطفل، غلام شاب كهل شيخ.

[١٥] ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير والتّعجب.

﴿تَرَوْا﴾: رؤية بصرية عينية ورؤية فكرية، أيْ: ألم تعلموا.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والتّعظيم.

﴿خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: أيْ: ليس معناها طبقات مسطحة، وإنما سبع

كرات متطابقة حول مركز واحد يغلف الخارج منها الداخل سبع كرات متساوية والمسافات بينها متساوية هذه الكرات السبع مركزها الأرض والأرض بدورها تتكون من سبع كرات صغيرة مقارنة بكرات السماء، فالكون يتكون من (١٤) كرة، سبع تمثل السموات السبع وسبع تمثل الأرض، والعلماء لا يعلمون إلا جزءاً ضئيلاً عن السماء الدنيا وعن الأرض.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾:

﴿وَجَعَلَ﴾: الواو عاطفة، جعل: الجعل يكون بعد الخلق أيْ: مرحلة بعد مرحلة الخلق.

﴿ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾: القمر كما نعلم من الأبحاث العلمية، نوره هو ناتج من انعكاس نور الشّمس عليه، فهو بحد ذاته كتلة غير مشتعلة كما هو الحال في الشّمس فأشعة الشّمس التي تسقط على القمر تنعكس عنه فيظهر لنا كأنّه مضيء وله نور. ارجع إلى سورة يونس آية (٥) لمزيد من البيان.

﴿فِيهِنَّ﴾: في السموات السبع.

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: ضياء أو سراجاً أيْ: هي جسم مشتعل بحد ذاته يرسل الضّوء والحرارة، بينما القمر كوكب بارد يستمد حرارته من الشّمس وتبلغ حرارة سطح الشمس (٦٠٠٠ درجة مئوية) بينما مركز الشّمس حرارته تبلغ حوالي (٢٠ مليون درجة مئوية).

واللهب المرتفع من الشّمس قد يصل إلى نصف مليون كيلومتر، ولا يصل إلى الأرض إلا أقل من جزء من مليون من حرارة الشّمس وشمسنا واحدة من بلايين الشّموس التي خلقها الله سبحانه، فكل نجم هو كالشّمس جسم مشتعل بحد ذاته. ارجع إلى سورة يونس آية (٥) لمزيد من البيان.

[١٧] ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾:

﴿وَٱللَّهُ﴾: تقديم الفاعل على الفعل يفيد التّعظيم والاهتمام.

﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: قد يعني ذلك مبدأ الخلق حيث خلق آدم من تراب (من الأرض) والنّاس من ذرية آدم.

﴿أَنۢبَتَكُم﴾: أنشأكم وفيه معنى التّطور والنّمو، فالله سبحانه يغذّيكم من حبوب الأرض وثمارها وخيراتها، وكذلك ما تأكلون من اللحوم والألبان من الأنعام كلها تستمد غذائها من النبات الذي يستمد غذاءَه من تربة الأرض عن طريق جذوره وساقه، فيمتص عناصر الأرض فيخرج منها الخضار والثمار، فهي عملية إنبات من تراب الأرض، ثم في النهاية عودة إلى التراب سواء كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً. وفعل أنبت مصدره إنبات بينما فعل نبت مصدره نبات.

﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾: للتوكيد، بالتّدرج في النمو طفل ولد غلام شاب كهل.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾: بعد الموت إلى القبور والتّحول إلى التّراب والعظام والرّفات، فيها تعني: الأرض الحالية.

﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾: ويخرجكم يوم البعث (بالنّشور) من القبور (الأجداث).

ويخرجكم منها بالنّشور، يخرجكم من الأرض الجديدة كما قال تعالى في سورة إبراهيم آية (٤٨): ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾؛ يخرجكم

منها دفعة واحدة بعد النفخ في الصور، كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٥].

﴿إِخْرَاجًا﴾: مصدر للتأكيد. ارجع إلىٰ سورة الروم آية (١٩) للبيان.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾:

﴿وَاللَّهُ﴾: تقديم الفاعل علىٰ الفعل للتعظيم والاحترام.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿بِسَاطًا﴾: كالفراش المبسوط للاستقرار عليها وبسطها: ومدها وثبتها بالرّواسي لتستقروا عليها رغم حركتها ودورانها السّريع يقارب (٣٠ كيلومتراً/ بالثانية) وفي آية (٥٣) من سورة طه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي: كمهد الطّفل المريح اللين ذي الحرارة المعتدلة.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾:

﴿لِتَسْلُكُوا﴾: اللام لام التّعليل، لتسلكوا: من سلك أيْ: أدخل وسلك الطّريق أيْ: سار فيه وذهب فيه، السّلك: الذّهاب والسير فيها أيْ: لتسيروا وتمشوا فيها أيْ: علىٰ طرقها السّهلة الواسعة وتسافروا بين مدنها وقراها.

﴿سُبُلًا﴾: طرق واسعة ممهدة. سبلاً: جمع سبيل؛ أي: طريق.

﴿فِجَاجًا﴾: الفج هو الطّريق في الجبل أو بين جبلين، وقدَّم سبلاً علىٰ (فجاجاً) في هذه الآية، بينما في سورة الأنبياء قدَّم فجاجاً علىٰ (سُبلاً) ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٣١) للمقارنة والبيان.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾:

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾: أيْ: إن قومه عصوه، ولم يقل: وقال نوح بالواو؛ لأن قال تعني: كلام مستأنف جديد.

﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ﴾: من ابتدائية بمعنىٰ الذي، لم للنفي.

﴿يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر، خساراً: في الدّنيا والآخرة أي: ضلالاً وخسراناً، أي: قومه عصوه واتبعوا أصحاب الأموال والأولاد المكذبين بآيات الله أولي النّعمة (المال والبنين) أي: الجاحدين بآيات الله تعالىٰ.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾:

﴿وَمَكَرُوا﴾: أي: قوم نوح.

﴿مَكْرًا﴾: المكر هو التّدبير الخفي لإلحاق الضّرر بالغير، ولا يعلم ذلك الممكور به؛ فهم قد مكروا بنوح، وسخروا منه، وسعوا في الأرض فساداً بالشرك والتكذيب.

﴿كُبَّارًا﴾: صيغة مبالغة من الفعل الثّلاثي كبر، فهناك كبير وأكبر وكبار والكبار: أكبر من الكبير.

كباراً: علىٰ وزن فعّال أي: مكروا مكراً ليس هناك أكبر منه، وهو قتل نوح عليه السلام وأتباعه ونشر الفساد في الأرض.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: الملأ الذين كفروا من قومه قالوا للأتباع أو لقومهم.

﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾: لا النّاهية، لا تدعُن أو تتركن عبادة آلهتكم وأصنامكم من أجل نوح والنّون في تذرن للتوكيد.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ﴾: تكرار لا تذرن: تفيد التوكيد وعدم ترك عبادة الآلهة أو هؤلاء الأصنام.

﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: هذه الأسماء هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، كما روىٰ البخاري عن ابن عباس، ولما هلكوا اتخذوا لهم أصناماً بعد موتهم فعبدوها، رغم تحذير نوح لهم، كانت هذه أعظم أصنام قوم نوح، ثم انتقلت هذه الأصنام إلىٰ العرب، فكان لقبيلة كلب الصنم ودٌّ بدومة الجندل، وأما الصنم سواع فكان لقبيلة هذيل.

وأما يغوث فكان لغطفان عند سبأ.

ويعوق لهمذان.

ونسر: لحمير، لآل ذي القلاع.

وقيل: كان الصنم ودٌّ علىٰ صورة رجل، وسواع علىٰ صورة امرأة، ويغوث علىٰ صورة أسد، ويعوق علىٰ صورة فرس، ونسر علىٰ صورة نسر، وقوله: لا تذرن آلهتكم تشمل كل الآلهة، ثم جاء بعدها وأكد علىٰ خمسة من هذه الآلهة، ففيه عطف الخاص علىٰ العام للاهتمام والتّوكيد.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾:

هذا تتمة لقول نوح: رب إنهم عصوني.

﴿وَقَدْ﴾: الواو عاطفة، قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: تعود علىٰ قادة ورؤساء الكفر من قوم نوح أضلوا بأقوالهم وأفعالهم بالأصنام كثيراً من النّاس وصدوهم عن اتّباع نوح عليه السلام.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: دعا نوح على الظّالمين من قومه بعد أن أوحى إليه ربُّه: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦].

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: النّاهية.

﴿تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾: المشركين الكافرين.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ضَلَالًا﴾: بُعداً عن طريق الهدى والحق أو خسراناً، وتناسب ما سبقها من القول وقد أضلوا.

[٢٥] ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾:

﴿مِّمَّا﴾: أصلها من الابتدائية أو تعليلية أو سببية، ما: تفيد التّوكيد.

﴿خَطِيٓـَٔاتِهِمْ﴾: أي: بسبب خطيئاتهم في العقيدة وخطيئاتهم جمع قلة تعني: الكبائر كبائر الذّنوب، ومنها الشرك بالله بينما خطاياهم تعني: الذّنوب الصّغيرة والكبيرة.

﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾: أُغرقوا بالطّوفان.

﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب بعد غرقهم أدخلوا ناراً نار البرزخ، ثم نار جهنم.

﴿فَلَمْ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله تعالى.

﴿أَنصَارًا﴾: جمع نصير، أعوان يشفعون لهم أو يدفعون عنهم العذاب.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾:

دعا نوح بهذا الدعاء بعد أن أوحى إليه ربه: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود:٣٦].

﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾: لا النّاهية لا تترك على وجه الأرض.

﴿مِنَ﴾: استغراقية تشمل كل كافر.

﴿الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾: أي: لا تبق من الكافرين على وجه الأرض حياً يسكن الدّيار، أو يمشي في الأرض، دياراً: مشتقة من الدّار أي: نازل داراً أو مشتقة من الدّوران هو التّحرك أي: يمشي.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾:

هذا تعليل أو تفسير لدعائه وطلبه من الله تعالى أن يهلك الكافرين.

﴿إِنَّكَ إِن﴾: تعليلية وتفيد الاستقبال.

﴿تَذَرْهُمْ﴾: تبقيهم أحياء ولا تهلكم بعذاب.

﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾: يزيدوا عبادك ضلالاً وحيرة وبعداً عن طريق الحق والصواب والهدى.

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: النافية.

﴿يَلِدُوا إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فَاجِرًا﴾: اسم فاعل من الثّلاثي فجر، والفجور: يعني: التمادي في المعاصي والفواحش والفسوق، وقيل: هو فساد القول والفعل والكفر هو فساد العقيدة أي: الاعتقاد أو الفساد والميل عن الحق إلى الباطل.

﴿كَفَّارًا﴾: صيغة مبالغة أي: كثير الكفر، وتفيد التكرار، والتجدد، والاستمرار على الكفر، وبارع في ممارسة الكفر ومدمن عليه، وكفاراً تضم كل الكافرين . ارجع إلى سورة الممتحنة آية (١٠) للبيان.

السّؤال هنا: كيف علم نوح أنّهم لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً، الجواب: لأنّ الله سبحانه أخبره أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وأنّهم لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً.

[٢٨] ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾:

هذه دعوة نوح الثّانية والأولى كانت رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً أو هي تتمة دعاء نوح الذي دعا فيه رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، ثم قال: رب اغفر لي ولوالدي.

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾: الغفر هو السّتر أي: استر ذنوبي وسيئاتي وامحوها ولا تعاقبني عليها؛ أي: بدأ بنفسه.

﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾: قيل: كانا مؤمنين بدأ بنفسه، ثم بالدّعاء لوالديه، ثم لولده وعائلته، ثم استغفر لوالديه.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾: أي: داره أي: ولده وعائلته. وقيل: بيتي: مسجدي، ثم استغفر لمن دخل بيته مؤمناً؛ أي: من أسلم أو آمن من أهل بيته؛ لأن امرأته لم تكن مؤمنة.

ولا تعني كل من دخله من البشر؛ لأنّه قال بعد ذلك وللمؤمنين والمؤمنات أي: لكل مؤمن ومؤمنة.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: والمؤمنين تضم الذّكور والإناث كلا الجنسين،

ثم عاد وذكر المؤمنات أي: عطف الخاص على العام للاهتمام والتّوكيد، فهو بدأ بالاستغفار من الأقرب إلى الأبعد.

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾: الواو عاطفة، لا النّاهية.

﴿تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين.

﴿إِلَّا تَبَارًا﴾: إلا أداة حصر، تباراً: هلاكاً من تَبَره إذا أهلكه فاستجاب له ربه فأهلكهم بالطّوفان فلم يبقِ من الكافرين أحداً؛ تباراً: تناسب مع سبقها من القول وهو: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [الآية:٢٦].

❖ ❖ ❖

سورة الجن

ترتيبها ٧٢ | آياتها ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحزب ٥٨

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ
ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

سورة الجن [الآيات ١ - ١٣]

ترتيبها في القرآن (٧٢)، وترتيبها في النّزول (٤٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: يا رسول الله ﷺ للذين آمنوا معك أنه أوحي إلي: الوحي لغة: الإعلام بالخفاء، ولمعرفة معنى الوحي ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣).

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: أي: أُخبرت عن طريق جبريل أن نفراً من الجن ذكور ما بين (٧-٩) كانوا يستمعون إلى تلاوتي للقرآن. وقيل: كان ذلك في صلاة الفجر في بطن نخلة بعد رجوعه من الطائف وقيل: في طريقه إلى سوق عكاظ، والقول: (استمع نفر من الجن) مقارنة بالقول: (استمع إلي)، أو (يستمع إليك): هو أن السياق في القرآن، وليس في رسول الله ﷺ.

﴿فَقَالُوا﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب. قال بعضهم لبعض، أو قالوا ذلك إلى قومهم من الجن بعد رجوعهم إليهم.

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾: قرآناً عجباً: عجباً مصدر يفيد المبالغة في العجب أكثر من عجيب لآياته ولبلاغته وحكمته. ارجع إلى سورة ق الآية (٢) لمقارنة عجيب عجاب وعجباً.

[٢] ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾:

﴿يَهْدِيٓ﴾: أي: القرآن إلى الرُّشد بضم الرّاء: أي: الصّلاح والاستقامة في أمور الدنيا والدّين والصّواب والتّوحيد والإيمان الصّحيح والرُّشد يقابله الغي. ارجع إلى سورة النساء آية (٦) لمقارنة الرُّشد مع الرَّشد.

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، آمنا به: صدقنا به مجرَّد استماعنا له.

﴿وَلَن﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾: الباء للإلصاق، بربنا أحداً: من الشّركاء أو الأصنام أو البشر.

[٣] ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: الواو عاطفة، أنه للتوكيد.

﴿جَدُّ﴾: الجدُّ: العظمة.

﴿تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾: تعالت عظمته خالقنا عن أن يتخذ صاحبة ولا ولداً.

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾: ما النّافية، اتخذ: صير أو جعل له صاحبة، الصاحبة: الزّوجة المصاحبة لزوجها حتى يكون لها ولد كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١].

وتكرار لا النّافية تفيد التّوكيد توكيد النّفي نفي كلٍّ على حِدَةٍ، نفي الصّاحبة

ونفـــي الولد ونفي كليهما معـــاً، وقدَّم الصّاحبة على الولـــد؛ لأنّ الولد يأتي من الصّاحبة فالصّاحبة هي الأصل.

ما اتخـــذ صاحبة ولا ولداً، ولم يقل: لم يتخذ صاحبـــة ولا ولداً، ما اتخذ هذه الصّيغة تستعمل في الغالب، أو الأصل للرد على قول أو سؤال، أما صيغة لم يتخذ صاحبة ولا ولداً فهذه الصّيغة تستعمل في سياق الأخبار أو التّعليل، وليس ردّاً على قول أو سؤال.

[٤] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: الواو عاطفة، أنه: للتوكيد.

﴿كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: أي: إبليس، الســـفيه: هو الجاهل، والسفه: الخفة في العقل والسّفه نقيض الحكمة؛ أي: غير الحكيم.

﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾: الشّـــطط: الجور والكذب من شـــط يشط: أي: بَعُدَ عن الحق والصّواب، أي: كأن يقول على الله سبحانه قولاً بعيداً عن الحق والصّواب، وشط عليه في الحكم؛ أي: جار وتجاوز الحد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: الضمير يعود على نفر من الجن.

﴿ظَنَنَّآ﴾: من الظّن الاحتمـــال الراجح وهو رجحان كفة الإثبات على كفة النّفي، والظّن ضرب من الاعتقاد أو الحسبان أي: حسبنا.

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿لَن﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بنسبة الزّوجة والولد إليه سبحانه وتعالىٰ أو الشّريك والند والمثيل وقدَّم الإنس علىٰ الجن؛ لأنّ الإنس أبعد عن الكذب علىٰ الله من الجن، والأنس أقرب إلىٰ الرشد فقدم الأفضل.

كذباً: جاء بصيغة النكرة ليشمل كل أنواع الكذب المطلق، أو غير المحدد أي: لم يخطر علىٰ بالنا أنّ أحداً يجترئ علىٰ الله أيَّ نوع من الكذب؛ أي: سمعنا هذا القرآن فعلمنا بطلان ما كنا نظنه من اتخاذ الصاحبة والولد.

[٦] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: أي: رجال من الإنس يعوذون: يلجؤون ويطلبون الحماية والعون والشّفاء وغيرها برجال من الجن يلجؤون إليهم مما يحاذرونه ويظنون أنّ الجن يستطيعون أن يقدِّموا لهم العون أو الحماية أو الشفاء، وقيل: يعوذون: أعاذ مما يخاف، ولاذ فيما يؤمل.

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: الرّهق قيل: الضّلال وارتكاب المحرمات، وأصل الرهق: غشيان المحظور، وقيل: التّعب والذّعر والخوف وزادهم رهقاً أنّ كلاهما الجن والإنس ازدادوا رهقاً من وراء هذا اللجوء، وطلب العون، ولا تعني الإنس وحدهم.

فلما جاء الإسلام منع ذلك وأمرهم بالاستعاذة بالله وحده، وذمَّ المستعيذين بغير الله تعالىٰ، وبيَّن أن الاستعاذة بغير الله نوع من الشّرك.

﴿يَعُوذُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع لتدل على حكاية الحال والتّجدُّد والاستمرار؛ مما يدل أن هذه الاستعاذة لا زالت قائمة.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾:

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: أن للتوكيد وأنّهم قد تعود على الجن أو تعود على كفار مكة أو كلاهما؛ أي: الجن ظنوا؛ الظن: هو الاحتمال الراجح، كما ظننتم يا كفار مكة أو بالعكس أنّه لا بعث ولا جزاء بعد الموت أو لن يبعث الله تعالى رسولاً مثل محمد ﷺ ينذر النّاس من عذاب الله ويدعوا إلى التوحيد.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾: أن: للتوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد، يبعث الله أحداً: بعد الموت للحساب والجزاء أو لن يبعث الله سبحانه رسولاً فأخطؤوا كما أخطأتم أو قد تشمل كلا المعنيين.

[٨] ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: تعود على الجن.

﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: لمسنا: لمس فعل ثلاثي معناها طلب والتمس معناها وكرَّر في الطلب أي: فيه مزيد من الطلب والجهد مثل جهد واجتهد، لمسنا السّماء: طلبنا الخبر أو قصدنا كالعادة بلوغ السّماء الدّنيا والاستماع إلى الملائكة لمعرفة خبر السّماء أي: بعض ما تقوله الملائكة.

فقد كان الجن يسترقون السّمع من الملأ الأعلى (الملائكة) لكي يخبروا بها الكهان وأولياءَهم إضلالاً للناس.

﴿فَوَجَدْنَاهَا﴾: الفاء للمبادرة والتّعقيب وجدناها: ملئت حرساً شديداً وشهباً.

﴿حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾: جمع حارس: وهم من الملائكة الأقوياء، وشهباً: جمع شهاب والشّهاب: نار محرقة تمتد من النّجم المشتعل نحو من أراد أن يسترق السّمع من الشّياطين، وليس كما كان يظن النّاس أن النّجم نفسه ينقض خلف الشّيطان.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: مردة الجن (من الشّياطين).

﴿كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: أي: أنا كنا نقعد في أماكن أو مواضع في السّماء معينة لاسترق السّمع سماع ما تقوله الملائكة من أخبار تخص أهل الأرض.

﴿فَمَن﴾: الفاء للتوكيد، من شرطية.

﴿يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾: بعد بعثة محمّد ﷺ.

﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾: الشّهاب: نار محرقة تمتد من النّجم (جزء منفصل من النّجم قوي ثاقب) أو نافذ، رصداً: مهيأ ومعد لينقض على كل من يسترق السمع ليحرقه.

اختلف العلماء: هل انقطع استراق السّمع بعد بعثة رسول الله ﷺ إلى الأبد، أم كان أمراً مؤقتاً؟ منهم من قال: إنّهم انقطعوا في زمن بعثته ﷺ أيْ: زمن

نزول القرآن حتى لا يلتبس الوحي بقول الكهان، ومنهم من قال: لا يزال قائماً، والله أعلم.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: تعود على الجن.

﴿لَا نَدْرِيٓ﴾: لا النّافية، ندري من الدّراية: وهي أخص من العلم والدّراية تكون بعد الجهل بالشّيء وبمنزلة الأخبار. أيْ: لا نعلم.

﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾: مبني للمجهول؛ لأنّه لا يجوز إسناد أيِّ شرٍّ أو عيب إلى الله تعالى سبحانه من باب التّأدب مع الله تعالى، ولأن ما يصيب أهل الأرض من شر هو بما كسبت أيديهم ويعفر عن كثير.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خيراً أو صلاحاً. رَشَداً من الرَّشد: بفتح الراء أي: الهداية اتباع الحق والصراط المستقيم (الدِّين).

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: تعود على الجن.

﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: المؤمنون المقيمون على الإيمان والطّاعة، والتوحيد.

﴿مِنَّا﴾: تكرار منا يفيد التّوكيد وفصلَ كلاً من الطّرفين عن الآخر أو كلاهما معاً.

﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾: الأقل في الصّلاح والإيمان والطّاعة.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾: طرائق: مذاهب، قدداً: جمع قدة وقد: أيْ: قطع أيْ: كنا مذاهب متعدِّدة مختلفة متفرِّقة في الاعتقاد غير ملتقية؛ أي: تفرقوا أو اختلفوا وكانوا شيعاً.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾:

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾: أيْ: أيقنا الآن بعد أن رأينا السّماء ملئت حرساً شديداً وشهباً.

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿لَّن﴾: للنفي، المستقبل القريب والبعيد.

﴿نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إن أراد بنا الله ضراً أو عذاباً فلن نستطيع النجاة.

﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ﴾: التّكرار يفيد توكيد النّفي.

﴿هَرَبًا﴾: من الهروب وهو الجري بسرعة مع الخوف ومحاولة التخفي والتستر، والفرار لا يكون بالتخفي والتستر، وإنما يكون بالانكشاف.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: تعود على النّفر من الجن.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾: أي: القرآن أو آيات القرآن تتلى من رسول الله ﷺ.

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: به تعود على القرآن أيْ: صدقنا به، أو تعود على ربنا أو تعود على محمّد ﷺ أو الكل.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾: الفاء للتوكيد، من شـــرطية. بربه: إيمـــان عقيدة أنه هو الإله الحق الذي يستحق العبادة والتوحيد.

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، لا النّافية.

﴿يَخَافُ بَخْسًا﴾: من البخس: نقص الشّيء على سبيل الظّلم أيْ: لا يخاف نقصاناً من حسناته ولو حسنة أيْ: يعطيه حقه كاملاً يوم القيامة.

﴿وَلَا رَهَقًا﴾: تكرار (لا) يفيد توكيد النّفي وفصل كلاً على حدة أو كلاهما معاً.

رهقـــاً: القهر والظّلم أيْ: لا يخاف نقصاً من ثوابه وحقه، ولا يخاف الظّلم والقهر ولا يخاف كلاهما، أو رهقاً يعني: أن نظلمه ونضيف إلى سيئاته ولو سيئة أو نعاقبه على شيء لم يعمله في الدّنيا.

❖ ❖ ❖

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

سورة الجن [الآيات ١٤ - ٢٨]

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: الواو عاطفة، أن للتوكيد.

﴿مِنَّا﴾: من الجن.

﴿ٱلْمُسْلِمُونَ﴾: جمع مسلم، والإسلام هو العدل أي: القِسط (بكسر القاف) أي: العادلون والموحِّدون المخلصون.

﴿وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾: بفتح القاف جمع قاسط أيْ: جائر وظالم والقَسَط هو الجور والظّلم أي: الجائرون عن طريق الإسلام طريق الحق إلىٰ طريق الشرك والكفر وأقسط تعني: أزال أو رفع القَسَط أي: الجور والظلم.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء للتوكيد، من شرطية.

﴿أَسْلَمَ﴾: أقام العدل أو حكم بالعدل، وأقامه أو أسلم لربه ووحده وأخلصه له.

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، أولئك اسم إشارة واللام للبعد وتفيد المدح.

﴿تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾: أصابوا الرّشد أو بحثوا عن الرَّشد أو التمسوه حتّىٰ وقفوا

عليه والرّشـــد الصّواب والحق والصّلاح. ارجع إلى الآية (١٠) للبيان، وسورة النساء آية (٦) لمزيد من البيان، والفرق بين الرُّشد والرَّشد.

[١٥] ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو عاطفة، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾: الجائرون الذين حادوا عن طريق الحق والصّواب، وساروا في طريق الضّلال والظّلم والكفر، أو الجائرون والظالمون.

﴿فَكَانُوا۟﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط.

﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: الـــلام لام الاختصاص، كانوا وقـــوداً لجهنم. ارجع إلى سورة الزمر آية (٣٢) لبيان معنى جهنم.

وفي هـــذه الآية تحذير لكل ظالم جائر، ولم يذكـــر في هذه الآية ما مصير المســـلمين الذين تحرَّوا رشـــداً أيْ: أخفى الجزاء ربما لأنّ ســـياق الآيات في العذاب، أو لأنّ الجزاء والثّواب مفهوم وهو الجنة.

[١٦] ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾:

القائل مجهول، وإنما المهم المقولة وهي:

﴿وَأَلَّوِ﴾: الواو استئنافية، أصلها وأن: المخففة تفيد التّوكيد، لو شرطية.

ولم يقل: ولو أنّهم اســـتقاموا: لكانت تعني هم فقط ولا تشمل غيرهم من الذين يسقون ماء غدقاً.

﴿ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: تعني: الثّبات والصّبر الاستمرار على الإسلام أي:

الإيمان والتّوحيد وطاعة الله ورسله، الطّريقة: طريق الإسلام واستقاموا تشمل الإنس والجن.

﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾: اللام لام التّوكيد والتّعليل.

﴿مَّآءً غَدَقًا﴾: ماء كثيراً، غزيراً من غدقت العين كثر ماؤها ماءً عذباً مباركاً.

كقوله تعالىٰ: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

وقوله: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

[١٧] ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾:

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: اللام لام التّعليل، نفتنهم فيه: في الماء الغدق أيْ: نوسع لهم في الخيرات لنفتنهم فيه؛ أيْ: نختبرهم فيه فننظر أيشكرون أم يكفرون.

﴿وَمَن﴾: الواو استئنافية، من شرطية.

﴿يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: عن عبادة ربه أو القرآن أو الإيمان.

﴿يَسْلُكْهُ﴾: يُدخله، من سلك: دخل، وسلك فيها معنىٰ الدّخول بسهولة الدّخول بحد ذاته فيه معنىٰ المشقة والصّعوبة.

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: عذاباً شاقاً صعباً، مشتق من الصّعود الذي يؤدّي بعد فترة إلىٰ التّعب وعدم القدرة علىٰ الحركة وضيق النّفس، وقيل: يطلب منه أو يكلفه بصعود جبل في جهنم كلما انتهىٰ من صعوده هوىٰ به إلىٰ القاع، ثم يطلب منه الصعود مرة أخرىٰ، وهكذا بلا انقطاع.

[١٨] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: الواو عاطفة أن للتوكيد.

﴿ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص والملكية؛ المساجِد: بكسر الجيم؛ أي: المساجد بيوت الله التي نصلي فيها والمساجد: قد تعني البقاع كلها، كما روىٰ البخاري ومسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

والمساجَد: بفتح الجيم تعني: الأعضاء السبعة التي نسجد عليها: الجبهة والأنف واليدان والركبتان وأصابع القدمين.

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر، لا النّاهية.

فإذا دخلتم بيوت الله ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: أيْ: فلا تشركوا به شيئاً ولا تعبدوا إلا إياه فيها فلا تذهبوا إلىٰ قبور الأولياء أو غيرها وتتقربوا إليهم، وإذا كان المعنىٰ الأعضاء التي نسجد عليها، فذلك يعني: لا تسجدوا بهذه الأعضاء السبعة إلا الله وحده، وإذا كان المعنىٰ: الأرض مسجداً أيْ: لا تسجدوا عليها إلا لخالقها: ولم يقل: فلا تدعوا فيها لو قال ذلك، لكان يعني لا تدعوا فيها إلا الله، وفي غيرها يمكن لكم أن تدعوا معه، وهذا لا يصح؛ لأن عدم الشّرك به والإخلاص له يكون في المساجد، وفي غيرها من الأماكن.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾:

﴿وَأَنَّهُۥ﴾: الواو عاطفة، أنه للتوكيد.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية بمعنىٰ حين ومتضمن معنىٰ الشّرط.

﴿قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾: أيْ: محمّـد ﷺ يُصلي له ويعبـده قام بين يدي الله يصلي إليه ويدعوه في بطن النّخلة، واختار عبد الله بدلاً من رسـول الله ﷺ أو نبي الله؛ لأنّ الجن حديثو عهد بالإسـلام وعبد الله أفضل الألقاب؛ لأنّه يحمل شـرف العبودية والطّاعة لله، ويحمل معنىٰ التّواضـع والتّذلل والإخلاص لله وحده.

﴿كَادُوا﴾: من أفعال المقاربة (وهي كاد أيْ: أوشـك، قرب) تدل علىٰ أنّ الفعل المذكور كاد يحدث أو يقع.

﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾: لِبداً بكسر اللام جمع لِبدة: اللبدة: هو الشّعر الذي فوق رقبة الأسـد المتلبد بعضه فوق بعض أي: المتراص من كثرته، وشبهت جماعة الجن أو قريش التي ازدحمت علىٰ رسـول الله ﷺ بالشّـعر المتلبد من شـدة الازدحام حرصاً علىٰ سماع القرآن الكريم.

[٢٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿أَدْعُو رَبِّي﴾: أيْ: أعبد الله وحده مخلصاً له الدِّين.

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: النّافية.

﴿أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾: مهمـا كان من ولد أو صاحبة أو طاغوت أو رسـول أو ملائكته، وقدَّم (به) علىٰ (أحداً): للحصر والتوكيد.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ﴾: لكفار قريش لا أملك لكم، لا: النّافية، لا أملك القدرة ولا الملكية على النفع أو الضَر.

﴿ضَرًّا﴾: بفتح الضّاد مقابل النّفع وتعني: الضّلال، وأمّا الضُّر بضم الضّاد فتعني المرض والسّوء.

﴿وَلَا رَشَدًا﴾: تكرار لا تفيد النّفي، وفصلَ كلاً على حِدَةٍ أيْ: لا الضّر ولا الرَّشَد ولا كلاهما، رشداً: هداية، وقيل: الرَّشد: الصّواب والإيمان والهدى ويقابل الغي. ارجع إلى الآية (١٠) وقدَّم الضّر على الرَّشد؛ لأن سياق الآيات في العذاب.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَنْ﴾: للنفي المستقبل القريب أو البعيد.

﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾: أيْ: إن أرادني الله بضر أو عذاب فلن يدفع عني أو يحميني من عذاب الله من أحد من خلقه، من: استغراقية تستغرق كل أحد.

﴿وَلَنْ﴾: تكرار لن تفيد توكيد النّفي نفي المستقبل القريب أو البعيد.

﴿أَحَدٌ مِّن دُونِهِۦ﴾: من غير الله.

﴿مُلْتَحَدًا﴾: أي: المكان أو الملجأ الذي أميل إليه أو أركن إليه لكي يحميني من الله سبحانه، ملتحداً من الالتحاد بمعنى الميل، وألحد مال، فالإنسان حين يجد نفسه أمام عذاب أو شر قادم يحاول أن يلجأ أو يستجير بأحد كي يحميه أو يدافع عنه أو يجد مكاناً يلجأ إليه، والحقيقة أنّه لا يجد أحداً يلجأ إليه ليحميه ولا ملجأ يلجأ إليه إلا الله وحده.

[٢٣] ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾:

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾: إلا أداة استثناء، إما من الضّر والرّشد، أو من (لن يجيرني من الله أحداً).

أيْ: قل: لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا البلاغ أو لا أملك لكم نفعاً ولا ضراً إلا تبليغكم رسالات ربكم وما أمرني به أو نهاني عنه هذا كل ما أملكه، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه.

أو لن يجيرني من عذاب الله أحداً أو أجد من دونه ملتحداً إلا إذا بلغتكم رسالاته فقد أديت الأمانة.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: الواو استئنافية، من شرطية تفيد المفرد والجمع والمثنى.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: الخلود يبدأ من زمن دخولهم إياها ويستمر إلى ما لا نهاية.

[٢٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾:

أي: لا يزالون على كفرهم وعصيان الله ورسوله حتى يرون.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾: (ما): بمعنى الذي ما أوسع شمولاً، يوعدون: من العذاب بالهزيمة أو القتل في الدّنيا مثل يوم بدر أو العذاب يوم القيامة.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، سيعلمون: السّين للاستقبال القريب.

﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾: أضعف قوة أو عدة وعتاد، الكفار أم الذين آمنوا.

﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: الكفار أم الذين آمنوا.

[٢٥] ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله لكفار قريش.

﴿إِنْ أَدْرِىٓ﴾: إن: نافية، أيْ: ما أدري (إن أقوى نفياً من ما).

﴿أَقَرِيبٌ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري.

﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾: ما أدري الذي أو كل ما توعدون من العذاب هل سيكون قريباً.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾: أيْ: يؤخره لزمن بعيد، وقدَّم (له) الجار والمجرور للحصر.

والأمد أما أن يكون ظرفاً للزمان أو المكان، وهنا في هذه الآية هو للزمان؛ أي: هو: الزّمن، أيْ: ما توعدون يحتمل أن يكون قريباً أو بعيداً فأنا لا أدري.

لنقارن هذه الآيــة ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ مع الآية (١٠٩) من سورة الأنبياء وهي قوله: ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾.

ففي آية الجن لم يقابل القريب بالبعيد لم يقل أقريب أم بعيد؛ لأن السّــياق في آية الجن في الدّنيا، وأمّا السّياق في آية الأنبياء فهو في الآخرة لقوله: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أمــا في آيــة الجن فالعذاب يحتمــل أن يكون قريباً فــي الدّنيا (مثل بدر) أو بعيداً (يــوم القيامة) بينما في آية الأنبياء محصور في يوم القيامة.

[٢٦] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: الغيب تعريفه: ما غاب عن العباد واستتر عن العيون.

والغيب أنواع: منه الغيب المطلق مثل علم السّــاعة، فهذا الغيب اســتأثر به الله وحده لا يطلع عليه أحد والغيب النّســبي هــذا النّوع من الغيب يمكن أن يطلع الله سبحانه بعض رســله، كما نرىٰ في قوله ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ آية (٢٧) وهناك غيب يمكن أن يطلعه الله علىٰ بعض خلقه مثل الرّؤىٰ الصّالحة أو اكتشاف شيء جديد كان غيباً. ارجع إلىٰ سورة الأنعام الآية (٧٣) للبيان في عالم وعلام وعليم.

﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: الفاء للتوكيد، لا النّافية.

﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾: ولم يقل: عليه (تعني: الرسول) لأنّه سيرى في الآية القادمة أنّه يظهر بعض رسله على غيبه.

﴿أَحَدًا﴾: هذا بالنّسبة للغيب المطلق.

ما هو الفرق بين ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩] ما هو الفرق بين يظهر ويطلع، يظهر من الإظهار، ويكون عدة مرات، كما حدث لرسول الله ﷺ، أما الاطلاع فيكون فقد لمرة واحدة.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء أيْ: لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول.

﴿مَنِ﴾: لابتداء الغاية.

﴿ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾: أي: اختار من رسول أيْ: من ارتضاه أن يكون رسولاً.

﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء تعليلية إنّه للتوكيد.

يظهره على ما يشاء من غيبه ليكون معجزة دالة على صدق نبوته أو ليخبر النّاس ببعض أمور الآخرة والحساب والجزاء.

﴿يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾: يسلك: يقيم من بين يديه: من بين الرسول المرتضى الرّصد: حفظه: أيْ: ملائكة يحرسونه من بين يديه أيْ: من أمامه ومن خلفه من مردة الجن أو الشّياطين حتى يمنعوهم من استراق السّمع لما يدور بين جبريل وأيِّ رسول، وحتى لا يتشبهوا بصورة ملك من الملائكة أو

ليلبسوا عليهم دينهم حتىٰ يتمكَّن الرّسول من تبليغ رسالة ربه، وحفظ ما ينزل من الوحي.

[٢٨] ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾:

﴿لِّيَعْلَمَ﴾: اللام لام التّعليل، ليعلم الرسل أو الرّسول مثل محمّد ﷺ أو غيره فيكون عليه حُجَّة ودليلاً، أو لإقامة الحُجَّة علىٰ النّاس أيضاً أن الكل بُلغ، أو ليعلم كل الرّسل أيْ: يكون عليهم حُجَّة يوم القيامة، أو علىٰ أممهم ولا يقصد ليعلم الله فالله سبحانه يعلمُ ذلك منذ الأزل.

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتّوكيد.

﴿أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾: من دون تحريف أو نقص أو زيادة.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: بما لديهم أي: الرّسل والملائكة والنّاس أجمعين من العلم وبما لديهم من الأدلة والحجج والأعذار والأقوال والأفعال.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾: الإحصاء هو العد والحفظ معاً، أيْ: لم يفته شيء من قول وفعل أو إنس أو جنٍّ أو شيء أو أمر.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

ترتيبها ٧٣ | آياتها ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

سورة المزمل [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٧٣) وترتيبها في النّزول (٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾: يا: النداء والهاء للتنبيه، والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

﴿الْمُزَّمِّلُ﴾: وأصلها المتزمل أبدلت التّاء زايـاً، وأدغمت الزّاي في الزّاي من المزمل من تزمل الفعل الخماسي بمعنى تلفف بثوبه (أيها النّبي أو أيها الرّسول ﷺ) المتزمل أي: المتلفف بثيابه أو بغطاء النوم، والعرب كانت تخاطب أحياناً الفرد بالهيئة التي يكون عليها، وهذا من قبيل التودُّد والتحبُّب.

[٢] ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿قُمِ﴾: للصلاة وذكر ربك.

﴿اللَّيْلَ﴾: من غروب الشّمس إلى طلوع الفجر؛ أي: قم والقيام من أفعال الصّلاة فعبر بالجزء وهو القيام، وأراد الكل وهو الصّلاة، فهذا يسمّى المجاز المرسل. وقيام الليل جاء قبل فرض الصلاة المكتوبة الذي حصل في ليلة الإسراء والمعراج؛ حيث قام رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين يصلون سنة كاملة حتى ورمت أقدامهم، كما أخرج الحاكم عن عائشة.

[٣] ﴿نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾:

﴿نِّصْفَهُ﴾: صلِّ نصف الليل.

﴿أَوِ﴾: للتخيير.

﴿ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾: أي: انقص من النّصف قليلاً أيْ: صلِّ أقل من النّصف.

[٤] ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾:

﴿أَوۡ﴾: للتخيير أو تعني: وزد على النّصف أيْ: صلِّ أكثر من النصف إذا كنت قادراً على ذلك.

﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾: التّرتيل إخراج الحروف من مخارجها، وقيل: التّرتيل التّجويد أو قراءة القرآن على مهل وفهم، والقيام كان قبل فرض الصّلوات الخمس، وكان واجباً على النّبي ﷺ وأمته في بداية الإسلام وكان الرّسول ﷺ والصّحابة يقومون أغلب الليل خشية الإخلال بهذا الواجب، وفوات الوقت حيث كان ضبط الوقت عليهم أمراً صعباً، فلم تكن عندهم السّاعات والحسابات الفلكية لحساب زمن الفجر أو حساب الساعة أو النصف أو غيره فاشتد ذلك على الصّحابة.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ﴾: سننزل عليك، ولم يقل: إليك، المخاطب هو رسول الله ﷺ، على تفيد العلو والمشقة وتستعمل في سياق الأمور الثقيلة والشّاقة من التّكاليف والأوامر والنّواهي والفرائض والحدود.

﴿قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾: قولاً: أي: القرآن، ثقيلاً: بسبب نزول الوحي به (جبريل) قالت عائشة: لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه يتفصّد عرقاً كما روى البخاري في صحيحه.

أو ثقيلاً: بسبب ما فيه من الأحكام والفروض والعمل بها.

أو ثقيلاً: له وزن أيْ: ورصيناً ومهيباً، أو له أجر ثقيل في الميزان يوم القيامة لمن يقرؤه ويعمل به.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: عبادة الليل أو الصّلاة أو قيام الليل (التهجد) وقيل: الناشئة: هي النفس المتهجِّدة التي تنشأ من مضجعها أيْ: تنهض إلىٰ العبادة.

﴿نَاشِئَةَ﴾: اسم فاعل من الثّلاثي نشأ أو مصدر أو جمع ناشئ، وقيل: نشأ من مكانه إذا نهض من نومه للصلاة والعبادة أو ناشئة ما ينشأ في الليل، ويحدث فيه من أحداث، وقيل: النّاشئة القيام في آخر الليل أو وقت معين خاص من الليل، وقيل: الليل كله ناشئة أو ناشئة الليل: ساعات الليل والمعنىٰ يحتمل الكل.

﴿هِيَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أشد ثباتاً في القلب ورسوخاً بحضور القلب والسّكون وعدم الانشغال بأمور الدّنيا، وطئاً مشتقة من ضرب الأرض بالأرجل لكي تستقر، أو وطئاً تعني: أشد، ومواطأة: موافقة أيْ: يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه علىٰ تفهم القرآن.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أصوب وأبين قراءة مقارنة بعبادة النّهار وأحضر للسمع والقلب علىٰ تفهُّم القرآن.

وقيلاً: مصدر لفعل قال يقول أصلها قول، أو قيل: اسم وليس بمصدر عند البعض.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَكَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿فِي ٱلنَّهَارِ﴾: ظرفية.

﴿سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾: انشغالاً بحوائجك وأعمالك.

وسبحاً: مصدر الفعل الثّلاثي، سبح أيْ: تقلب في الماء والسّبح هو المر السّريع في الماء، واستعار ذلك للقيام بالمهام والحوائج والتّقلب في النهار وإذا ربطنا الآية (٦) مع الآية (٧) تكون النّتيجة:

إن عبادة الليل أو قيام الليل أشد وطئاً وأقوم قيلاً؛ لأنك في النّهار ستكون في سبحٍ في حوائجك وأعمالك أيْ: مشغولاً بأعمالك فلا تستطيع التفرغ للعبادة، فعليك بها في الليل، والجملة تعليلية لاختيار الليل للقيام دون النّهار.

[٨] ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾:

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾: أيْ: داوم على ذكر ربك بكل أنواع الذكر مثل التّسبيح والتّحميد والتّكبير والتّهليل والصّلاة وقراءة القرآن ودروس العلم، رغم انشغالك بأمور الدّنيا.

﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾: التّبتل قيل: الإخلاص لله تعالى، وقيل: التّبتل هو الانقطاع إلى عبادته عزَّ وجلَّ انقطاعاً كاملاً مشتقة من بتلت الحبل أيْ: قطعته، وللوصول إلى هذا الانقطاع الكامل يجب أن يكون بالتّدرج والزيادة (الإكثار منه) في آن واحد لقوله تعالى: تبتيلاً، الذي هو مصدر لفعل تبتل وبتل معاً.

والأصل أن مصدر الفعل تبتل هو تبتلاً ولم يقل سبحانه: وتبتل إليه تبتلاً، وإنما تبتيلاً الذي هو مصدر لفعل بتل، فجاء بالمصدر تبتيلاً ليجمع بين بتل وتبتل من باب الإيجاز (من بديع اللغة).

إذن تبتيلاً تعني: التدرج في التبتل والزيادة في آن واحد حتى تصل إلى

درجة البتل: أي: الانقطاع الكامل للعبادة حتى تصبح صفة ثابتة عند العبد ولا ننسى الإخلاص لوجه الله والإحسان بالعبادة والرضا بقضاء الله.

[٩] ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾:

لربط هذه الآية بالآية السّابقة يكون كما يلي:

واذكر اسم ربك رب المشرق والمغرب. ارجع إلى سورة الرحمن آية (١٧) للبيان.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: الفاء للتوكيد، أي: استعن به في تدبير أمورك كلها راجياً عونه وتيسيره وتوفيقه للوصول إلى ما ترجوه مع تقديم كل الأسباب المطلوبة منك. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان في معنى التوكل.

[١٠] ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾:

﴿وَٱصْبِرْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: يقول كفار قريش وغيرهم: إنك شاعر أو كاهن أو ساحر أو كاذب، ما: بمعنى الذي وما أوسع شمولاً من الذي أو مصدرية، يقولون: ولم يقل: على ما قالوا: للدلالة على تجدُّد قولهم واستمراره وحكاية الحال أيْ: بشاعة ما قالوا كأنه يقال الآن.

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: الهجر: الترك أيْ: تجنبهم ولا تتعرض لهم، والهجر الجميل الهجر من دون عتاب أو لوم لهم ولا تغلق كل الأبواب بينك وبينهم.

[١١] ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾:

﴿وَذَرْنِى﴾: ودعني ولا تهتم بهؤلاء المكذبين، فأنا أكفيكَهم.

﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: من زعماء وكفـــار قريش المكذبين بنبوتك، وبما أنزل الله، وغيرهم من المكذبين، والمكذبون جملة اســـمية تدل علـــى صفة الكذب ثابتة عندهم ولا أمل في إيمانهم.

﴿أُوْلِى﴾: أصحاب.

﴿أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ﴾: جاءت النَّعمة هنا بفتح النون ولم يقل: النِّعمة بكســـر النون، والتي تأتي في سياق الخير، وقال: النَّعمة بفتح النون التي تأتي عادة في سياق النّعمة المذمومة غير المباركة، نَعمة تشير إلى رفاهية ورخاء وبطر مذموم أيْ: أرباب الغنى والسّعة وترف العيش. الذين لا يشكرون الله تعالى على ما أنعم عليهم.

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾: أيْ: لا تســـتعجل لهم أو انتظرهم قليـــلاً في الزّمن حتى يهلكوا إما بانقضاء أجلهم أو قتلهم في الدّنيا، كما حدث في بدر.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾:

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾: إن للتوكيد، لدينا: ولم يقل: عندنا، أيْ: لدينا لهم، أيْ: لهم خاصة.

﴿أَنكَالًا﴾: جمع نَكِل: القيد الثّقيل أي: القيود الثّقيلة التي توضع في الأقدام لمنع حركة أقدامهم، وسمِّيت أنكالاً؛ لأنّه يُنكل بها أيْ: يُمنع بها حركة القدمين.

﴿وَجَحِيمًا﴾: نار محرقة شديدة الحرِّ والاتقاد تنتظرهم.

[١٣] ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: غير مستساغ يتوقف بالحلق أو البلعوم ولا يستطاع بلعه وهضمه مثل الضّريع والزّقوم وغيرها.

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: شديد الإيلام لا يقدرون على تحمُّله من نار جهنم.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أيْ: يوم تقوم الساعة وجاء بصيغة النّكرة للتهويل والتّعظيم.

﴿تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾: أيْ: تهتـز وتضطرب الأرض والجبال والرّجف هو أشـد من الزّلزلة فالأرض والجبال كلٌّ يتزلزل ويتحرك بعد الدكِّ والنسـف وتـزول الجبال، وتتبدَّل الأرض إلىٰ الأرض الجديدة التي سـنبعث منها، وهي أرض ستكون ﴿فَقَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه:١٠٧].

﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾: أي: بعد الدكِّ والنسف تتحوَّل الجبال إلىٰ كثبان رمـل (تلال رملية) مهيـلاً أي: رملاً هائلاً أي: إذا أخذت شـيئاً منه أو كمية من الرّمل انهال أعلاه، أو إذا تحرَّك أسفله انهال أعلاه (غير مترابط أو متماسك).

[١٥] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾: إنا: للتعظيم، أرسلنا إليكم: ارجع إلىٰ سورة البقرة (١١٩) للبيان، ولمعرفة الفرق بين الإرسـال والبعث، رسـولاً: هو محمّد ﷺ، إليكم: خاصة يا مشركين، ويا كفار قريش، وإلىٰ الناس كافة (عامة).

﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: يوم القيامة أنّه قد بلغ الرّسـالة أو شـاهداً علىٰ أعمالكم هل أطعتم أم عصيتم علىٰ إيمانكم، أو كفركم، شاهداً علىٰ من أجاب دعوته ومن أعرض عنها.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ﴾: كما: الكاف كاف التشـبيه، أرسـلنا موسـىٰ عليه السلام إلىٰ فرعون رسولاً، وهذا تحذير لأهل مكة وغيرها.

[١٦] ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾:

﴿فَعَصَىٰ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب.

﴿فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾: الرسـول: هو موسىٰ عليه السلام. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠٣) لبيان من هو فرعون.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾: أي: فرعون أخذناه: أي: أهلكناه بالغرق، أدخلت لام التّعريف على الرّسول موسى بعينه.

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾: الأخذ الوبيل: أي: الغرق في البحر، الوبيل: الوخيم شديد الوخام . ارجع إلى سورة الحشر آية (١٥) للبيان، وهذا تهديد لكفار مكة أن ينزل بهم العذاب، كما نزل بفرعون فهم أولى بالهلاك والدّمار إن كذّبوا رسولَ الله محمداً ﷺ.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدَّر معناه: إن جحدتم بيوم القيامة وكفرتم به، فكيف تتقون عذاب الله، كيف للاستفهام.

﴿تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾: أي: كيف تقون أنفسكم، إن شرطية تفيد الشّك جواب الشّرط محذوف للتعظيم والتهويل.

﴿كَفَرْتُمْ﴾: إن ثبتُّم على الكفر والشّرك بالله ولم تتوبوا إلى الله.

﴿يَوْمًا﴾: يوم القيامة، أيْ: كيف تقون أنفسكم عذاب يوم القيامة.

﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ﴾: الولدان: جمع وليد أي: حديثي الولادة، الولدان: تشمل الذّكور والإناث والولدان جمع قلة مقارنة بالأولاد جمع كثرة.

﴿شِيبًا﴾: أي: يتحول لون شعرهم الأسود إلى أبيض أو رمادي دلالة على شدة الخوف والرّعب من أهوال ذلك اليوم، وقيل: من طوله، وقيل: قد يبلغون عمر الشّيخوخة وهم ما زالوا فيه.

[١٨] ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾:

﴿ٱلسَّمَآءُ﴾: تعريفها لغة كل ما علاك، وتضم السّموات السبع، وهي تذكَّر أو تؤنَّث يجوز كلا الحالين.

﴿مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾: السّماء وعظمتها تنفطر في ذلك اليوم، منفطر به: من الفطر، وهو الشّق، أي: تتشقق وتنفطر. ارجع إلى سورة الانفطار آية (١) لمزيد من البيان.

به: الباء للإلصاق وبه قد تكون ظرفية أو سببية بسببه.

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، وعده: كل ما وعد سبحانه ومنها مجيء يوم القيامة.

﴿مَفْعُولًا﴾: كائناً أو واقعاً لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾: إن للتوكيد، هذه: الهاء للتنبيه، ذه اسم إشارة للقريب تشير إلى آيات القرآن، أو القرآن أو أهوال يوم القيامة أو ما حدث لفرعون وغيره من الأمم المكذبة برسلها.

﴿تَذْكِرَةٌ﴾: أي: هذه الآيات إذا قرأتموها تذكركم بالآخرة وما سيصيبكم يوم القيامة.

﴿فَمَن شَآءَ﴾: الفاء عاطفة، من شرطية، شاء: النّجاة من أهوال يوم القيامة وعذابه.

﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: سبيلاً: طريقاً أي: من شاء النّجاة من عذاب يوم القيامة سلك وسار في طريق الإيمان والتّقوى، والتّقرب إلى الله تعالى، بامتثال أوامره وتجنُّب نواهيه.

❖ ❖ ❖

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

سورة المزمل [الآية ٢٠]

[٢٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: إن للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾: للصّلاة والقيام أو التهجُّد، أدنىٰ من ثلثي الليل أي: أقل من ثلثي الليل أو تقوم نصفه، او تقوم ثلثه.

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾: أي: وطائفة جماعة من أصحابك تقوم الليل معك: لا تعني صلاة جماعة، معك تعني: من الذين آمنوا يصلون في بيوتهم.

والله يقدِّر: تقديم الله تعالىٰ للاهتمام والاختصاص يقدِّر طول زمن الليل والنهار في الربيع يتساوىٰ الليل والنهار وفي الصيف يطول النهار ويقصر الليل، وفي الشتاء يطول الليل ويقصر النهار.

﴿يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: أي: القادر علىٰ تقدير ساعات الليل والنّهار أي: معرفة مقاديرها؛ لأنهم رضي الله عنهم لم تكن عندهم ساعات تضبط لهم الزّمن والوقت، ومتىٰ نصف الليل أو ثلثه الأخير، ومتىٰ ينتهي، وكذلك ساعات النّهار.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾: تأكيداً لقول الله يقدِّر الليل والنّهار، علم الله سبحانه

أنكم لن تستطيعوا ضبط الأوقات أي: ساعات الليل والنّهار لتقوموا ثلثيه أو نصفه وثلثه، ولذلك كانوا يقومون معظم الليل مخافة أن يخطئوا.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: تقبل منكم القيام الممكن، وتاب عليكم بالتّيسير والتّخفيف.

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: هناك فرق بين التلاوة والقراءة؛ ارجع إلى سورة يونس الآية (٧١) للبيان؛ أي: فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل (صلاة القيام) وعبَّر عن الصّلاة بالقراءة (إطلاق الجزء على الكل وإرادة الكل)، وسمِّيت الصّلاة قرآناً، كما في قوله تعالى ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الفجر كما سمِّيت الصّلاة باسم أحد أركانها كالرّكوع والسّجود، ثم بيَّن ثلاثة أسباب أو أعذار تدعو إلى التّرخيص ورفعَ واجب أو فرض التّهجُّد منها:

١ - المرض.

٢ - والجهاد في سبيل الله.

٣ - والضّرب في الأرض للتجارة والابتغاء من فضل الله.

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾:

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾: تكرار ذلك للتوكيد، أي: صلوا صلاة القيام واقرؤوا ما تيسر من القرآن خارج الصلاة.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: صلوا الصّلاة المفروضة (الخمس صلوات) أدُّوها بأركانها وأوقاتها وشروطها وخشوعها.

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: المفروضة بمقاديرها وخالصة لوجه الله ومن مال طيب وتثبيتاً من النّفس.

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: ارجع إلى سورة الحديد آية (١١) للبيان المفصل في معنى القرض الحسن.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: شرطية.

﴿تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾: من استغراقية تستغرق كل خير، وخير نكرة تشمل كل أنواع الخيرات من الصدقات والأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج وزكاة ورعاية اليتيم وغيرها.

﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾: تجدوا ثوابه عند الله.

﴿هُوَ خَيْرًا﴾: هو: للتوكيد، خيراً: أفضل مما أنفقتم أو أفضل مما قدمتم من الأعمال.

﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾: الحسنة بعشرة أمثالها، أو قد تمتد إلى (٧٠) ضعفاً أو (٧٠٠) أو أكثر.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾: داوموا على الاستغفار والإكثار منه؛ لأنّ الإنسان لا يخلو من التّقصير وفعل السّيئات.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (١٧٣) للبيان.

❖ ❖ ❖

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

سورة المدثر [الآيات ١ - ١٧]

ترتيبها في القرآن (٧٤)، وترتيبها في النّزول (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا﴾: النّداء والهاء للتنبيه، والمنادىٰ هو رسول الله ﷺ.

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾: المتلفِّف بثيابه من تدثَّر: أي: لبس الدّثار وهو اللباس الخارجي الذي يستر ما تحته من الثياب، وأصل المدثر المتدثر وأدغمت التّاء في الدّال لتقارب المخارج، وهو إدغام الحرف الأضعف في الحرف الأقوىٰ، وفي هذا النّداء ملاطفة وعطف، وهو من أوّل النّداءات، وأما قوله: يا أيها المزمل: أي: المتدفئ بغطاء النوم أو الفراش.

[٢] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾:

﴿قُمْ﴾: انهض وقم من مضجعك.

﴿فَأَنذِرْ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، وهي كذلك في كل الآيات التالية (٢-٧).

أنذر من الإنذار وهو الإعلام مع التّحذير والتّخويف، وأنذر الكفار والمشركين والعاصين.

[٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾:

الواو حرف عطف.

﴿وَرَبَّكَ﴾: وعظِّم ربك بالتّكبير والتّوحيد عظِّم الله تعالىٰ فوق خلقه بالقول الله أكبر.

﴿فَكَبِّرْ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب.

[٤] ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾:

الواو حرف عطف، وثيابك: الثياب الخارجية التي تستر أو تغطي الجسم، وأما اللباس فهو الذي يستر العورة، ويكون بتماس مع جسم الإنسان.

وطهِّر: فاغسلها وطهرها من كلّ النّجاسات استعداداً للصلاة والفاء للمباشرة والتعقيب أي: والتزم بالطهارة المادية والمعنوية ولا تنسَ طهارة القلب.

[٥] ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾:

الواو عاطفة.

﴿وَالرُّجْزَ﴾: الرجز: العذاب، والرجس الأوثان والأصنام، واسم لما يُقتذر وبدلاً من القول: فالرجس فاهجر قال: الرجز؛ لأن العذاب الشديد مسبب عن عبادة الأصنام والأوثان، وهناك من قال: الرجس يشمل الشيطان والأعمال الخبيثة كالخمر والميسر وعبادة الأصنام والأوثان والإثم والعذاب واللعنة. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٥٩) للبيان المفصل في معنىٰ الرجز والرجس والفرق بينهما.

﴿فَٱهۡجُرۡ﴾: الفاء للمباشـــرة والتعقيب، داوم على هجرهـــا: تركها والبراءة منها، وتعني: اهجر كل عمل أو إثم يستوجب.

[٦] ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾:

الواو عاطفة.

﴿وَلَا﴾: النّاهية.

﴿تَمۡنُن﴾: مـــن المنِّ، وهو أن تذكّر النّاس بما أســـديت إليهم من نعمة أي: ولا تمنَّ على أحدٍ بما تقوم به من معروف أو مساعدة أو صدقة أو إحسان.

﴿تَسۡتَكۡثِرُ﴾: ولا تســـتكثر ما تعطيه رائياً ما تعطيـــه كثيراً، ولا تمن بعبادتك وطاعتك مهما كانت أو تستكثر عملاً قمت به، وإذا قدَّمت معروفاً فلا تتوقع عنه العوض.

[٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾:

﴿وَلِرَبِّكَ﴾: الواو عاطفـــة، لربك: اللام لام الاختصاص، أي: ابتغاء وجه ومرضاة الله فاصبر.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾: على طاعته وعبادته، وتجنَب معاصيه، اصبر على إبلاغ الرّسالة، اصبر على ما أصابك من قضاء وقدر، واصبر على ما يقولون والكلام موجَّه إلى المؤمنين بالله ورسوله.

[٨] ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء استئنافية، إذا: ظرفية شرطية حتمية الحدوث أي: تستعمل للشيء المحقَّق حدوثه.

﴿نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: النّاقور: هو الصّور أو البوق وأصل النّاقور الصّوت، والمراد به النّفخة الثّانية.

[٩] ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾:

﴿فَذَٰلِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط إذا، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: مركبة من يوم ظرف + إذ ظرف (أضيف إلى ظرف).

﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: صعب شديد على المؤمن والكافر لا يطاق لكثرة أهواله وشدائده، وقيل: يوم عسير فقط على الكافرين.

[١٠] ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾:

﴿عَلَى﴾: تفيد الاستعلاء والمشقة.

وقوله في الآية السّابقة: يوم عسير تعني غير يسير، ولكنه عاد وكرَّر للتأكيد على عسرة ذلك اليوم على الكافرين ولا يرجى تيسيره، وعلى المؤمنين يسير إن شاء الله برحمته وفضله.

ثم ينتقل للحديث عن أحد الطغاة المشركين وهو الوليد بن المغيرة، أو غيره.

[١١] ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾:

المناسبة: بعد أن أخبر سبحانه أنّه يوم عسير على الكافرين غير يسير، أمثال: الوليد بن المغيرة، وأمثاله من زعماء الكفر والشّـرك والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

﴿ذَرْنِي﴾: دعني، أو لا تشغل بالك به، أو اتركه إليَّ سأتولى أمره.

﴿وَمَنْ﴾: اسم موصول بمعنى الذي، ويفيد الذّم والتّحقير.

﴿خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾: أي: خلقته لا مال ولا ولد ولا زوجة ولا عشـيرة، وقال ابن عبّاس: كان الوليد بن المغيرة يقول: أنا الوحيد بن الوحيد.

مـا هو الفرق بين الوحيد وفرداً: الوحيد لم يكن معه أصلاً أحد لا ولد ولا زوجة ولا أنيس، ثمّ قد يصبح غير وحيد بعد أن يتزوَّج، أما الفرد: هو الذي تخلى عن غيره أو غيره تخلوا عنه.

[١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾:

﴿مَّمْدُودًا﴾: كثيراً، أو دائماً غير منقطع، أو ممدوداً على أرض واسعة ويأتيه من الزّرع والتّجارة والضّرع.

[١٣] ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾:

قيل: كان له حوالي (١٠) أولاد، يساعدونه في تجارته وتصريف أعماله.

﴿شُهُودًا﴾: لهـا عدة معانٍ: أي: حضور لا يغيبون عنه، أو مقيمون حوله في مكة لعدم حاجتهم للضرب في الأرض، شـهوداً يتمتع بمشـاهدتهم ورؤيتهم،

شهوداً تُسمع شهادتهم، أو الكلّ يراهم في المجالس والمحافل وأسواق التّجارة وقيل: أسلم منهم ثلاثة.

[١٤] ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا﴾:

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ﴾: مكنت له في قومه ليكون من زعماء القوم ورؤسائهم حتّىٰ لقب بريحانة قريش ومهدت من التّمهيد، كما يمهَّد السرير للطفل أي: في الحياة وسعة العيش والحصول علىٰ كلّ ما يشتهيه من الغنىٰ والجاه والسلطان.

﴿تَمۡهِيدًا﴾: للتأكيد.

[١٥] ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتباين بين طمع الدّنيا عن طمع الآخرة.

﴿يَطۡمَعُ أَنۡ﴾: الطمع: الحرص علىٰ طلب المزيد والزيادة.

أن: مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾: له في نعيم الدّنيا بزيادة ماله وجاهه، أو أزيد له بنيل الدّار الآخرة (الجنة) أو أزيد له بكلّ شيء.

[١٦] ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾:

﴿كَلَّآ﴾: كلمة ردع وزجر، كلا لن أزيده بعد اليوم، وعلَّل سبحانه لمنعه في الزّيادة:

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنّ للتوكيد، وهاء الضمير تعود علىٰ الوليد بن المغيرة، أو غيره.

﴿كَانَ﴾: تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿لِّآيَٰتِنَا﴾: اللام لام التّعليل، آياتنا: آيات القرآن، وإضافة الآيات له سبحانه للتشريف والتّعظيم.

﴿عَنِيدًا﴾: معانداً جاحداً معرضاً مخالفاً.

[١٧] ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾:

﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾: السّين للاستقبال القريب، أرهقه: من الإرهاق هو الشّعور الذي يحدث للإنسان بعد حمل الشّيء الثقيل الذي لا يطاق مثل التّعب والإعياء واللغوب، وقيل: الرّهق الغشيان رَهِقه الأمر: غشيه الأمر أو قهره.

﴿صَعُودًا﴾: بفتح الصّاد من الصّعد: المشقة فلان في صعد: أيْ: في مشقة العذاب، وقيل: جبل في جهنم يكلَّف بالصّعود عليه، وكلما وصل أعلاه سقط مرة أخرىٰ وهكذا، أيْ: سأكلفه وأحمله عذاباً شاقاً لا يطاق في نار جهنَّم.

❖❖❖

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

سورة المدثر [الآيات ١٨ - ٤٧]

[١٨] ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾:

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتأكيد وتعود على الوليد بن المغيرة.

﴿فَكَّرَ﴾: بعدما قرأ عليه الرّسول ﷺ القرآن، فكأنه رق قلبه فجاءه أبو جهل وكلَّمه وطلب منه أن يقول قولاً يدل على أنّه كاره ومنكر للقرآن حتّى يرضى عنه قومه، فقال: دعني حتّى أفكر.

﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في القرآن.

[١٩] ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾:

﴿فَقُتِلَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، قتل: لُعن وأُبعد، أو طُرد من رحمة الله، قُتل: هذا دعاء أوّل عليه في الدّنيا.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿قَدَّرَ﴾: ماذا سيقوله.

[٢٠] ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن؛ أي: استغرق زمناً وهو يفكر ما يقوله بشأن القرآن.

كرَّر الدّعاء بالقتل أو اللعن والطّرد من رحمة الله للدلالة على التّأكيد،

وتعني: الوليد بن المغيرة، وهذا هو الدّعاء الثاني عليه باللعن والطّرد في الآخرة والتأكيد على خسرانه.

وقيل: كرر (قدر) ثلاث مرات الأولى: قدر ما يريد قوله الرسول الله ﷺ، والثانية: قدر أن ما قاله رسول الله هو شعر، والثالثة: قدر أن ما قاله لرسول الله ﷺ هو قول كاهن.

[٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي؛ أي: أمعن واستغرق زمناً وهو يتمهل ولم يسرع.

﴿نَظَرَ﴾: تمهل فيما سيقوله وتروَّى.

[٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي؛ أي: بعد زمن طويل من التفكير والنظر فيما يقوله بشأن القرآن.

﴿عَبَسَ﴾: قطَّب جبهته بين الحاجبين.

﴿وَبَسَرَ﴾: كلح وجهه واسودَّ وظهرت عليه علامات الكراهية، والتجهم.

[٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾:

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: ثمّ أدبر عن الإيمان أيْ: دار ظهره بعد التريث والانتظار.

﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: أن يؤمن بالقرآن، ويتَّبع رسول الله ﷺ وأظهر عظم شأن نفسه ورفع نفسه فوق ما تستحق.

[٢٤] ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾:

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للتعقيب والتّرتيب والمباشرة، ولم يقل ثم قال إن هذا

إلا سحر يؤثر وجاء بالفاء، وهذا يدل على قوله إن هذا إلا سحر يؤثر صدر منه مباشرة دون تريث وتفكر كما حدث في الأمور الأربع السابقة، وكأنه قال ذلك على عجل، وعدم نظر ويقين وولى مدبراً من شدة الحرب النفسية التي حلت به.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾: إن: نافية تعني: ما، هذا: القرآن أو الآيات أو ما يتلوه محمّد ﷺ.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: اتهموه بالسحر لما رأوا تأثيره القوي في القلوب والنفوس وشبّهوه بالسحر الذي كان خارقاً للعادة، ويؤثر في أنفسهم، ولتعريف السّحر ارجع إلى سورة طه الآية (٥٨) وسورة البقرة آية (١٠٢).

[٢٥] ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾:

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾: إنّ نافية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يشير إلى القرآن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾: أيْ: ليس من كلام الله تعالى، بل هو قول البشر، وهذه الآية تأكيد للآية السّابقة، ما هذا القرآن وآياته إلا سحر يؤثر (يروى عن السّحرة) أيْ: هو سحر وقول البشر وليس كلام الله كقولهم: إنما يعلّمه بشر.

[٢٦] ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾:

السّين للاستقبال القريب، سأدخله وسأحرقه في سقر، وهي دركة من دركات النّار السّبع، وهي جهنم ولظى والسّعير والحطمة وسقر والجحيم والهاوية أو اسم من أسماء النّار.

[٢٧] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الاستفهامية.

﴿أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾: وما أعلمك أو نبأك ما هي سقر، فلا يعلم كنهها وعظمتها إلا الله، ومهما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، وسنطلعك على بعض شأنها الآن، فهي لا تبقي ولا تذر، ولمعرفة الفرق بين ما أدراك وما يدريك ارجع إلى سورة الحاقة آية (٣).

[٢٨] ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾:

﴿لَا تُبْقِي﴾: لا تبقي شيئاً حياً يلقى فيها إلا أهلكته وقضت عليه.

﴿وَلَا تَذَرُ﴾: ولا تذر من أهلكته يبقى ميتاً من دون عودة ثانية للحياة لكي يعذب ويموت، وهكذا كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٧].

[٢٩] ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾:

﴿لَوَّاحَةٌ﴾: تلوح وتظهر للعيان من مسافات بعيدة، فلا تخفى على أحد من البشر، أو لواحة من لوحته الشّمس: أيْ: أحرقته حرقاً كاملاً أيْ: مغيرة للون البشرة بالسواد بعد أن كانت بشرة حسنة الهيئة.

ولواحة للبشر قد تعني كلا المعنيين معاً.

﴿لِّلْبَشَرِ﴾: اللام لام الاختصاص، البشر: الإنس من أهل النار وسُّمو بشراً من البشرة بشرة جلد الإنسان المكشوفة وتعني: حسن الهيئة والظهور وعدم الاختفاء كالجن.

[٣٠] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾:

قيل: خزنة جهنم (١٩) من الملائكة.

لما نزلت هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل: يخوفكم محمّد بتسعة

عشر، أما له من جنود إلا هؤلاء؟ أيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم؟ قال كلدة بن خلف الجمحي: يا معشـــر قريش أنا أمشـــي بينكم أدفع (١٠) منهم بمنكبي الأيمن، و(٩) بمنكبي الأيسر، فندخل الجنة .

ويجب العلم أن عددهم تسعة عشر مذكور في التوراة والإنجيل ويعتبرون (١٩) عدة ناقصة واحد من عقد العشـــرين، ولم يقل: تسعة عشر ملكاً؛ لأن ذلك مفهوم من سياق الآية.

[٣١] ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾:

﴿وَمَا﴾: ما النّافية.

﴿جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾: خزنة جهنم.

﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾: إلا أداة حصر وفي المواضع الأربعة المذكورة في هذه الآية.

﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾: تكرار (وما جعلنا) للتأكيد.

﴿عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أيْ: عددهم القليل عدة (قلة) لأجل فتنة الذين كفروا: أمثال أبي جهل وأصحابه.

فتنة: ابتلاء، للذين: الـــلام لام الاختصاص، إلا ابتلاء لهم أيْ: ضلال لهم لإقامة الحُجَّة عليهم وعلىٰ إيمانهم.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾: اللام لام التّعليل: يستيقن: أيْ: يزداد تصديقاً وعلماً.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: (اليهود والنصـــارىٰ) لأنّه مكتوب عندهم في التّوراة

والإنجيل أنّهم (١٩) تسعة عشر، فيصدقون بالقرآن وبنبوة محمّد ﷺ؛ لأنهم وجدوا ما يوافق ما في كتبهم.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾: من أهل الكتاب ومن غيرهم من الذين آمنوا، إيماناً بمحمّد ﷺ وأنّ القرآن حق ومن عند الله تعالىٰ.

﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: لا: النافية، يرتاب: من الرّيبة وهي الشّك والتّهمة في عدد أصحاب النّار أو ما جاء في القرآن.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾: اللام لام التّعليل، الذين في قلوبهم مرض أي: المنافقون، والكافرون: أيْ: كفار مكة وغيرهم.

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: أيْ: ما الغاية أو الحكمة في هذا العدد، أو يريدون أن ينفوا أن يكون هذا العدد من عند الله تعالىٰ، وبالتّالي ينفوا أن يكون القرآن من عند الله تعالىٰ، وأنّ محمّداً ليس هو النّبي المنتظر، ماذا: أداة استفهام أشد وأقوىٰ استفهاماً من(ما).

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: بمثل هذه الأمثال وذكر الأعداد تسعة عشر أو يحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية، أو إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، يُفتن الذين آمنوا والذين في قلوبهم مرض والكافرون وغيرهم، فأمّا الذين آمنوا فيزدادون إيماناً ويعلمون أنّه الحق من ربهم، وأما الذّين في قلوبهم مرض فيتزلزل إيمانهم ويميلون إلىٰ الباطل وتتحول قلوبهم إلىٰ مواطن الريبة والكفر، وليس المهم هو العدد، وإنما إيمان العبد بما يقوله الرّب سبحانه.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾: ما النّافية، يعلم جنود ربك: الملائكة عددهم وكيفيتهم وعدتهم وقوتهم أو غيرهم من الجنود. ارجع إلىٰ سورة الفتح آية (٤) للبيان.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلا أداة حصر، وهو: للتأكيد، أي: الذي خلقهم وبعثهم بالحق.

﴿وَمَاهِيَ﴾: هي تعود على سقر.

﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾: إلا أداة حصر، ذكرى: تذكرة للناس تذكرهم بالحساب والاستعداد ليوم القيامة.

[٣٢] ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾:

﴿كَلَّا﴾: تعني: حقاً أو كلمة ردع وإبطال لما يزعم المشركون أو الكافرون أنّهم قادرون على الملائكة التسعة عشر.

﴿وَٱلْقَمَرِ﴾: الواو واو القسم، يقسم الله سبحانه بالقمر لأهميته، والله سبحانه غني عن القسم، فالقمر هو أقرب جرم سماوي إلى الأرض يبعد حوالي (٤٠٠ ألف كم) عن الأرض ويلعب دوراً مهماً في استقامة الحياة على الأرض، وتحديد الزمن والشهر واليوم ويلعب دوراً في المد والجزر، وتفتيت الصخور وتلطيف المناخ والفصول الأربعة والإنارة في الليل والشهر القمري أدق من الشهر الشمسي وغيرها من الوظائف.

[٣٣] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾:

﴿وَٱلَّيْلِ﴾: ويقسم بالليل إذا ولى ذاهباً أو مدبراً.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

[٣٤] ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾:

﴿وَٱلصُّبْحِ﴾: الواو واو القسم، يقسم كذلك بالصّبح أيْ: تبادل الليل والنهار أو النور والظلام من أعظم آيات الله سبحانه الكونية الدالة على كروية الأرض.

﴿إِذَآ﴾: ظرف للزمن المستقبل.

﴿أَسْفَرَ﴾: أضاء وانكشف، تقسيم ساعات الليل هي: الشّفق، ثمّ الغسق ثم العتمة، ثمّ السّحر، ثمّ الفجر، ثمّ الصّبح، ثمّ الصّباح.

وتقسم ساعات النّهار هي: الشّروق، ثم البكور، ثمّ الغدوة، ثمّ الضّحى، ثمّ الهاجرة، ثم الظّهيرة، ثمّ الرّواح، ثمّ العصر، ثمّ القصر، ثمّ الأصيل، ثمّ العشي، ثمّ الغروب (فقه اللغة للثعالبي).

[٣٥] ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّهَا﴾: إنّ للتوكيد، وهاء الضّمير تعود على سقر.

﴿لَإِحْدَى﴾: اللام لام التّوكيد.

﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾: الكُبر: جمع كبرى أيْ: سقر هي إحدى البلايا أو الدّواهي، الكُبر: أي: الأمور العظام، وقيل: إحدى الكُبر السبع وهي دركات جهنم وهي: جهنم، لظى، الحطمة، السّعير، سقر، الجحيم، الهاوية.

[٣٦] ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾:

﴿نَذِيرًا﴾: من الإنذار وهو الإعلام مع التّهديد والتّخويف.

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾: أي: الإنس البشر مشتقة من البشرة التي تشكل طبقة الجلد المميزة للبشر أو من البشارة وهي حسن الهيئة، أو تعني الظّهور بعكس الجن.

نذيراً: ولم يقل: نذيرة جاءت بصيغة المذكر أيْ: عذاب سقر أو عذاب النار أعظم الكُبر المنذرة.

[٣٧] ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾:

إذا ربطنا بين هذه الآية والتي قبلها يمكن القول: نذيراً للبشر لمن شاء أن يتقدَّم أو يتأخَّر.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

لمن شاء أن يسبق إلى الإيمان والطّاعة والخير أو يتخلَّف عن الإيمان والعمل الصّالح إلى الشّر والكفر لمن شاء أن يكون سابقاً للخيرات أو مقتصداً أو ظالماً لنفسه.

[٣٨] ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾:

أيْ: كلّ نفس يوم القيامة مرهونة بعملها أيْ: إيمانها وعملها الذي يفكها ويخلصها من العذاب.

﴿رَهِينَةٌ﴾: من الرّهن لغة: هو الثّبوت والدّوام أي: الحبس أيْ: كلّ نفس محبوسة بعملها، وشرعاً: هو ما جعل وثيقة للدَّيْن (القرض) كي يصبح رد الدَّيْن مضموناً بالعين المرهونة؛ أي: نفوسهم مرهونة حتى يسدِّدوا الدَّيْن (التكاليف الشرعية وما أمروا به من الفروض).

﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾: الباء السّببية أو البدلية، كسبت: من خير أو شر؛ فإذا لم يؤدوا الفروض أو ما كلِّفوا به عندها تؤخذ النّفوس المرهنة (وتعاقب) لأنّهم لم يقوموا بالفرائض.

[٣٩] ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾:

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء.

﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾: أي: الذين يأخذون سجلَّ أعمالهم أو صحائفهم يوم القيامة بأيمانهم، فهؤلاء لا يطلب منهم أيُّ رهان أيْ: لا تؤخذ أنفسهم كرهان.

[٤٠] ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾:

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿جَنَّٰتٍ﴾: جمع جنة، جنات الفردوس، وجنات عدن والمأوىٰ، وجنات الخلد والنّعيم، وغيرها.

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً ماذا حل بالمجرمين أو أين هم؟

[٤١] ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

الكافرين والمشركين والعاصين وعن تفيد المجاوزة والمباعدة. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان عن المجرمين.

[٤٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾:

﴿مَا﴾: استفهامية للإنكار والتّوبيخ.

﴿سَلَكَكُمْ﴾: أدخلكم، وسلك: دخل بسهولة والدّخول إما أن يكون بمشقة وصعوبة أو بسهولة، فإذا كان بسهولة يستعمل سلك.

﴿فِى سَقَرَ﴾: أيْ: ما أدخلكم في سقر. ارجع إلىٰ الآية (٢٦) للبيان.

[٤٣] ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾:

قالوا: أي: المجرمون.

﴿لَمْ نَكُ﴾: لم نك ولم يقولوا: نكن أو نكون، نك: حذف النّون هنا يدل علىٰ سبب بلاغي مقصود هو نفي الصّلاة عنهم أيْ: لم نك البتة من المصلين أي: لم

نصل أبداً ولا صلاة واحدة، أو حذف النّون إشـارة إلى عدم الرّغبة في الكلام أو الحديث عن الصّلاة لشعورهم بالخزي والعار؛ لأنهم لم يك من المصلين.

[٤٤] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾:

حذف النّون هنا أيضاً ولم نطعم أيَّ مسـكين أي شيء، أو أقل شيء، أو لا يريدون الحديث والكلام عن الصّدقة والزّكاة.

[٤٥] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾:

وكنا في الدّنيا نخوض مع الخائضين: نخوض بالباطل نخوض من خاض الماء أيْ: مشـى في الماء من دون العلم بعمق الماء الـذي يخوضه، أو فيما إذا كانت هناك حفرة ستزل قدمه فيها كالخوض في الحديث عن القرآن يعلمه بشر، أساطير الأولين، قول ساحر أو شاعر.

[٤٦] ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾:

تكـرار كنا للتأكيد، كنا في الدّنيا نكذب بيوم الدِّين، أيْ: لا نؤمن أو نصدِّق بيوم الحساب ويوم القيامة والبعث والجزاء.

[٤٧] ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿أَتَانَا الْيَقِينُ﴾: اليقيـن الموت واختار أتانا بـدلاً من جاءنا؛ لأنّ الموت أو اليقين لم يأت بعد، وإنما سـيأتيهم في المسـتقبل (حيـث يتحدثون عن حالهم عندما كانوا في الدنيا)، واليقين درجات: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وهو أعلاها.

❖❖❖

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٨

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

سورة المدثر [الآيات ٤٨ - ٥٦]

[٤٨] ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر أيْ: إذا كان هذا حالهم لم يكونوا من المصلين ولم يطعموا المسكين وكانوا يخوضون مع الخائضين، وكانوا يكذبون بيوم الدِّين، فلن تنفعهم شفاعة الشّافعين.

﴿تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾: مهما كانوا من الملائكة أو النّبيين أو الصّالحين أيْ: لو وجد من يريد أن يشفع لهم فلن تقبل شفاعتهم؛ لأنّ الشّفاعة لا تتم إلا برضا وإذن من الله، والشّفاعة لا تكون إلا لمن رضي له قولاً، أيْ: يكون المشفوع له من الموحِّدين مثلاً، أيْ: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾:

﴿فَمَا لَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، ما للاستفهام الإنكاري، لهم: اللام لام الاختصاص.

﴿عَنِ﴾: حرف مجاوزة وإبعاد.

﴿ٱلتَّذْكِرَةِ﴾: القرآن الكريم أو غيره من المواعظ.

﴿مُعْرِضِينَ﴾: لا يريدون الاستماع إليها أو صادِّين عنها.

[٥٠] ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾:

كأنّهم في إعراضهم عن الاستماع إلى القرآن الكريم أو التّذكرة أو الدِّين يفرُّون كالحُمُر الوحشية.

﴿حُمُرٌ﴾: جمع حمار، وحمار تجمع على حمير، والقرآن يستعمل كلمة حُمُرُ: للحمار الوحشي، وحمير كما قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾ [النحل:٨] يستعملها للأهلية المستخدمة.

﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾: مذعورة لا يمكن ركوبها أو الاستفادة منها.

[٥١] ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾:

﴿فَرَّتْ﴾: هربت.

﴿مِن﴾: ابتدائية.

﴿قَسْوَرَةٍ﴾: من الأسد، تشبيه قبيح لحالهم وفرارهم خوفاً من الاستماع إلى القرآن أو إلى رسول الله ﷺ وقيل: من الصياد.

[٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾: امرئ: تطلق على الرّجل رجال الجن والإنس وتشمل الكبار والصّغار، وكلمة امرئ أعم وأشمل من كلمة إنسان، منهم: خاصة من كفار قريش.

﴿يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: أيْ: يريد كلّ واحد منهم أو يطلب منك أن تنزل عليه كتاباً من السّماء منشوراً يدلُّ على أنّك رسول الله ﷺ، أو يدعوهم إلى الإيمان بالله والتصديق بالقرآن.

منشرة: مفتوحة غير مطوية الكل قادر على قراءتها.

[٥٣] ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وإبطال أيْ: لن ننزل عليهم صحفاً منشرة ولن نستجيب لمطالبهم.

﴿بَل﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾: لا النّافية لكل الأزمنة أيْ: هم لا يؤمنون بالبعث والحساب أصلاً، ولو خافوا الآخرة لما طلبوا منك ذلك، والنون في يخافون للتوكيد.

[٥٤] ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: أيْ: حقاً.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنّ للتوكيد والهاء ضمير يعود على القرآن الكريم.

﴿تَذْكِرَةٌ﴾: أي: خيرُ تذكرةٍ بالآخرة والاستعداد لها، وفي سورة عبس الآية (١١) قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، آية المدثر: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾: المراد به القرآن، وآية عبس: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: المراد بها الآيات التي وردت في سياق ابن أم مكتوم أو السورة.

[٥٥] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾:

﴿فَمَن﴾: الفاء عاطفة، من شرطية.

﴿شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: أراد قراءته، قرأه واتعظ به والمشيئة تسبق الإرادة.

[٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النّافية.

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: أيْ: يتعظون أو يؤمنون أو يقرؤونه.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن: للتوكيد؛ يشاء الله: ولم يقل بإذن الله تعالىٰ؛ إن شاء الله: تأتي في سياق الأعمال التي نقوم بها، أو نتدخل بها، وبإذن الله: تأتي في سياق الأعمال التي ليس لنا دخل أو يد؛ أي: خارجة عن إرادتنا.

﴿هُوَ﴾: ضمير يفيد التّوكيد والحصر.

﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: أيْ: هو المستحق للعبادة والتّقوىٰ وحده والذي يخاف عقابه أو أهل ليهب التقوىٰ لمن يشاء.

﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: تكرار أهل للتوكيد، وأهل المغفرة: الذي بيده ملكية المغفرة يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وهو وحدَه القادر علىٰ أن يغفر الذّنوب مهما كانت ولا يعاقب عليها، ويثيب علىٰ الحسنات، وأهلٌ لأن يهب المغفرة لمن يتقيه.

❖❖❖

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

ترتيبها ٧٥ آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٨

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

سورة القيامة [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٧٥) وترتيبها في النّزول (٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾:

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: لنعلم أن الله سبحانه وتعالىٰ غني عن القسم، والقسم إنما يشير إلىٰ عظمة وأهمية المقسم به وجواب القسم: كما قال تعالىٰ:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥].

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد:١].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَٰرِقِ وَالْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق:١٦].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥].

ويوم القيامة: يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ أي: يبعثوا من قبورهم للحساب والجزاء، ويوم القيامة له أسماء كثيرة منها: يوم الحشر، يوم الجمع، يوم التلاق... وغيرها.

فقد جاءت (لا) أقسم في ثماني آيات، وجاءت لا قبل فعل القسم (أقسم) في كل هذه الآيات واختلف علماء النحو في إعراب (لا)، فمنهم من قال: (لا)

زائدة يمكن حذفها، وتفيد زيادة توكيد القسم فمعنىٰ لا أقسم بيوم القيامة؛ أي: أقسم بيوم القيامة بالتوكيد.

ومنهم من قال: (لا) النافية لما قبلها أي: نافية لأمر ذكر قبل القسم مثل إنكارهم للبعث والحساب والحشر أيْ: (لا) ليس الأمر كما تنكرونه وأقسم بما تنكرونه. أو لا أقسم بذلك الأمر إلا إعظاماً له.

أو للتأكيد عن طريق النفي كقولك: لا أحتاج أن أوصيك بفلان.

ومنهم من قال: (لا) النافية لما بعدها: مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد:١].

﴿بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: يوم: ظرف زمان، القيامة: يوم البعث من القبور والبعث سيكون من الأرض الجديدة مصدر قام يقوم وأدخل عليها التّاء للمبالغة، وسمِّيت بذلك لقيام النّاس لرب العالمين، كقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦] أو لما يقوم فيها من الأهوال والأحداث العظام، وورد هذا الاسم يوم القيامة في سبعين آية من آيات القرآن الحكيم.

[٢] ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾:

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ﴾: الواو عاطفة، لا أقسم: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

أيْ: أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنّفس اللوامة: أي: النّفس التي تلوم صاحبها علىٰ تقصيره: إن أحسنت لامت صاحبها علىٰ عدم الزّيادة في الإحسان والعمل الصّالح، وإن أساءت لامت صاحبها علىٰ ذنوبه وتقصيره.

والنّفس اللوامة قد يكون صاحبها مؤمناً تقيّاً أو ظالماً أو غيره، واللوامة: أي: الدّائمة اللوم أو المبالغة، أيْ: كثيرة اللوم ولنعلم أن النّفس الواحدة تتقلّب

أو تمـــر بمراحل، أو أزمنة فيطلق عليها تارة النّفس الأمارة بالسّـــوء أو اللوامة أو النّفس المطمئنة.

أو هناك مـــن الأنفس طبيعتها الأمر بالســـوء، وأخرىٰ لوامـــة، أو مطمئنة وجواب القسم محذوف، وجوابه أن يوم القيامة حق وواقع لا محالة أيْ: لتبعثنَّ ولتنبئنَّ بما عملتم.

[٣] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾:

﴿أَيَحْسَبُ﴾: الهمزة للاســتفهام والتّوبيخ والتّقريع، حســب ويعني: يظن الظّن الرّاجح، وحسب من الحسبان المبني علىٰ الحساب والمعرفة.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الكافر أو المنكر للبعث أو يوم القيامة.

﴿أَلَّن﴾: أصلها أن: للتوكيد، لا النّافية.

﴿نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾: أيْ: نُنشــزها ونكسوها لحماً ونعيدها كما كانت في الخلق الأوّل أو نجمعها بعد أن تفرقت وكانت تراباً ورفاتاً.

هذه الآية قيل: هي جواب القســم المحــذوف وتقديره: لتبعثنَّ ولنجمعنَّ عظامه.

[٤] ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب.

﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن﴾: أن حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾: أيْ: لسنا نحن فقط قادرين علىٰ أن نجمع عظامه، بل قادرين أن نرد بنانه أيْ: أصابعه وأنامله التي في يديه وقدميه، والسّر في اختيار هذه العظام لكونها تحمل بصمات أصابع يديه ورجليه التي تحمل هويته الخاصة به.

والتي تختلف من إنسان إلى إنسان وتميزه عن غيره من طلاقة القدرة الإلهية أنه لا توجد بصمة تشابه الأخرى حتى التوائم، وكذلك هناك (٨) عظام في الرسغ، وكل أصبع ثلاث سلاميات ما عدا الإبهام فهو سلاميتان، هذه العظام الصغيرة والقادرة على حمل الأوزان الثقيلة، وكذلك عظام القدمين (٨) عظام إضافة إلى عظام الأصابع ثلاث عظمات في كل أصبع أو سلامة، أي: قادرين على أن نعيد بناء جسمه المركب من هذه العظام الصغيرة وغيرها.

[٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾:

﴿بَلْ﴾ للإضراب الانتقالي.

﴿يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الإنسان الظالم أو الكافر.

﴿لِيَفْجُرَ﴾: اللام لام التوكيد على إرادته الفجور، والفجور هو الإسراف في الكفر والإلحاد والعصيان وعدم التصديق بالبعث والحساب أو يقوم الذنوب ولا يتوب.

﴿أَمَامَهُۥ﴾: في حياته، أو المستقبل، وهذا يدل على أنّه يريد المداومة على شهواته وفجوره والعجلة في الوصول إليها إلى ذلك.

[٦] ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾: أيان: للاستفهام على الزّمان وتعني: (متى) وفيها معنى الاستبعاد لقيام يوم القيامة، يسئل سؤال إنكار وتكذيب أو استهزاء، كقوله لغيره: أتصدق أنّ هناك يوم قيامة، أو من قال لك أنّ هناك يوم قيامة.

[٧] ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾:

برق البصر: أيْ: زاغ البصر.

هذه الآية والآيات القادمة هي جواب للسائل المنكر أو المستبعد أيان يوم القيامة، أيْ: ما على السّائل إلا أن ينتظر قليلاً حتّى يرى بصره يزيغ ويتحيَّر إمّا عند موته، والأرجح يوم القيامة حين يرى الأهوال والعجائب التي كذب بها في الدّنيا أمام عينيه؛ مما يؤدِّي إلى تحيُّره فزعاً ودهشة.

[٨] ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾:

ذهب نوره أيْ: أظلم لم يعد يعكس الضّوء وتعطل أو خرج عن فلكه.

[٩] ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾:

فقد تبيَّن للعلماء أن القمر يبتعد عن الأرض (٣-٤سم) كل سنة، فلا بُدَّ أن تأتي لحظة أو زمن سيخرج القمر عن نطاق جاذبية الأرض وتبتلعه الشمس.

[١٠] ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾:

وفي ذلك اليوم؛ أي: يوم القيامة الذي يبرق فيه البصر ويخسف القمر ويجمع الشّمس والقمر يقول الإنسان أين المفر.

﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾: استفهام حقيقي عن المكان.

﴿ٱلْمَفَرُّ﴾: اسم مكان، مكان للفرار أو أين الملجأ أو المفر من عذاب الله.

[١١] ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر له عن طلب الفرار أو الملجأ.

﴿لَا وَزَرَ﴾: لا النّافية، وزر: ملجأ مثل الجبل أو الحصن لكي يأوي إليه أو يعتصم به.

هناك فرق بين الوِزر والوَزَر: الوَزر: الملجأ أو الحصن، الوِزْر: جمعه أوْزار: أيْ: آثام وذنوب.

[١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾:

تقديم الجـــار والمجرور (إلىٰ ربك) يفيد الحصر أيْ: إلىٰ ربك المصير أو المرجع أو المنتهىٰ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: الرّب هـــو الخالق والرّازق والمنعم والمربـــي والمدبر الذي يحتاج إليه الفار.

﴿الْمُسْتَقَرُّ﴾: مكان الاستقرار (الجنة والنّار).

[١٣] ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾:

﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ﴾: النبأ: هو الخبر العظيم. الإنسان: المؤمن أو الكافر، المطيع والعاصي.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة آنذاك.

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: بما: الباء للإلصاق ما اسم موصول بمعنىٰ الذي وما أوسع شمولاً من الذي.

قدَّم: من أعمال حسنة وسيئة أو خير أو شرٍّ.

وأخَّر: بعد موته من صدقة جارية.

أو أخَّر من حج أو عمرة أو زكاة أو دين.

[١٤] ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: أيْ: هو حُجَّة علىٰ نفســه أو تشــهد عليه أعضاؤه بالســوء أو تشهد له بالخير، شــاهد علىٰ نفســه ومراقب لها، أو شديد المعرفة

لنفسه يعلم ما قدَّمت يداه، كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل:١١١].

[١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية.

﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: جمع معذرة: جاء بكل معذرة ليعتذر بها أو يجادل بها عن نفسه جواب الشرط محذوف تقديره ما قبلت منه أو لن تنفعه أو لا يؤذن له ليعتذر.

[١٦] ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾: لا النّاهية، به: تعود علىٰ القرآن.

كان ﷺ خوفاً من أن يتفلت منه القرآن وحرصاً علىٰ حفظه يسارع جبريل عليه السلام ولا يصبر حتىٰ يتم جبريل التّلاوة أو القراءة عليه فينازع جبريل القراءة، أيْ: يبدأ يقرأ، ولم يتم جبريل قراءته فأوصاه الله تعالىٰ في هذه الآية أن ينصت ويستمع إلىٰ جبريل بقلبه وسمعه حتّىٰ ينتهي جبريل من التّلاوة أو القراءة، لتعجل به: اللام لام التّعليل أيْ: لا تقرأ وجبريل يقرأ.

[١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد علل النّهي عن العجلة بقوله: إنا علينا جمعه وقرآنه.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾: أيْ: تعهد الله سبحانه وتكفل أن يجمع القرآن في صدر رسوله ﷺ سواء بالحفظ أو النطق الصحيح وبحفظه مكتوباً أو بحفظه في صدور الناس.

[١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: إذا ظرفية شرطية تستعمل للأمور المتحقق وقوعها.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: أيْ: إذا قرأه جبريل عليك فاتبع قراءة جبريل واستمع وأنصت إليه حتى يتم، وقيل: فاتبع قرآنه أي: اعمل به وأحل حلاله وحرم حرامه.

[١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذّكري.

﴿بَيَانَهُۥ﴾: بيان ما فيه من أحكام وشرائع وحلال وحرام وحدود أو بيان ما اشتبه عليك من معانيه أو أحكامه، المبين هو جبريل عليه السلام، والمبين له هو رسول الله ﷺ، وتقديم علينا (الجار والمجرور) يفيد الاختصاص، فالله سبحانه مختص ببيانه، أو بيانه تعني تتلوه، كما يتلوه جبريل عليه السلام، وبلسان عربي مبين.

❖ ❖ ❖

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سكنة لطيفة على النون

سُورَةُ الْإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ آياتها ٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

سورة القيامة [الآيات ٢٠ - ٤٠]

[٢٠] ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: قد تعني حقاً أيْ: حقاً، أو كلا: كلمة ردع لا تعجل به يا محمد وتحرك به لسانك وعليك بالأناة والصبر، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه:١١٤].

﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ تحبون العاجلة؛ أي: الحياة الدّنيا القريبة مقارنة بالآخرة البعيدة؛ لكي لا يغتر بالحياة الدنيا العاجلة لقوله تعالىٰ: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]، ولا يعني ذلك: أن الله خلقه عجولاً، وإنما كثرة عجلته والدوام عليها يظن من ينظر إليه كأنه خلق عجولاً.

[٢١] ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾:

﴿وَتَذَرُونَ﴾: من فعل ذر: أيْ: ترك بسرعة وعجلة أي: لا تستعدُّون لها ولا تهتمون بها.

﴿الْآخِرَةَ﴾: أي: دار الآخرة دار القرار التي تحول الوجوه إلىٰ وجوه ناضرة أو وجوه باسرة.

[٢٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾:

﴿وُجُوهٌ﴾: مجاز مرسل أطلق الجزء وأراد به الكل؛ أي: الذات أو النفس.

﴿نَّاضِرَةٌ﴾: من النّضارة وهي الحسن أيْ: وجوه مشرقة دلالة على رضى وسرور النفس ومضيئة بنور الإيمان والأعمال الصّالحة.

تقديم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يفيد الاختصاص أي: في ذلك اليوم خاصة.

[٢٣] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾:

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾: تقديم الجار والمجرور إلى يفيد الحصر أو الاختصاص أيْ: لا تلتفت يمنة أو يسرة إلا إليه وتمعن النّظر إليه سبحانه.

﴿نَاظِرَةٌ﴾: وهذا هو أعظم النّعيم والغاية العظمى والدّرجة العليا في الآخرة، وناظرة: مؤنث ناظر اسم فاعل من نظر، والنظر إلى الله سبحانه من الغيب، نظر يليق بجلاله وعظمته.

[٢٤] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾:

﴿بَاسِرَةٌ﴾: مؤنث باسر والباسر اسم فاعل من بسر والباسر: شديد العبوس، باسرة من البَسْر: وهو تقبض عضلات الجبين وما بين العينين، أي: عابسة بشدة، فالانقباض يؤدّي إلى قلة التّروية الدّموية في الوجه؛ مما يؤدّي إلى تغير لون الوجه والزّرقة أو اللون الشّاحب والبَسْر.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: وتقديم يومئذ يفيد الاختصاص أيْ: في ذلك اليوم خاصة تراها باسرة.

[٢٥] ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾:

﴿تَظُنُّ﴾: من الظّن التردد الراجح وهو الذي ترجح فيه كفة الإثبات والعلم على النّفي، تظن أيْ: تعلم علم اليقين أو تتوقع.

﴿أَن﴾: للتعليل.

﴿يُفْعَلَ بِهَا﴾: الفاعل مبني للمجهول، ولا يجوز نسب الضّر والسّوء إلىٰ الله سبحانه الغني عن ذلك.

﴿يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: فاقـرة مأخوذة من الفقار وهي عظـام الظّهر المركب من فقرات، وفاقرة داهية عظيمة أو مصيبة سـتحل به وتقصم ظهره؛ أيْ: تكسر فقار ظهره، أو فاقرة مأخوذة من الفقر، أو الفاقرة الحدث الجلل الذي يؤدّي إلىٰ شلل كامل في العمود الفقري فلا يقوىٰ بعدها علىٰ الوقوف.

[٢٦] ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: حقاً، أو كلمة ردع وزجر.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية حتمية الحدوث.

﴿بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾: أي: الرّوح إذا انتزعت من أي إنسـان وبلغت أيْ: وصلت التّراقي: جمع ترقوة أيْ: عظم التّرقوة، ولكل إنسـان عظمان، كلّ منهما يسـمَّىٰ عظم التّرقوة علىٰ مسـتوىٰ أسفل العنق، أو أعلىٰ الصّدر، وفي آية أخرىٰ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾[الواقعة:٨٣]، ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعـة:٨٧]، وموقع الحلقوم أعلىٰ من موقع عظم الترقوة. ترجعونها؛ أي: هل أنتم قادرون علىٰ إرجاعها إلىٰ الجسم بعد انتزاعها منه.

[٢٧] ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾:

﴿وَقِيلَ﴾: مبني للمجهول (ليس المهم معرفة القائل وإنما المقولة).

﴿مَنْ﴾: استفهامية استغراقية.

﴿رَاقٍ﴾: راق: اسم فاعل من فعل رقى بمعنى يرقيه أيْ: يقرأ عليه الرُّقية كي يشفى ويُعيد إليه روحه بعد انتزاعها أو من يصعد أو يرقى بروحه إلى السّماء؛ أيْ: هل من رجل صالح أو طبيب يشفيه أو ملك يصعد بروحه إلى السّماء.

[٢٨] ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾:

﴿وَظَنَّ﴾: أيْ: تيقن وعلم أنّه الفراق.

﴿الْفِرَاقُ﴾: فراق الدّنيا والأهل والمال.

[٢٩] ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾:

﴿السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾: عند العرب كناية عن الشّدة أي: اجتمعت الشّدائد وصعب الكرب لمفارقة الأهل والمال والدّار والإخلاء أو جاءت سكرات الموت.

﴿وَالْتَفَّتِ﴾: فعل ماض أي: انتهى الأمر والتفت السّـــاق بالسّاق بالكفن أو تيبستا ولم تتحركا كأنّه أصابهما شلل ولم يعد فيهما فائدة أو حركة.

[٣٠] ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾:

﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، الأصل يومئذ إلى ربك المساق.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة الصّغرى، أو يوم تلتف السّاق بالسّاق.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾: إليه وحده فقط المساق، المساق مصدر ميمي من فعل ساق، المساق: أي: السّوق إلى أرض المحشر للحساب والجزاء.

[٣١] ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾:

تعود على الإنسان المكذب بالحساب والبعث.

وقيل: نزلت هذه الآية في أبي جهل والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾: الفاء استئنافية، لا النّافية، صدق: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولا صدق بالقرآن والبعث والحساب أو برسول الله ﷺ.

﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾: تكرار (لا) يفيد توكيد النّفي وفصل التّصديق عن الصّلاة أو كلاهما معاً لم يصدق، ولم يصلِّ معاً لم يصلِّ لربه الصلاة المفروضة التي هي أهم العبادات، وقدَّم التّصديق على الصّلاة؛ لأن الإيمان بالله هو الأساس وهو أكبر جرماً وضلالاً من ترك الصّلاة.

[٣٢] ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾:

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿كَذَّبَ﴾: بالله وآياته (القرآن) وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحساب.

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: ابتعد وأعرض عن عبادة ربه وتولى عن الصّلاة والزّكاة والصّيام والحج.

[٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: قد تفيد التّرتيب العددي أو التّوكيد.

﴿ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾: أيْ: لم يكتف بعدم التّصديق والإيمان وعدم الصّلاة وعبادة الله وطاعته، بل زاد على ذلك أنّه ذهب إلى أهل يتمطى يمد خطاه، وقيل: المطا: الظهر أيْ: يختال ويتبختر معجباً بنفسه مسروراً أنه آذى رسول الله ﷺ أو أصحاب رسول الله ﷺ أو تمادى في كفره وفجوره.

[٣٤] ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾:

﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾: أي: الويل لك يا من لم تصدق وتصلي وكذبت وتوليت وتعاليت، فأولى للتوكيد، وقيل: أولى لك فأولى: دعاء عليه بالهلاك والشّر العاجل أو تهديد ووعيد.

﴿أَوۡلَىٰ﴾: مشتقة من الوَلْي: وهو القرب قرب وقوع الهلاك أيْ: يا هلاكك يا مصيبتك، أو ويلك الويل أو أولاك عجَّل الله لك الهلاك أو العذاب المرة بعد المرة.

أولى لك: حياً؛ أي: في الدّنيا، أي: الويل لك في حياتك الدنيا والويل لك عند موتك.

﴿فَأَوۡلَىٰ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، فأولى؛ أي: الويل لك في حياة البرزخ والويل لك عند البعث.

[٣٥] ﴿ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التّرتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾: يا هلاكك ومصيبتك يوم البعث والحشر أو ويل لك يوم البعث والحشر، أو في يوم القيامة.

﴿فَأَوْلَىٰ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، فأولىٰ أيْ: في النّار أيْ: ويل لك أو يا هلاكك في النّار.

[٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾:

﴿أَيَحْسَبُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: من حسب أيْ: ظن الظّن الرّاجح القائم علىٰ حساب ونظر وتجربة أنه خلق عبثاً أو سدىٰ، ولذلك فهو ينكر البعث والحساب.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يُتْرَكَ سُدًى﴾: أيْ: أن يترك مهملاً فلا يكلف في الدّنيا ولا يجزىٰ في الآخرة ولا يؤمر ولا يُنهىٰ وأسدىٰ الشّيء: أيْ: أهمله، وإبل سُدىٰ أيْ: إبل مهمة بلا راع؛ أي: يترك بلا مراقبة أو رعاية ومحاسبة في الآخرة.

[٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام.

﴿يَكُ﴾: ولم يقل: يكن أو يكون، يك تدل علىٰ مبدأ الشّيء ولم يتطور بعد أو دور التّكوين لم يكتمل بعد؛ لأنّ يك تمثل بداية تطور الجنين.

﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾: أيْ: من نطفة الرّجل أي: الحيوان المنوي والذي يحتاج إلىٰ البويضة ليلقحها، فالنّطفة غير كاملة حتّىٰ يندمج الحيوان المنوي مع البويضة، من: ابتدائية أيْ: ماء دافق يخرج من بين الصّلب والتّرائب يُمنىٰ: يُخصب.

[٣٨] ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل على التّباين بين مرحلة النّطفة ومرحلة العلقة، أو تدل على التّرتيب العددي.

﴿فَخَلَقَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، خلق: الخلق هو التقدير والإيجاد.

﴿فَسَوَّىٰ﴾: فصار خلقاً سوياً سليم الأعضاء.

[٣٩] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾:

﴿فَجَعَلَ﴾: الفاء تدل على التّرتيب والتّعقيب.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: منه تعود على المني، جعل: الجعل يكون بعد الخلق، الخلق يكون من المني أي: النّطفة، والمني المكون من أكثر من (١٠٠ مليون) حيوان منوي، وفقط واحد من هذه يكون قادراً على اختراق البُويضة للإخصاب.

ومن المني (ماء الرّجل) يتكون (الذّكر والأنثى) أي: الزّوجان وليس للأنثى دخل في تشكل الذّكر أو الأنثى؛ إذاً الذي يحدد جنس المولود ذكر أو أنثى هو مني الرجل وليس المرأة؛ مني الرجل الحاوي على (كروموزومات) منها واحد هو يحدد كون المولود ذكراً أو أنثى، وهذا من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الدالة على القرآن منزل من الخالق، ولنعلم أنّه في المراحل الأولية من تطور الجنين لا تعرف هويته ذكر أو أنثى إلا بعد مرور فترة من الزّمن تقدر بـ(١٤) أسبوعاً في غالب الأحيان.

[٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري من يخلق ذلك اسم إشارة إلىٰ من يخلق المني ويجعله نطفة ويجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ.

﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ﴾: الباء للإلصاق والتّوكيد، قادر من القدرة والاستطاعة علىٰ: علىٰ تفيد المشقة والعلوية؛ أي: قادر علىٰ أن يفعل ما يشاء، وفي آيات أخرىٰ وصف الله سبحانه ذاته بالقدير للمبالغة في قدرته، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وكذلك وصف ذاته بالمقتدر كما في سورة القمر الآية (٥٥) ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أيْ: يبعث الموتىٰ من جديد وينشئُهم أيْ: يُحييهم كالنّشأة الأولىٰ؟ الجواب: بلىٰ سبحانه قادر علىٰ كل شيء إثبات عن طريق التّقرير.

❖❖❖

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سكتة لطيفة على النون

سُورَةُ الْإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ آياتها ٣١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

سورة الإنسان [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٧٦) ترتيبها في النّزول (٩٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾:

﴿هَلْ﴾: استفهام يفيد أو بمعنىٰ التّقرير جاءت بصيغة السّؤال بدلاً من صيغة الخبر، وطلب من القارئ أن يجيب بنفسه علىٰ هذا السّؤال، ولا يجوز القول: هل معناها قد كما قال البعض؛ لأنّ ذلك يعني: أن المتكلم قرَّر ذلك، وأخبر بنفسه وغير القصد من المعنىٰ بينما الحقيقة السائل يريد من المستمع أن يجيب علىٰ السؤال ويقر بذلك.

﴿أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾: أتىٰ: تعني المجيء بسهولة بعكس جاء علىٰ الإنسان: اسم جنس يعني: ولد آدم ومشتقة من الأنس يأنس بغيره، أو لأنّه غير مختف كالجن فهو يُبصر ويُرىٰ، حينٌ: الحين هو زمن غير محدَّد مهما كان طوله أو قصره.

﴿لَمْ﴾: للنفي.

﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾: هنا احتمالان: يحتمل أنّه لم يكن شيئاً، ويحتمل أنّه كان شيئاً ولم يكن مذكوراً.

وقيل: الإنسان هنا يعني: آدم عليه السلام، والحين الذي مرَّ عليه (٤٠) سنة كان مصوراً من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم صلصال كالفخار، لا يذكر ولا يعرف ولا يُدرىٰ ما اسمه، إلىٰ أن نفخ فيه الرّوح، وقيل: الإنسان حين يكون في أصلاب الآباء، وقبل أن يصبح نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة.

لم يكن شيئاً مذكوراً، وجاءت سورة الإنسان لتذكر الإنسان بخلقه، ثمّ بتزويده بطاقات السّمع والبصر، ثمّ هدايته السّبيل، ثمّ جزاء الكافرين وجزاء الأبرار والنّعيم الذي ينتظرهم ونددت بحب الدّنيا وحثت علىٰ الصبر وأن القرآن تذكرة ومنزل من الله رب العالمين. ارجع إلىٰ سورة مريم آية (٦٧) لمعرفة الفرق بين قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٦٧].

[٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: إنّا للتعظيم، الخلق: التّقدير الإنسان. ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: من مني الرّجل والمرأة.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط من ماء الرّجل وماء المرأة (من المني والبويضة) تتطور طوراً بعد طور لتكون الجنين، وأما الأضغاث: جمع ضغث كما في سورة ص

الآية (٤٤): ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ ﴾، أو قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ [يوسف:٤٤]، والتي تدل علىٰ اختلاط وتداخل وغير واضحة، وأما الأمشاج: فهي واضحة، ومميزة رغم اختلاطها.

﴿نَّبْتَلِيهِ ﴾: لكي نختبره بالتّكاليف الشّرعية بعد سن البلوغ.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: جعلنا له حاسة السّمع وحاسة البصر والفاء فاء السّببية، وقدَّم السّمع علىٰ البصر .ارجع إلىٰ سورة الملك الآية (٢٣) للبيان.

[٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾: إنّا للتعظيم، هديناه: بينا له الطريق وأرشدناه إلىٰ طريق الهدىٰ والصّلاح والصراط المستقيم (الدِّين)، وبيَّنا له طريق الضّلال والفساد بشتىٰ الوسائل بالعقل والرّسل والأنبياء والكتب المنزلة والآيات الكونية، هديناه السّبيل؛ لنرىٰ هل يكون شاكراً أم يكون كفوراً.

﴿إِمَّا شَاكِرًا ﴾: إمّا حرف تفصيل، شاكراً: اسم فاعل من شكر ويدل علىٰ الأعم؛ أي: من شكر أكثر من شكور بعكس شكور تدل علىٰ كثرة الشكر، فكل شكور شاكر، وليس كل شاكر شكور.

﴿وَإِمَّا كَفُورًا ﴾: تكرار إمّا للتوكيد، كفوراً: صيغة مبالغة تدل علىٰ كثرة الكفر والوقوع فيه ولم يقل: إمّا شكوراً وإما كفوراً، للمبالغة في الكفر مقارنة بالشكر، وكما قال تعالىٰ: في سورة سبأ الآية (١٣): ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾.

[٤] ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾:

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾: إنّا للتعظيم، أعددنا: هيأنا للكافرين اللام لام الاختصاص والاستحقاق. الكافرين: الغير مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿سَلَٰسِلَا۠﴾: جمع سلسلة كقوله تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر:٧١]، وقوله: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٢].

﴿وَأَغْلَٰلًا﴾: جمع غل تجمع أيديهم إلىٰ أعناقهم، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ [يس:٨].

﴿وَسَعِيرًا﴾: ناراً مستعرة متوقدة، وفي الآية تهديد ووعيد للكافرين.

[٥] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: إنّ للتوكيد، الأبرار: جمع بر والبار يجمع علىٰ برة وأبرار وبررة أبلغ وأعظم من أبرار، والبررة: صفة للملائكة، والأبرار صفة للآدميين، وعباد الله منهم المقربون ومنهم الأبرار، والمقربون أبلغ وأعلىٰ درجة من الأبرار، والبررة: جمع كثرة، وأما الأبرار: جمع قلة مقارنة بالفجار.

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾: من ابتدائية، كأس: قدح فيها خمر مختلط بالكافور وكأس تعني: ملأىٰ. ارجع إلىٰ سورة الواقعة آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾: المزاج ما يُمزج به وتعني: الخمر الممزوج بالكافور، والكافور: مادة بيضاء ذات رائحة طيبة فيها برودة ينبع من عين في

الجنة تنبع بالكافور وكافور الدّنيا هو مجرد اسم لكافور الآخرة، ولا يقارن هذا بذلك، وكافور الآخرة ليس له مثيل في الدّنيا إلا الاسم، وأما الزنجبيل: فيمتاز طيب الطعم واللذة.

فالأبرار يشربون من كأس تُحضر إليهم بواسطة الولدان المخلدين أو الغلمان في الجنة، بينما المقربون يشربون بها أيْ: مباشرة من العين نفسها أيْ: هم يقفون أمامها يتمتعون بالنّظر والشّرب معاً.

❖ ❖ ❖

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

سورة الإنسان [الآيات ٦ - ٢٥]

[٦] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾:

﴿عَيْنًا﴾: نكرة من عيون الجنة، وعين تجمع على عيون وأعين، وأعين تعني التي نبصر بها، أما عيون فهي التي تنبع بالماء.

﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾: أي: المقربون وربما الأبرار يشرب بها: الباء للإلصاق ويشرب بها أيْ: هم حاضرون موجودون على العين يتمتعون بلذة النّظر ولذة الشّرب، وكما قلنا في الآية السّابقة: يشرب منها أيْ: تنقل إليهم فيشربون منها، بينما يشربون بها: يشربون من العين مباشرة.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: تنبع بغزارة وقوة ويدل ذلك على التكريم.

[٧] ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾:

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: أي: الأبرار الذين يؤدون نذورهم والنّذر في الشّرع ما أوجبه المُكلفُ على نفسه لله تعالى مما لم يكن عليه ملزماً، ويوفون جاءت بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والتّجدُّد في الوفاء، عباد الله الذين كانوا يوفون بعهودهم ونذورهم في الدّنيا.

﴿وَيَخَافُونَ﴾: بصيغة المضارع كما في يوفون تدل على الاستمرار والتّجدُّد وحكاية الحالة.

﴿يَوْمًا﴾: أي: يوم القيامة أو الحساب.

﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾: منتشراً يقال: استطار الحريق إذا انتشر أو استطار الغبار أي: انتشر، شره: عذابه شدائده وأهواله منتشرة كما ينتشر الحريق.

[٨] ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: الواو: واو العطف ويطعمون: أي: الأبرار عباد الله، يطعمون: بصيغة المضارع التي تدل على التّجدُّد والتّكرار، ولم يقل: وأطعموا الطّعام على حبه: الهاء على حبه تعود إمّا على حب الله تعالى رجاء في ثوابه، أو على حب الطّعام رغم حاجتهم إلى الطّعام وحبهم إليه وشهوتهم والأرجح على حب الطّعام ولا مانع من المعنيين.

يطعمون الطّعام:

﴿مِسْكِينًا﴾: المحتاج الذي ليس عنده ما يكفيه.

﴿وَيَتِيمًا﴾: من لا أب له قبل سن البلوغ.

﴿وَأَسِيرًا﴾: الذي أخذه العدو رهينة، وقد يشمل المسجون أو الغريم وغيره.

[٩] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر والتّوكيد.

﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾: هذا قول عباد الله الذين يطعمون الطّعام على حبه يقولون للذين يطعمونهم؛ نطعمكم: ابتغاء مرضات الله؛ أي: يحدثون أنفسهم بذلك أو نيتهم ابتغاء وجه الله، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾: أيْ: لا نسألكم أجراً أو شكراً عليه.

[١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾:

هذا هو السّبب للإطعام هو أنّا نخاف من ربنا، ونطعمكم لوجه الله هو الغاية من الإطعام.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾: وصف اليوم بالعبوس بدلاً من الوجوه التي تكون عابسة من عذابه وشدة أهواله وشره، أو يشبه اليوم (يوم القيامة) بالأسد العبوس.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾: غليظاً شديداً كريهاً يقال: اقمطر يومنا إذا اشتد عذابه وطال بلاؤه كما يحدث في يوم القيامة.

[١١] ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾:

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾: الفاء عاطفة، وقاهم الله شر ذلك اليوم أيْ: دفع عنهم عذابه، وأنجاهم شر ذلك اليوم العبوس القمطرير بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجه الله تعالىٰ.

﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾: أيْ: أكرمهم وجعل أو صيَّر في وجوههم نظرة: بهاءً وبهجةً وسروراً، بدلاً من العبوس.

[١٢] ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾:

﴿وَجَزَاهُم بِمَا﴾: وجزاهم: أثابهم، بما: الباء السّببية أو البدلية، وما المصدرية.

﴿صَبَرُوا﴾: صبروا علىٰ طاعة الله واجتناب نواهيه وعلىٰ قدره وقضائه وصبروا علىٰ الجوع وابتغاء وجه الله تعالىٰ.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: أثابهم على صبرهم جنة: اسم جنس (تعني: جنات النعيم) واللباس المصنوع من الحرير (السندس والإستبرق).

[١٣] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: جالسين من الاتكاء جالسين براحة وطمأنينة.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: أي: السرر أو الفرش المُزينة.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾: فيها في الجنة حر الشّمس الشديد ولا الخفيف.

﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾: (لا) لتوكيد النّفي، زمهريراً: البرد الشّديد، ولا البرد الخفيف.

[١٤] ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾:

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ﴾: قريبة منهم أو تدنو عليهم ظلالها.

﴿ظِلَـٰلُهَا﴾: ظلال أشجار الجنة.

﴿وَذُلِّلَتْ﴾: سخرت وسهلت لهم قطوف ثمار الجنة أو مذللة قطوفها لهم فينالها القائم والقاعد والمضطجع.

﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها.

﴿تَذْلِيلًا﴾: للتوكيد. مصدر للفعل الرباعي ذلّل.

[١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾:

يطاف: لم يسم الفاعل في هذه الآية، وسماهم في سورة الواقعة الآية (١٧) فقال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾، وفي سورة الطور الآية (٢٤) قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾؛ أيْ: يُحضر لهم الولدان والغلمان بشكل متكرِّر

الشـــراب والطعام في الأواني والأكواب المصنوعة من الفضة، ويطاف يقصد به الآنية، والمشـــروب، وأما يطوف تأتي في ســـياق المناول للشراب؛ أي: وصف للطائف، ويطاف وصف للشراب أو الآنية.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أوانٍ من فضة وأكواب من أقداح بلا عُرىٰ (لا عروة لها) زجاجية.

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾: كانت زجاجية، القوارير: جمع قارورة والقارورة تطلق علىٰ إناء الزّجاج.

[١٦] ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾:

﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾: قوارير من فضة في صفاء الزّجاج أيْ: مصنوعة من زجاج وفضة.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: لهـــا مقادير أو مقاييس مختلفة حســـب ما يختارون أو علىٰ قدر حاجة الشّارب من غير زيادة أو نقصان.

[١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾:

﴿وَيُسْقَوْنَ﴾: أيْ: هم يعطون الكأس ليشربوا منها أو يشربون بأنفسهم وهذا أفضل من يُسقون فيها في الجنة.

﴿كَأْسًا﴾: القدح يسمَّىٰ كأساً أو الشّراب نفسه يسمَّىٰ كأساً، كأس من معين: كاس من خمر، كاس دهاقاً: كأس ممتلئة (ملأىٰ).

﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾: أيْ: الشراب الذي يمزج بالزّنجبيل أو يمزج بالكافور، كما رأينا في مطلع السّـــورة، الزّنجبيل نبات معروف بطيب الرّائحة، فإذا شـــرب

الشّـــراب الممزوج بالكافور، ثمّ بالزّنجبيل بعد الكافور أحدهما على أثر الآخر أكمل وأطيب وألذ أو يشرب كلاً على حِدَةٍ، أمّا شراب المقربين، فقيل: لا يمزج فهو شراب خالص.

[١٨] ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾:

﴿سَلْسَبِيلًا﴾: من سلسل وسلسال وأضيفت الباء للمبالغة والدّلالة على غاية السّلاسة.

﴿عَيْنًا فِيهَا﴾: هي عين السّلسبيل تنبع بالماء أو الشّراب اللذيذ السّهل البلع.

[١٩] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾: ولم يقـــل: أولاد وفي آية أخرى يطوف عليهم غلمان لهم، الغلمان: الولدان: جمع قلة فقـــط الغلمان؛ الولدان: جمع قلة فقط الذّكور الصّغار في السّن، الأولاد: جمع كثرة تشمل الذّكور والإناث.

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: لا يهرمون ولا يموتون حالهم دائماً لا تتغير حالة الولدان.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾: إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية التّحقق.

﴿حَسِبْتَهُمْ﴾: من حسب وهو الظّن الرّاجح.

﴿لُؤْلُؤًا﴾: في صفاء ألوانهم ونضارة وإشراق وجوههم وحسنهم.

﴿مَّنثُورًا﴾: المنثور المنتشر منتشرون هنا وهناك كاللآلئ ليدل على الإسراع في الخدمة.

[٢٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾: ثـــمّ: ظرف مكان تعني هناك، وإذا رأيت الجنة رأيت نعيماً لا يوصف وملكاً كبيراً لا يقدر، أو أينما وقع بصرك رأيت نعيماً وملكاً كبيراً.

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: من الجنات والمساكن الطّيبة والخيام والغرف المبنيَّة فوق بعضها البعض.

[٢١] ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾:

﴿عَالِيَهُمْ﴾: فوقهم أيْ: لباسهم الخارجي أو الظّاهر البارز ثياب أهل الجنة السندس الأخضر والإستبرق.

﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾: الحرير الأخضـــر الرّقيق، والثياب: هي التي تغطي أو تستر جميع البدن، وأما اللباس: يأتي في سياق ستر العورة، وهذه الثياب متعددة، ومتنوعة.

﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: الحرير الغليظ أو ما غلظ من الحرير.

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ﴾: ألبسوا: ألبسوا بشكل دائم ولم يقل يحلون التي تدل على التّجدُّد والتّكرار، أســاور: جمع كثرة، ولم يقل: أسورة التي تدل على جمع قلة، ومن فضة، وفي آية أخرىٰ من ذهب ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف:٣١] أيْ: تارة يلبسون الفضة وتارة الذهب حسب ما يشاؤون، أو هناك من الناس من يفضل الذهب علىٰ الفضة أو بالعكس فالكل متوفر لهم.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: الطّهور: صيغة مبالغة في الطّهارة والنّظافة وهذا نوع آخر من الشّراب: أيْ: لم تمسه الأيدي.

[٢٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾:

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إنّ: للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلىٰ النّعيم والملك الكبير.

﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾: الجزاء أعم من الأجر ويستخدم في النّفع والضّر.

﴿وَكَانَ﴾: للتوكيد.

﴿سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾: سعيكم: عملكم في الدنيا والسّعي يشمل الإيمان والتّقوىٰ والعمل الصّالح، مشكوراً: مقبولاً، ومثابون عليه بأفضل الجزاء والثّواب.

[٢٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم، نحن لزيادة التّعظيم والتّوكيد.

﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾: نزلنا منجماً أيْ: مفرقاً علىٰ دفعات، عليك: ولم يقل: إليك. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٤) للبيان.

﴿الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾: تنزيلاً مصدر يفيد التّوكيد.

[٢٤] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾:

﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدَّر، إن جاء قدَّر الله فاصبر.

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾: أي: اصبر على مشاق تحمل الرّسالة وداوم عليها واصبر على أذاهم وعداوتهم.

﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ﴾: لا: النّاهية، تطع منهم: قريشاً وغيرهم.

﴿ءَاثِمًا﴾: كثير الإثم.

﴿أَوۡ﴾: لا تعني التّخيير، وإنما تعني واو الجمع أيْ: لا تطع منهم آثماً وكفوراً.

﴿كَفُورًا﴾: صيغة مبالغة في الكفر أيْ: كثير الكفر.

[٢٥] ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾:

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾: أيْ: داوم على ذكره بكلّ أنواع الذّكر من صلاة وتسبيح وتحميد وتهليل وقراءة قرآن.

﴿بُكۡرَةٗ﴾: أوّل النّهار، وقيل: صلاة الفجر.

﴿وَأَصِيلٗا﴾: آخره، قيل: صلاة الظهر والعصر، وقيل: طوال النّهار اذكر ربك أيْ: صلِّ الصّلوات الخمس.

❖❖❖

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ
خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾
يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

سورة الإنسان [الآيات ٢٦ - ٣١]

[٢٦] ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾:

﴿وَمِنَ﴾: ابتدائية بعضية أيْ: بعض الليل.

﴿ٱلَّيۡلِ﴾: تعني: أيَّ ليل، أما لو قال: ليلاً أيْ: تلك الليلة بعينها.

﴿فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾: السّجود يعني: الصّلاة أيْ: صلِّ لله تعالىٰ صلاة المغرب والعشاء.

﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾: سبحه تعني: صلاة التّهجد أو القيام، التّسبيح: يعني: الصّلاة والتّسبيح والذّكر العادي، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكلّ، وطويلاً أي: وقتاً طويلاً والخطاب لرسول الله ﷺ وأمته.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: إنّ: للتوكيد، هؤلاء: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة إلىٰ كفار قريش وغيرهم.

﴿يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: الحياة الدّنيا، وسمِّيت بالعاجلة: أي: القريبة أي: الدنيا أو لأنها تزول بسرعة.

﴿وَيَذَرُونَ﴾: مشتقة من ذرو: أيْ: ترك يذرون أيْ: لا يستعدون ولا يعبؤون أو يهتمون بما وراءَهم.

﴿وَرَآءَهُمۡ﴾: بما هو قادم أو أمامهم.

﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾: يوم القيامة، يوم عسير طويل، ثقيل لشدة أهواله وتنكيره ليدل علىٰ شدته.

[٢٨] ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾:

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾: نحن للتعظيم، خلقناهم: الخلق يعني: التّقدير والإيجاد، خلقناهم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة أو من ماء مهين، أو من تراب.

﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾: مأخوذة من الأسر ويعني: الرّبط بقوة، شددنا وأحكمنا خلقهم وقويناهم بأن خلقنا لهم العضلات والمفاصل والأربطة والأعصاب، أيْ: قوة في الخلق والبنيان، ولها معنىً ثان شددنا وثاقهم أي: السّيطرة عليهم (كالأسير) فلا يفلت منهم أحد من قبضتنا أيْ: من الحساب والجزاء، وقد تعني كلا المعنيين.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾: إذا: شرطية، شئنا: من المشيئة التي تسبق الإرادة.

﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: أيْ: قضينا عليهم بالموت أو الهلاك وبدلناهم بقوم آخرين أفضل منهم، تبديلاً: للتوكيد.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾: أي: الآيات أو السورة فقط تذكرة لما سيحصل في الآخرة من النعيم المقيم. ارجع إلىٰ سورة المزمل الآية (١٩) للبيان.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

قالوا: المشيئة تسبق الإرادة، والإرادة قبل القدر، والقدر قبل القضاء، فيكون التّرتيب كما يلي: العلم بالشّيء المراد أو العلم بالعلة، ثمّ المشيئة فالإرادة فالقدر فالقضاء والإمضاء.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾: وما: الواو عاطفة، ما: نافية، تشاؤون: شيئاً أو أمراً، والمشيئة هي الميل لحصول شيء بعد العلم به.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر، أن يشاء الله.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

أيْ: مشيئة الله أو الرّب سبحانه مقدمة وسابقة ومهيمنة على مشيئة العبد؛ لأنّ مشيئة الله مقرونة بالعلم والحكمة والقدرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾: إنّ للتوكيد، كان: تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، كان ولا يزال وسيظل.

﴿عَلِيمًا﴾: بأحوال وأفعال وأقوال خلقه وما يصلحهم وما ينفعهم وما يضرهم ونواياهم ومشيئاتهم وإرادتهم.

﴿حَكِيمًا﴾: في تدبير شؤون خلقه وكونه فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[٣١] ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: أيْ: يدخل من المؤمنين في رحمته، الرّحمة: تعني الإنعام على العبد والوقاية من المعاصي، والرّحمة هي جلب ما يسرُّ ودفع ما يضرُّ ومن رحمته الجنة أيضاً.

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ﴾: جمع ظالم من ظلم نفسه وغيره بكلّ أنواع الظّلم والظّلم قد يعني الشّرك، والخروج عن منهج الله سبحانه. أعد: هيأ، وحضَّر.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لهم خاصة.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: شديد الإيلام لا يقدر على تحمله.

ولمقارنة هذه الآية (٣١) وهي قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾، والآية (٢٥) من سورة الفتح، وهي قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ارجع إلى سورة الفتح الآية (٢٥) لمعرفة الفرق.

❖ ❖ ❖

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ
خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾
يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَٰتِ

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

سورة المرسلات [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٧٧) ترتيبها في النّزول (٣٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾: الواو واو القسم، يقسم الله سبحانه بالرياح فهي جند من جنود السموات والأرض لتعمير الأرض، والله سبحانه غني عن القسم والقسم بالشيء لأهمية، وكذلك لأهمية جواب القسم.

المرسلات: الرّياح الطّيبة والمرسلة بأمر ربها.

عرفاً: أي: المتتالية يتبع بعضها بعضاً، والتي تسيرها الملائكة لتحمل السحاب وتبسطه في السماء كما يشاء رب العالمين.

عرفاً: متتالية تشبه عرف الفرس (شعر الفرس فوق الرقبة).

المرسلات: جمع مرسل، اسم مفعول من الفعل الرباعي أرسل.

[٢] ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾:

﴿فَالْعَاصِفَاتِ﴾: الرّيح الشّديدة الهبوب المدمرة.

﴿عَصْفًا﴾: العصف: قوة هبوب الرّيح، عصفاً: مصدر للفعل عصف.

[٣] ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾:

الواو واو القسم. ارجع إلى الآية (١٩) من نفس السورة.

﴿وَالنَّٰشِرَٰتِ﴾: الرّياح التي تنشر السّحاب (أي: المطر) في السّماء كما يشاء الله والنّشر عكس الطّي، والنّاشرات: قد تكون الملائكة تنشر السحاب في السّماء، أو تنشر أجنحتها للهبوط أو الصّعود في السّماء بالوحي، فهذه الآية قد تعني الملائكة والرياح، وأما الآية الأولى والثانية فتخص الرياح، وأما الآية الرابعة والخامسة، فقيل: تخص الملائكة.

[٤] ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾:

الملائكة تفرق أرزاق العباد والمطر أو الغيث.،

والفارقات: جمع فارقة مؤنث الفارق اسم فاعل من الفعل فرق.

[٥] ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾:

الملقيات: جمع ملقية من الفعل ألقى، الملائكة تلقي بالوحي على الرّسل والأنبياء، وهو إما أن يكون عذراً أو نذراً.

[٦] ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾:

عذراً: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

عذراً: جمع عذر.

نـذراً: من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير والتخويف والإنذار بالانتقام والعذاب.

نذراً: جمع نذير.

[٧] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾: من البعث والحساب ويوم القيامة والجنة والنّار، لواقع: اللام لام التّوكيد، واقع: كائن لا محالة أو واقع كأنّه وقع وحدث، ثمّ بين أحداث الساعة وأهوالها والتغيرات الكونية التي ستحدث فيها.

[٨] ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: والتي تقدر بـ(٢٠٠ مليار نجم) في مجرتنا فقط، انطفأت وذهب نورها لم تعد مضيئة (ملتهبة) أي: انطفأ لمعانها ودرجة لمعان النجم وسيلة من وسائل معرفة درجة حرارته، وكتلته وبُعده عنا وسرعة جريانه، وهذا الطمس يحدث.

[٩] ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسّابقة في الآية (٨).

﴿ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾: انفطرت انشقت الفرجة: الشّق بين الشّيئين. ارجع إلىٰ سورة الحاقة آية (١٦) فالسماء تمور، ثم تنفطر وتنشق وتصبح كالعهن، ثم تكون وردة كالدهان، ثم تكشط وتبدَّل بسماء جديدة.

[١٠] ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسّابقة في الآية (٨).

﴿ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: النّسف هو الدك بعد الرجف والاقتلاع، ثم البس ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة:٥]، ثم تكون ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤]، ثم تكون كالعهن المنفوش، ثم السير والسراب ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ:١٤]، ثم الزوال.

[١١] ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسّابقة في الآية (٨).

﴿ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾: مشتقة من الوقت أيْ: حُدِّد لها وقت معين لتحضر فيه، لتجمع فيه مع أممها للشهادة علىٰ أممها أو للفصل بين الرّسل والأمم، وهو يوم الفصل أو أُقتت بلغت ميقاتها الذي تنتظره.

[١٢] ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾:

﴿لِأَيِّ﴾: اللام لام التّوقيت، أيْ: للاستفهام.

﴿يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: أيْ: أُخِّرت ليوم الفصل.

[١٣] ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾:

يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار.

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾: اللام للتوقيت، يوم الفصل: يفصل الله فيه بين الخلائق الظّالم والمظلوم والمؤمن والكافر، وفريق في الجنة وفريق في السّعير.

[١٤] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾:

والسؤال إلىٰ رسول الله ﷺ وبالتالي إلىٰ أمته.

﴿وَمَآ﴾: استفهامية للتهويل والتّعظيم من شأن ذلك اليوم، أيْ: وما تعلم عن يوم الفصل، وللفرق بين ما أدراك وما يدريك ارجع إلىٰ الآية (٣) من سورة الحاقة.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

﴿وَيْلٌ﴾: الويل العذاب، أو الهلاك.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم الفصل يوم القيامة ويل لهم إذا جاء يوم القيامة أو يوم الفصل ويومئذ: مركبة من يوم + إذ أضيف ظرف إلىٰ ظرف.

﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، المكذبين بالله والإيمان والرسل والبعث والحساب والجزاء والغيب، تكررت هذه الآية عشر

مرات في هذه السـورة في عقب كل آية للزيادة في الترهيب و الترغيب، ثمّ يذكر ثلاثة أمور للتهديد، وتدلُّ على قدرته وعظمته، وهي:

[٦] ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري والتوبيخ للمكذبين بالبعث والجزاء.

﴿نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أمثال قوم نوح وعاد وثمود ومدين والمؤتفكات.

نهلك: ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لمزيد من البيان في معنى الهلاك.

[١٧] ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾: أي: الذين جـاؤوا من بعدهم قوم فرعون وكفار مكة يوم بدر، أو غيرهم من الذين جاؤوا قبل مجيء رسول الله ﷺ.

[١٨] ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

أيْ: بمثل ذلك الهلاك والأخذ بالصّيحة والرّجفة والغرق نهلك أو نعاقب وندمر المجرمين أي: المشـركين والكافرين والمكذبين والعاصين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان في معنى المجرمين.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) للبيان، تكرار هذه الآية عشـر مرات في هذه السّورة للتهديد والإنذار والزّجر لمن يكذب بالله وبالإيمان والرسـل والكتب والغيب، وبالبعث والحساب والجزاء ويوم القيامة والآخرة.

❖ ❖ ❖

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

سورة المرسلات [الآيات ٢٠ - ٥٠]

[٢٠] ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري.

﴿نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: أي: المني (الماء الدّافق) وما يخرج معه من المفرزات من البروستات والتي تمر بالمجاري البولية، مهين: نجس أو حقير من المهانة، أو هو إشارة إلى ضعف خلق الإنسان (من ماء الرجل وماء المرأة) من حيوان منوي وبيضة.

[٢١] ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾:

﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة، وهاء الضّمير تعود على الماء المهين الذي يشكل الجنين أو على الجنين نفسه.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: مستقر حصين وهو الرّحم، داخل حوض المرأة، وله أربطة كثيرة ويستطيع التمدُّد كلما نما الجنين ومحاط بأغشية وسوائل تقيه من الصدمات.

[٢٢] ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾:

إلى: تفيد عموم الغايات.

قدر معلوم: هو مدَّة الحمل إلى زمن الولادة ما بين (٦) أشهر و(٩) أشهر أو أكثر من ذلك أو دون ذلك قدر معلوم قدره الله سبحانه وتعالى.

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾:

﴿فَقَدَرْنَا﴾: الفاء عاطف، قدرنا: من التقدير وهو الخلق أو قدرنا كيف يخرج بولادة أو بعملية جراحية أو قدرنا صفاته وطوله وعرضه ولونه وشكله وصفاته الوراثية، أو قدرنا وقت خروجه من الرّحم والانفصال عن المشيمة وقد تعني الكل.

﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء للتوكيد، نعم: من أفعال المدح، أيْ: نعم المقدر وهو الله سبحانه وحده.

﴿الْقَادِرُونَ﴾: على كلّ شيء على الخلق والتّقدير والتّصوير والإحياء والإماتة لا يعجزنا شيء.

[٢٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٢٥] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري، وفيه نوع من التّوبيخ للمكذبين بالله ورسله والإيمان وبالبعث والحساب.

﴿نَجْعَلِ﴾: الجعل يكون بعد الخلق.

﴿الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾: الكفت الضّم والجمع بقوة مأخوذ من كفت الشّيء إذا ضم بعضه إلى بعض، ومن معاني كفاتاً أيضاً الكفت الجاذبية الأرضية تجذب، وتبقي

الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها، وكفاتاً: جمع كافت، فالأرض: اسم مكان تشبه الوعاء الذي يكفت فيه.

[٢٦] ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾:

بصيغة التنكير للتعظيم.

أحياء تضم كلّ الأحياء من النّاس والدّواب والحيوانات البحرية والبرية والمخلوقات بكافة أنواعها على ظهرها كأنّها تحملهم، وأمواتاً: وتضم كلّ الأموات من النّاس والدّواب وكل المخلوقات التي تموت في باطنها، فهي تكفت الأحياء والأموات من كل المخلوقات التي لا يعلم عددها إلا الله وحده.

[٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: في الأرض.

﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾: الرواسي: بمعنى الجبال (الصفة حلت بدلاً من الموصوف) والرسو: هو الثبات، والاستقرار؛ شامخات: جمع شامخة من شمخ أيْ: علا وارتفع، أي: الجبال العاليات، وقد قُدر طول هذه الجبال داخل الأرض بأضعاف مضاعفة طولها فوق الأرض.

ارجع إلى سورة النبأ آية (٧) لمعرفة كيف تشكلت الجبال من البراكين، وتكونت الجبال بعد أن دحا الله الأرض، وأخرج منها مائها ومرعاها أيْ: غلافها المائي والغازي، فلولا الجبال لما أمكنا أن نعيش على سطح الأرض؛ لأن قشرة الأرض ممزقة بشبكة من الصدوع أيْ: عدد من الألواح تسمَّى ألواح

الغلاف الصخري للأرض هذه الألواح تطفوا على نطاق شبه منصهر، لين عال الكثافة أي: اللزوجة.

وكانت هذه الألواح تجري بسرعة فائقة، فخلق الله الجبال التي أبطأت سرعة هذه الألواح وجعلتها ترسي في أماكنها، وهذه السرعات مسجلة في صخور الأرض، والأرض لا زالت تجري وتدور حول نفسها وحول الشمس.

وهذا الإبطاء في هذه السرعة سمح للتربة بالتجمع، وللماء أن يخزن وأن تقام الأبنية والطرقات، فمن نِعم الله علينا أن أرسى الأرض بالجبال.

﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾: ماء عذباً حلواً هو من ماء السماء الذي يختزن في الصخور والجبال، ويشكل الأودية والأنهار والعيون. ارجع إلى سورة (ق) آية (٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٢٩] ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾:

يقال لهم يوم القيامة (في الآخرة) حين يكونوا في سموم وحميم ويسألون: أين المفر، فيقال لهم:

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾: اذهبوا مسرعين إلى جهنم التي كنتم بها تكذبون.

﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: ما بمعنى الذي أو مصدرية ما أوسع شمولاً وعموماً من الذي، كنتم: في الدّنيا، به: تعود على جهنم، تكذبون: لا تصدقون، تكذبون بصيغة المضارع لتدل على التجدُّد والتكرار في التكذيب.

[٣٠] ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾:

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾: مرة أخرىٰ للتوكيد والتّهكم بهم، أيْ: هيا وأسرعوا إلىٰ جهنم ذات الدخان (الظل).

﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾: ظل: من دخان نار جهنم إذا علا وارتفع يتشعب إلىٰ ثلاث شعب، وصفه الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٖ﴾ [الواقعة:٤٣-٤٤].

[٣١] ﴿لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾:

لا: النافية، ظليل: أيْ: ليس ظلاً حقيقياً كغيره من الظلال، وإنما كالسراب لا فائدة منه.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا لتوكيد النّفي.

﴿يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾: لا برودة فيه تدفع عنهم حرَّ جهنم ولا يفيد أو ينفع.

[٣٢] ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾:

﴿إِنَّهَا﴾: للتوكيد تعود علىٰ جهنم.

﴿تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾: كلّ شرارة في حجمها كالقصر كالبناء العالي الكبير.

[٣٣] ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾:

﴿جِمَٰلَتٞ﴾: جمع جمل (أي: الإبل).

﴿صُفۡرٞ﴾: لونها الأصلي أسود، وقيل لها صُفر؛ لأنّ سواد لونها يضرب أو مائل إلىٰ الصّفرة أو مشرب بالصّفرة أيْ: شبه الشّرر الذي يتطاير من جهنم في

حجمه وكبره كالبناء العالي (القصر) وشبه العدد ولون الشّرر بالجمالات الصّفر المنتشرة في الصحراء والجارية بكل اتجاه.

والتّشبيه الثّاني (جمالات صفر) بيان للتشبيه الأوّل (كالقصر).

[٣٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٣٥] ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلىٰ يوم القيامة.

﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾: يوم: نكرة للتهويل والتعظيم؛ أي: هذا يوم القيامة لا يسمح لهم فيه بالكلام؛ لا: النّافية، ينطقون: لا يتكلمون ولا يتساءلون لا يسمح لهم ولا هم قادرون علىٰ النّطق، وهناك آيات أخرىٰ تشير إلىٰ أنّهم يُسألون ويجادلون ويتكلّمون ويحاولون الاعتذار؛ لأنّ يوم القيامة مواطن متعددة أيْ: مواقف متعدِّدة موقف عند الميزان، موقف عند الصّراط، وعند الحوض، موطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا سؤال ولا كلام، وقد يسألون سؤال تقريع وتوبيخ، وليس سؤال استفهام حقيقي.

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا النّافية.

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾: أيْ: لا يسمح لهم بالتّكلم والاعتذار، نفىٰ الاعتذار لانتفاء الإذن أيْ: نفي الثّاني لانتفاء الأوّل.

[٣٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٣٨] ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يشير إلىٰ قرب يوم الفصل.

﴿يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: الفصل بين الخلائق فيما كانوا فيه يختلفون، أو يختصمون. ارجع إلىٰ الآية (١٣) من نفس السّـــورة، وتكرار يوم الفصل للتأكيد علىٰ وقوعه ولتوبيخهم علىٰ إنكاره.

﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾: أي: المكذبين الأولين والمكذبين الآخِرين من الكفار.

[٣٩] ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء عاطفة، إن شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: الكيد هو اسم لإيقاع المكروه بالغير قهراً، سواء علم أو لم يعلم، وأصل الكيد المشـــقة، أيْ: إن كان لكم كيد أو حيلة فهيَّا احتالوا أو كيدوا لإنقاذ أنفسكم واتِّقاء العذاب.

[٤٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

التكرار للتهديد والوعيد. ارجع إلىٰ الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٤١] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾:

بعد ذكر المكذبين ومصيرهم ينتقل إلىٰ ذكر المتقين ومصيرهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ للتوكيد، المتقين: جمع متّقٍ: وهو من أطاع الله وامتثل أوامره وتجنّب نواهيه، فيكون بذلك قد اتّقىٰ غضب الله تعالىٰ وناره.

﴿فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾: في ظرفية، في ظلال: أشجار الجنات مقارنة بقوله: ﴿ظِلِّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ وعيون: عيون الجنة: الكثيرة المختلفة منها عين الكافور عين التّسنيم وعين السّلسبيل.

[٤٢] ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾:

الشهوة: أمر نفسي تعني الحب والرغبة، وتأتي في سياق المحسوسات من الأطعمة، والأشربة، والمال، والأولاد، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث، وقد تكون الشهوة مذمومة أو محمودة.

كقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٣].

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٩].

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٩].

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص:٥١].

[٤٣] ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

ارجع إلىٰ سورة الطور الآية (١٩) للبيان.

هذا يدل علىٰ الإيمان والعمل الصالح في الدّنيا هو سبب تمتعهم بنعيم الجنة في الآخرة رغم أن دخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله تعالىٰ وبفضل الله، وتكون الدّرجات حسب الأعمال، ويكون التّمتع بسبب الأعمال.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: أيْ: كهذا الجزاء نجزي المحسنين، ولم يقل: العاملين أو المتقين، بل رفع المتقين وجزاهم كما يجزي المحسنين، فالجزاء هو على الإحسان في العمل لا مجرد العمل، الإحسان في الكيفية والكمية، ارجع إلى سورة البقرة الآية (١١٢) لمزيد من البيان.

[٤٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

التكرار للتهديد والوعيد. ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) لمزيد من البيان.

[٤٦] ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾:

كما يقال للمتقين في الجنة: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعلمون، يقال للكفار والمشركين في الدّنيا: كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾: باللذات والشّهوات الدّنيوية الزّائلة.

﴿قَلِيلًا﴾: زمناً قصيراً حين تحين آجالكم. وبعدها لن يكون هناك تمتع وأكل إلا من شجر الزقوم والحميم وغسلين.

﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾: إنّكم للتوكيد، مجرمون: كافرون مشركون عاصون.

الخطاب موجّه لكفار مكة.

هذا قول الله تعالى لمشركي قريش وكفارها وغيرهم من الكفار تهديداً

لهم في الدّنيا. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى مجرمون.

[٤٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

التكرار للتهديد والوعيد. ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) من نفس السّورة للبيان.

[٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث، أيْ: تحقُّق الحصول.

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: القائل مبني للمجهول المهم المقولة: اركعوا لا يركعون.

﴿ارْكَعُوا﴾: صلوا، هذا يسمَّى إطلاق البعض على الكلّ، والصلاة أشرف العبادات وعماد الدِّين.

﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يصلون.

وقد عبَّر عن الصّلاة في هذه بالرّكوع، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾.

وقد يُعبَّر عنها بالسّجود كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ [الإنسان:٢٦].

أو بالتّسبيح كقوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٦].

أو بالذّكر كقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان:٢٥].

أو بالقيام كقوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:٢].

أو بالقراءة كقوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء:٧٨].

اركعـــوا: أيْ: صلوا، هذا يســـمَّى إطلاق البعض على الـــكل، لكفار مكة وغيرهم من الكفار.

[٤٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) و(١٩) للبيان.

[٥٠] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَبِأَيِّ﴾: الفاء للتوكيد، أيّ الاستفهامية وللتعجب.

﴿حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾: أيْ: إن لم يصدِّقوا بالقرآن، وبما جاء فيه فبأيِّ كتاب آخر بعد القرآن يؤمنون: يصدِّقون، فهو معجزة كلّ زمان وكلّ قرن، بما جاء فيه من آيات ودلائل وبراهين ومعجزات.

وهو أحســـن الحديث ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]. ارجع إلى سورة الزمر آية (٢٣) لمعرفة الفرق بين الحديث والقرآن.

❖ ❖ ❖

سورة النبأ

ترتيبها ٧٨ آياتها ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء ٣٠ الحزب ٥٩

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سورة النّبأ [الآيات ١ - ٢]

ترتيبها في القرآن (٧٨)، وترتيبها في النّزول (٨٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

أصلها: عن ما يتساءلون، أدغمت النّون في الميم وأصبحت: عما، ثمّ حذفت الألف؛ لتعظيم الأمر الذي يُسأل عنه.

ما: استفهام يحمل معنى التّعجب والتّفخيم.

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل على التّجدد والتّكرار، والضّمير في «يتساءلون» يعود على الكفار، وقيل: يعود على الكلّ؛ أي يسأل بعضهم بعضاً، أو يسألون المؤمنين أو رسول الله ﷺ.

[٢] ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿النَّبَإِ﴾: النبأ: أعظم من الخبر؛ أي الخبر العظيم المهم الذي يجب الاستماع إليه لما فيه من الفائدة، واختلف في هذا النّبأ العظيم منهم من قال: هو البعث، ومنهم من قال: القرآن لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ [ص:٦٧]، أو نبوة محمّد أو التّوحيد، وقد يكون الكل.

[٣] ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾:

فمنهم من يؤمن بالبعث أو القرآن أو أمر النبي، ويصدّق به ومنهم من يكفر

ويكذّب به، أو بخصوص القرآن كقولهم: سحر أو شعر أو يعلّمه بشر أو أساطير الأولين.

[٤] ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر أو تعني: حقاً.

﴿سَيَعْلَمُونَ﴾: السّين للاستقبال القريب، أو: قريباً سيعلمون عاقبة تكذيبهم وسيعلمون أن ما يكذبون به ويستهزؤون هو حق لا ريب فيه، أو سيعلمون: حين تأتيهم سكرات الموت والاحتضار أنّه حق وأنّهم أخطؤوا.

[٥] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزّمن؛ أي: يوم القيامة أو يوم البعث سيعلمون للمرة الثّانية عين اليقين أنّه الحق بعد أن علموا عند الاحتضار والموت للمرة الأولى أنّه الحق، وتكرار كلمة كلا للردع والوعيد، والتوكيد.

ثمّ ذكر الله تعالى بعض العلامات الدّالة على عظمته وقدرته على التوحيد والبعث والخلق وأنه هو الحق الذي يجب أن يُعبد ويطاع.

[٦] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري.

﴿الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: الأرض التي تزن (٦ بليون تريليون طن) أي: ممهدة كمهد الطّفل المريح، فلا يشعر الإنسان بحركتها رغم أنّها تدور حول نفسها بسرعة (٢٦كم في الدقيقة)، وتدور حول الشمس بسرعة (٣٠كم بالثانية).

فقد كانت قشرة الأرض تمتاز بتضاريس معقدة تجعل الحياة عليها صعبة أو شبه مستحيلة، فسخّر الله سبحانه عوامل التعرية المتعددة مثل الرياح واختلاف درجات الحرارة وتبادل الليل والنهار والمطر والسيول الجارفة والرطوبة

والحرارة، وظلت هذه العوامل تمهد الأرض لمدة (٨٠٠ مليون سنة) حتىٰ هيأ لنا ربنا الأرض لتكون صالحة للحياة فشقّ الفجاج والسبل والتربة، وتركيز المعادن وتكوين السهول المنبسطة، فهذا التمهيد للأرض دليل علىٰ طلاقة القدرة الإلهية علىٰ الخلق والبعث.

[٧] ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾:

جعل الجبال رواسي كالأوتاد تثبّت الأرض؛ لكي لا تميد ولا تضطرب كما تثبّت الخيمة بالأوتاد، حذف كاف التّشبيه ليكون التّشبيه بليغاً.

هذه الجبال التي تكونت من ثورة البراكين من قاع المحيطات والبحار بعد اصطدام الألواح تحت القارات مع بعضها، والتي ألقت بباطنها فوق سطح الأرض ثم نزلت هذه الحمم والبراكين علىٰ الأرض واخترقت نطاق الضعف الأرضي فأزاحت من كتلة الأرض إلىٰ أعلىٰ والحركة إلىٰ أعلىٰ وظهرت الجبال علىٰ سطح الأرض بشكل أوتاد تحتوي العناصر المعدنية الثقيلة وكل ارتفاع للجبل فوق الأرض له امتداد داخل الأرض يساوي (١٠-١٥) ضعفاً، وكلما قامت عوامل التعرية بإزالة شيء من الجبل تشكل في منطقة أخرىٰ ما تكافئ كتلة الجبل الذي زال بالتعرية وغيرها من الظواهر الجوية.

[٨] ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾:

أي ذكوراً وإناثاً، والزّوج هو الصنف، وسبحانه خلق كلّ شيء من زوجين حتىٰ الغازات والنباتات والحيوانات حتىٰ غاز الهيدروجين أقل الغازات بناء وأبسطها مركب من بروتون موجب والكترون سالب، وشاءت قدرته أن تستمر الحياة عن طريق التزاوج، ويبقىٰ سبحانه الواحد الأحد المتفرد بالوحدانية المطلقة لا يشاركه فيها أحد من خلقه ولا نبات ولا حيوان ولا جماد.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾:

﴿وَجَعَلْنَا﴾: بصيغة التّعظيم لعظمة آية النّوم والسّبات وغيره من الآيات القادمة.

﴿سُبَاتًا﴾: السّبات: الانقطاع عن الحركة والسكون مما يؤدي إلىٰ راحة البدن بعد العمل والتّعب والتّقلّب في النّهار ساعات طويلة، ويستجدّ بذلك نشاط البدن فالنّوم آية من آيات الله تعالىٰ الدّالة علىٰ عظمته وقدرته، ارجع إلىٰ سورة الفرقان الآية (٤٧) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾:

أي جعل الليل علىٰ الأرض بمنزلة اللباس الذي يستر الأرض بظلمته وهذا ما يراه رواد الفضاء، يرون طبقة سوداء تحيط بالأرض وكأنما كسيت الأرض بلباس أسود لا ترىٰ معه الأرض، ارجع إلىٰ سورة الفرقان الآية (٤٧) لمزيد من البيان.

[١١] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾:

وجعلنا النّهار زمناً أو وقتاً للسعي وللعيش والتّقلّب وكسب الرّزق، ولولا تبادل الليل والنهار لما استقامت الحياة علىٰ هذه الأرض، وتبادل الليل والنهار دليل علىٰ كروية الأرض.

[١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾:

سبع سموات شداداً؛ أي: قوية محكمة البنيان بقوىٰ الكهرمغنطيسية وقوىٰ الجاذبية لكي تبقىٰ في مدارها ولا تتغير، يغلف الخارج منها الداخل ومركز هذه السموات السبع هي الأرض والأرض تمثل سبع أرضين فعندنا ما يشبه (١٤) كرة سبع كرات عملاقة تمثل السبع سموات وفي مركزها سبع كرات صغيرة

تمثل الأرض (سبع أرضين) ونحن لا نعلم إلا الشيء الضئيل جداً عن السماء الدنيا ولا نعلم أي شيء عن بقية السموات، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (أي بقوة مترابطة) [الذاريات:٤٧]، وقيل: المسافة بين كلّ سماء والتي تليها مسيرة (٥٠٠) عام، والسّماء اسم جنس يشمل السبع سموات.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾:

﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: أي الشّمس، فالشّمس هي السّراج والتي تحتوي علىٰ ألوان الطيف السبعة التي تضيء الطبقة الغازية الموجودة حول الأرض. ارجع إلىٰ سورة يونس آية (٦٧) لمزيد من البيان.

وهاجاً: الوهج هو الحرارة الصادرة عن الشمس والتي تجعلنا نشعر بالدفء، فالشمس مصدر للنور ومصدر للدفء، والشمس أقرب نجم إلينا وتبعد عنا حوالي (١٥٠ مليون كم)، وهي عبارة عن فرن نووي عملاق تتشكل من غاز الهيدروجين بنسبة (٧٥٪) وغاز الهيليوم بنسبة (٢٤٪) وكثير من أشعة الشمس لا تراها العين مثل أشعة غاما والأشعة السينية والأشعة الحمراء وفوق البنفسجية، والذي يُرىٰ من أشعة الشمس هي حزمة الضوء المرئي هذه الحزمة المؤلفة من ألوان الطيف السبعة وهي لا ترىٰ في صفحة السماء، وعندما تقع علىٰ الطبقة الغازية المحيطة بالأرض تعطينا الضوء الأبيض الجميل، فهي مصدر الضوء والطاقة لو حُجبت عنا الشمس لثوان فقط لانتهت الحياة علىٰ الأرض، وتبلغ درجة حرارتها في وسطها أكثر من (١٥ مليون درجة) وعلىٰ سطحها (٦٠٠٠ درجة مئوية) وتمتد منها ألسنة اللهب بدرجة تفوق مليون درجة ولولا نُطُق الحماية لأحرقتنا الشمس بهذه الأشعة الضارة ولكن نُطُق الحماية تحمي الأرض مثل نطاق الأوزون، والنطاق المتأين والمغناطيسي وغيرها تبقىٰ الحياة قائمة.

[١٤] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾:

﴿وَأَنزَلْنَا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية.

﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: جمع معصرة، والمعصرة اسم للسحابة التي حان وقت إمطارها، أو المملوءة، أو المشبعة ببخار الماء كالثوب الذي يعصر بعد الغسل فيخرج منه الماء الغزير.

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: ماءً: أي ماء المطر، ثجاجاً: المنصَبّ بكثرة، كثير الهطول، ارجع إلى سورة النّور الآية (٤٣) لمزيد من البيان.

[١٥] ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾:

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾: اللام لام التّعليل، به: تعود على الماء الثّجّاج.

﴿حَبًّا﴾: يُقتات به الناس والدواب كالقمح والشّعير والرّز والذّرة وغيرها.

﴿وَنَبَاتًا﴾: هناك أكثر من (٤٠٠ ألف) نوع من أنواع النباتات كل نبتة لها دورها على الأرض منها ما تأكله الدّواب من الحشيش وسائر النّبات، وقدّم الحب لأنّه هو الأصل في الغذاء.

[١٦] ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾:

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: بساتين وحدائق.

﴿أَلْفَافًا﴾: ملتفة الأشجار والأغصان على بعضها، كناية عن وفرة الماء والري.

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾:

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: إنّ: للتوكيد، يوم الفصل: يوم القيامة، وسمي يوم الفصل

لأنّ الله سبحانه يفصل بين الخلائق فيما كانوا فيه يختلفون، يفصل بين أهل الجنة وأهل النار. ارجع إلىٰ سورة المرسلات الآية (١٣) للبيان.

﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾: الميقات: الزّماني والمكاني، ميقاتاً: وقتاً محدداً لا يتغير، أو موعداً لجمع الأولين والآخرين، أو ميقاتاً للحساب والجزاء.

[١٨] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾: البعث أو القيام من القبور يُنفخ في الصّور النّفخة الثّانية، (نفخة البعث أو القيام) والنّافخ إسرافيل عليه السلام.

﴿ٱلصُّورِ﴾: البوق أو القرن.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: الفاء: للتوكيد؛ تبعثون؛ أي: تخرجون من قبوركم إلىٰ مكان الحشر أو أرض المحشر، أفواجاً: جمع فوج، والفوج هو الجماعة الكثيرة، وسوف نبعث من الأرض الجديدة التي تحتوي علىٰ الأرض الحالية.

[١٩] ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾:

وفتحت السماء: الجديدة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، والسماء: تشمل السموات السبع وكل ما يعلو الإنسان، فكانت أبواباً لنزول الملائكة إلىٰ أرض المحشر كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥]. أبواباً؛ أي: ذات أبواب.

[٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾:

بعد أن تصاب بالرجف والنسف والسّير وتصبح كثيباً مهيلاً ثم كالعهن المنفوش ثم السراب والزوال، ذلك بإزالة القوىٰ التي تربط الصخور المكونة من المعادن المكونة من الجزيئات والذرات، فإزالة هذه القوىٰ التي تربط هذه الذرات مثل قوىٰ الجاذبية والنووية الشديدة والضعيفة والكهرومغناطيسية التي

تجعل هذه الذرات تطير كهباءات الغبار في الجو أو كالعهن المنفوش، وستكون الأرض الجديدة خالية من الجبال. ارجع إلى سورة الحاقة آية (١٤) لمزيد من البيان، وسورة طه آية (١٠٧).

﴿سَرَابًا﴾: من السراب. ارجع إلى سورة النور آية (٣٩) للبيان.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ﴾: إنّ للتوكيد، جهنم: اسم علم للنار، وقيل: دركة من دركات النّار، وجهنم: اسم مشتق من جهنام؛ أي: بعيدة القعر ومنظرها المخيف المرعب.

﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: مكان رصد وترقب، ترصد وتراقب من يدخلها من الكفار، أو يقصد بذلك خزنتها الذين يرصدون ويراقبون الكفار؛ أي: أصحاب النّار تحت رقابة دائمة ومستمرة.

[٢٢] ﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾:

﴿لِّلطَّاغِينَ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، الطّاغين: جمع طاغٍ، وهو الذي تجاوز الحد، والطّغيان: مجاوزة الحد، تجاوز حدود الله أو حقوق العباد بالعدوان عليهم وعلى أموالهم ودمائهم وأعراضهم، أو تجاوز الحد بالتّفريط في الواجبات أو التّعدي على المحرمات.

﴿مَآبًا﴾: المآب: المرجع والمستقر أو المصير، من أوّاب: رجّاع، والأوب في الأصل: الرّجوع.

[٢٣] ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾:

﴿لَّابِثِينَ﴾: اللبث: هو المكث والإقامة والانتظار المحدد بزمن وحدده بقوله تعالى أحقاباً مقارنة بالمكث الغير محدد بزمن.

﴿فِيهَآ﴾: ظرف مكان تعود على جهنم.

﴿أَحۡقَابًا﴾: ظرف زمان، أحقاباً: دهوراً طويلة متتابعة لا نهاية لها، مشتقة من: حقيبة الرّاكب الملازمة له، أحقاباً: جمع حقب والحقب هو الدّهر، أحقاباً: دهوراً لا نهاية لها، وأحقاباً تحمل الكثرة مثل سنين وأعواماً، أو تدل على أنّه كلما مضى حقب تبعه آخر، ولم يحدد عددها، وقيل: الحقب (٨٠) عاماً أو أكثر.

[٢٤] ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا﴾:

﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾: لا: النّافية، يذوقون: يشعرون، ويذوقون: بصيغة المضارع تدل على التّجدد والتّكرار والاستمرار.

﴿فِيهَا﴾: في جهنم.

﴿بَرۡدًا﴾: له معنيان: الهواء البارد الذي يطفئ حرارة جهنم المحرقة ونسميه برودة الطّقس كالهواء البارد الذي تفعله مكيفات التّبريد، والمعنى الثّاني: النّوم.

﴿وَلَا شَرَابًا﴾: تكرار (لا) يفيد توكيد النّفي وفصل كلّ منهما على حدةٍ لا البرد ولا الشّراب ولا كلاهما، شراباً: ما يشرب من السّوائل كالماء واللبن والعصير أو ما يسكن العطش.

[٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿حَمِيمًا﴾: أي لا يذوقون في جهنم إلا الماء الحميم كقوله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [محمد:١٥] أو: ﴿بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۢۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ [الكهف:٢٩].

﴿وَغَسَّاقًا﴾: القيح أو المادة الصّفراء التي تسيل من الجرح المنتن، أو شراب نتن الرّائحة، وقيل: صديد أهل النّار، أو هو غسلين.

[٢٦] ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾:

﴿جَزَآءً﴾: الجزاء في الأصل المماثلة أو المقابلة، مقابلة الشّيء بالشّيء والجزاء من جنس العمل.

﴿وِفَاقًا﴾: جزاءً عادلاً موافقاً لذنوبهم أو مماثلاً لأعمالهم، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] فيها وفاق.

[٢٧] ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾:

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ﴾: إنّ: للتوكيد، كانوا: في الدّنيا.

﴿لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾: لا: النّافية، يرجون: لا يأملون أن يحاسبوا في الآخرة والرّجاء هو الظّن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشّك فيه، أو لا يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء، أو لا يرجون ثواباً لأعمالهم الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر.

[٢٨] ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا﴾:

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: الآيات القرآنية والكونية والأدلة والبراهين الدّالة على البعث والحساب، الدّالة على وحدانية الله تعالى وصدق نبوة محمد ﷺ.

﴿كِذَّابٗا﴾: أي كذبوا بآياتنا كذباً وتكذيباً، وبدلاً من القول كذباً وتكذيباً جمع بينهما بالقول كِذّاباً: أي التّكذيب المفرط والمبالغ فيه، وكذّاباً مصدر للفعل الرّباعي: كذّب، ارجع إلى الآية (٣٥) من السورة نفسها لمزيد من البيان.

[٢٩] ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا﴾:

﴿وَكُلَّ﴾: ولم يقل وكلٌّ بالرفع؛ كلَّ بالنّصب تعني كلّ شيء ولا يستثنى شيءٌ إلا أحصاه، ولو جاءت بالضّم لكانت تعني بعض الأشياء أحصاها والبعض الآخر لم يحصِهِ.

﴿شَيْءٍ﴾: الشيء: كل ما يعلم ويخبر عنه سواء أكان حسياً أم معنوياً، وشيء: نكرة تشمل كلّ شيء مهما كان نوعه وشكله وحجمه، ويشمل العمل والأمر والخلق ويعني: أقل القليل.

﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: الإحصاء هو العدّ والحفظ.

﴿كِتَابًا﴾: أي كتبناه بالكتاب (اللوح المحفوظ) كما في قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢]، أو ما تكتبهُ الملائكة في سجل أعمالهم مما يعملونه من حسنات وسيئات.

[٣٠] ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾:

﴿فَذُوقُوا﴾: الفاء: رابطة لجواب شرط مقدر، يعني: إن كذبتم في الدّنيا فذوقوا؛ أي: العذاب، والمخاطب الكافرون والمكذبون والمشركون والعاصون، وفي الآية تهديد ووعيد.

﴿فَلَن﴾: للتوكيد، لن: تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: إلا: أداة حصر، عذاباً: أي عذاباً فوق العذاب، كقوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨].

❖ ❖ ❖

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

سورة النبأ [الآيات ٣١ - ٤٠]

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾:

بعد أن ذكر ما ينتظر الطّاغين من العقـــاب، يذكر المتقين وما ينتظرهم من الثّواب.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ: للتوكيد، للمتقين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، المتقين: جمع (متقي) وهو الذي أطاع أوامر الله تعالىٰ وتجنب نواهيه فدرأ عن نفسه غضب الله وسخطه وناره.

﴿مَفَازًا﴾: المفاز: مصدر من فعل: فاز، هـــو مكان الفوز وزمان الفوز: هو النجـــاة من النار وبلوغ الغاية؛ أي: كل ما يتمناه هو الجنة وزمان الفوز يوم القيامة أو الآخرة، وبيّن بعض مظاهر الفوز العظيم في الآيات التّالية.

[٣٢] ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا﴾:

﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين عظيمة الشّجر والثّمر.

﴿وَأَعْنَابًا﴾: نوع من الثّمار الخاصة.

[٣٣] ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾:

﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جمع كاعب، وهي الفتاة التي بلغت ســـن البلوغ، يقال: كعبت الجارية؛ أي: بلغت سن البلوغ، وقيل: نهوض وارتفاع ثدي الفتاة حين تبلغ سن البلوغ.

﴿أَتْرَابًا﴾: القرينة في السّن، جمع تَرِب وهي التي تماثل في سنّها سن صاحبتها؛ أي: الكلّ في سن واحدة، وهذه المماثلة في السن تزيد في التفاهم بينهن وعدم الاختلاف.

[٣٤] ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾:

كأساً مملوءة من دَهَق الحوض: ملأه، وتأتي في سياق شرب الخمر الممزوج بالكافور والزنجبيل وغيره من الشراب.

[٣٥] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾:

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: لا: النّافية، يسمعون فيها لغواً: اللغو هو ما لا خير فيه ولا فائدة من الكلام، ناهيك عن الكلام القبيح والباطل والكذب والشّرك والشّتم؛ فهذا غير وارد أصلاً.

﴿وَلَا كِذَّابًا﴾: تكرار لا يفيد توكيد النّفي، كذّاباً: لا يكذبون ولا يُكذبون، لا يسمعون فيها كذباً ولا تكذيباً، الكذب (العادي)، والتّكذيب (كثرة الكذب)، وبدل من لا يسمعون فيها كذباً ولا تكذيباً جمعها في قوله: كِذّاباً.

[٣٦] ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾:

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦) من السّورة نفسها لبيان معنى الجزاء، جزاءً: ثواباً من ربك.

وعطاء: هبة وفضلاً من الله.

﴿حِسَابًا﴾: أي كافياً من: حسبك؛ أي: يكفيك؛ أي: عطاء كافياً، الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر من ذلك بـ(٧٠) إلى (٧٠٠) ضعف أو أكثر من ذلك، وحساباً تعني أيضاً: يحاسبون حسب أعمالهم كلٌ حسب عمله الصالح، وإذا قارنا هذه

الآية مع الآية (٤٠) في سورة غافر وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: نجد أن هذه الآية تعني: كثرة الرزق في الجنة مهما كانت درجة أعمالهم.

[٣٧] ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾:

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾: جزاءً من ربك رب السموات والأرض وما بينهما، وما بينهما: يشير إلىٰ كون الأرض هي المركز وهناك طبقة غازية بين الغلاف الغازي للأرض والغلاف الغازي للسماء مغايرة في صفاتها، فهي لا تخص الأرض ولا السماء، أو جزاء من ربك الذي هو رب السموات والأرض وما بينهما، أي: الخالق والمالك والحاكم والمدبر والمتصرف بهما.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: ارجع إلىٰ سورة الفاتحة الآية (٣) للبيان، وسورة الرحمن الآية (١).

﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾: أي لا يقدر أحد من أهل السموات والأرض أن يخاطبه سبحانه في ذلك اليوم إلا بإذنه (يوم يقوم الرّوح والملائكة).

[٣٨] ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾:

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾: يوم القيامة، يوم يقوم الرّوح (جبريل عليه السلام).

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا﴾: صفاً بعد صف، أو صفوفاً أو مصطفّين.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾: لا: النّافية، أي: لا جبريل عليه السلام، ولا الملائكة ولا العباد ولا أحد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: من أذن له الرّحمن، والشّرط الثّاني: قال صواباً؛ أي: في الدّنيا، والصّواب؛ أي الحق: الذي لا يعتريه الخطأ، وشهد بالتّوحيد (لا إله إلا الله)، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤) في سورة المعارج وهي قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قدم الملائكة علىٰ الروح في آية النبأ قدم الروح علىٰ الملائكة، وذلك لأن السياق مختلف؛ ففي آية النبأ الموقف يوم القيامة، والكل قيام أمام الرب، وجبريل أكثر الملائكة مقاماً، وأما السياق في آية المعارج في العروج والملائكة هم الذين يعرجون دائماً فقدمهم لكثرة العروج والعدد.

[٣٩] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد ويشير إلىٰ يوم يقوم الرّوح والملائكة صفاً.

﴿ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: يوم القيامة، يوم الحق: الحق هو الأمر الثّابت الذي لا يتغير ولا يتبدل.

﴿فَمَن﴾: الفاء: رابط لجواب شرط مقدر، من: استفهامية.

﴿شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: أي فمن شاء عمل عملاً صالحاً، يؤوب أو يرجع به إلىٰ ربه مخلصاً له بالطّاعة والإيمان وابتغاء مرضاته.

[٤٠] ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾:

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾: إنّا: للتعظيم، أنذرناكم: الإنذار هو الإعلام مع التّحذير والتّخويف.

﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾: قادماً أو آتٍ قريباً، قيل: هو عذاب القبر والبرزخ أو عذاب يوم القيامة.

في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: المرء يشمل الذّكر والأنثى والمؤمن والكافر والصّغير والكبير، ما قدّمت يداه: من خير وشر، ومن حسنات وسيئات.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾: يا ليت: أداة تمنٍّ تستعمل للأمور المستحيلة الحدوث، يا ليتني كنت تراباً: حين يرى أنّ الله قد حكم على الحيوانات بأن تكون تراباً يتمنى الكافر لو يجعله الله في عداد هذه الحيوانات التي تتحول إلى تراب؛ حتّى يتوقف عذابه ويرتاح، أو يتمنى لو لم يبعثه الله من موته وقبره أو لو لم يخلق البتّة.

❖❖❖

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

سورة النّازعات [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (٧٩) وترتيبها في النّزول (٨١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾:

الواو واو القسم، والقسم يشير إلىٰ أهمية المقسم به وجواب القسم، والله سبحانه غني عن القسم، ويقسم الله في هذه الآيات بعدد من الملائكة ومهماتهم كنزع أرواح الكفار وأرواح المؤمنين.

النّازعات: جمع نازعة مؤنث النازع: اسم فاعل من الثلاثي نزع، غرقاً: الملائكة الموكلون بنزع وقبض أرواح الكفار، غرقاً: نزعاً شديداً بعنف تصاحبه آلام شديدة، مشتقة من أغرق في الشّيء: أوغل وبلغ أقصىٰ غايته.

[٢] ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾:

الواو واو القسم. الناشطات: جمع ناشطة مؤنث الناشط، من الفعل نشط، يقسم بطائفة أخرىٰ من الملائكة الموكلين بنزع أرواح المؤمنين.

﴿نَشْطًا﴾: برفق ولين، من النّشط وهو الإخراج برفق وسهولة.

[٣] ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾:

الواو واو القسم، السابحات: جمع سابحة مؤنث سابح، من فعل سبح.

وهذا قسم آخر بطائفة أخرىٰ من الملائكة تسبح في السّموات صعوداً ونزولاً لتؤدي وظائفها، أو تسبح بالأرواح التي قبضتها إلىٰ عليين، أو سجين

ثمّ تنزل بها، وهناك من فسر السّابحات سبحاً: بالمجرات والكواكب والأجرام السّماوية التي تجري كلّ في فلك يسبحون.

انظر إلىٰ جواب القسم بعد الآية (١٤).

[٤] ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾:

الفاء: فاء العطف، والعطف بالفاء يكون لموصوف واحد؛ لأن هذه الأحداث يقع بعضها علىٰ أثر بعض.

السابقات: جمع سابقة مؤنث السابق من فعل: سبق.

هذه طائفة من الملائكة أو الأجرام السماوية أو غيرها من المخلوقات أو الكائنات ذات السرعة الهائلة العظيمة التي تسبق غيرها، قد تكون نوعاً من السّابحات لها القدرة علىٰ السّبق؛ أي: لها قدرة فائقة في الجري تفوق الطّوائف الأخرىٰ.

[٥] ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾:

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ﴾: الفاء: عاطفة، والعطف بالفاء يكون لموصوف واحد.

المدبرات: جمع المدبرة، مؤنث المدبر، من فعل دبر.

هذه طائفة متفرعة من الملائكة السّابحات وهي موكلة بتصريف الرّياح والأمطار والأرزاق وتدبير الخلائق، أمراً: هو اسم جنس يشمل المفرد والمثنىٰ والجمع.

أقسم الله سبحانه بهذه الأنواع الخمسة من الملائكة أو غيرها من المخلوقات أو الكائنات التي لها هذه الصفات، وجواب القسم مضمر تقديره: لتبعثن ولتنبّئن ولتحاسبن، أو جواب القسم هو: يوم ترجف الرّاجفة.

[٦] ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾:

يوم: القيامة أو البعث نكرة للتعظيم والتهويل.

﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الراجفة: مؤنث الراجف اسم فاعل من: رجف، والراجفة: الزّلزلة الشّديدة التي تصيب الأرض والتي تؤدي إلىٰ تبعثر القبور وانشقاق الأرض والخروج من الأجداث، وهناك من المفسرين من يقول: إن هذه الرجفة ستصيب الأرض الجديدة وليست الأرض التي نعرفها والتي تحتوي كل مكونات الأرض القديمة ومعالمها والموتىٰ وغيرها...

[٧] ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾:

أي الرّجفة أو الرّجفات التي تتلو الرّجفة الأولىٰ. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (١) للبيان المفصل، وبعدها يخرج الناس من قبورهم (من الأجداث).

وهناك من قال: الراجفة (النفخة الأولىٰ) وما يحدث فيها من الصعق، والرادفة النفخة الثانية (نفخة القيام أو البعث).

[٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾:

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة يوم البعث.

﴿وَاجِفَةٌ﴾: مؤنث واجف، اسم فاعل من فعل: وجف؛ أي: خائفة مضطربة شديدة الخوف الفزع والهلع، ومسرعة لا تدري أين تذهب، وأهوال يوم القيامة كقوله تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر:١٨].

[٩] ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾:

أبصارها ذليلة منكسرة تنظر إلىٰ الأرض لهوانها وذلها، نسب الأبصار إلىٰ القلوب ولم يقل أبصارهم خاشعة، أو ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القلم:٤٣]، أو ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القمر:٧]. ارجع إلىٰ سورة القمر، والقلم للبيان والمقارنة؛ فالقلب حين يوجف ويضطرب ويقلق يسري القلق إلىٰ كلّ الجسم أو الذّات؛ أي: كلّ ذواتهم مضطربة قلقة وليس القلوب فقط.

[١٠] ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾:

﴿يَقُولُونَ﴾: منكرو البعث والكفار، وغيرهم من الناس.

﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد والتعجب.

﴿لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾: الدنيا (أو أرض الدنيا).

﴿لَمَرْدُودُونَ﴾: أنردُّ إلى الحياة الدّنيا التي كنا فيها؛ أي: أنرجع إليها مرة ثانية، واللام في لمردودون: للتوكيد، و«الحافرة»: مأخوذة من الإنسان حين يمشي على الأرض برجليه يحفر الأرض ويترك أثر قدميه، أو من كثرة سيره على الأرض يحفر فيها طريقاً كما نرى حين نسير على أرض رملية أو ترابية كيف نحفر الأرض بأقدامنا بالسير عليها.

[١١] ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾:

﴿أَءِذَا﴾: الهمزة همزة استفهام تحمل معنى الاستبعاد والإنكار للبعث، والعودة إلى الحياة بعد أن كنّا عظاماً نخرة: عظاماً بالية بحيث تتفتت إن أمسكها بيده، أو جوفها منخور وصارت مجوّفة من مرور الزمن.

[١٢] ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: أي منكرو البعث، وغيرهم من الكفار.

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد وتشير إلى العودة في الحافرة (العودة إلى الحياة الدّنيا)، إذاً: حرف جواب؛ أي: إذا رددنا إلى الحافرة وصحّ ذلك، فهي كرّة خاسرة.

﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: رجعة خائبة أو عودة خاسرة، والكرة من الكر؛ أي: الرّجوع وجمعها كرّات، فهم يعلمون حقيقة أنفسهم أنّهم لو عادوا إلى الدّنيا لعملوا العمل السّابق نفسه، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

خاسرة: مؤنث خاسر من فعل: خسر.

[١٣] ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾:

﴿فَإِنَّمَا﴾: للحصر والتّوكيد.

﴿هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: صيحة واحدة أو نفخة واحدة وهي النّفخة الثّانية نفخة البعث، زجر: صاح.

[١٤] ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾:

﴿فَإِذَا هُم﴾: الفاء: استئنافية، إذا: ظرفية فجائية، هم للتوكيد.

﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: بأرض المحشر؛ أي: حضور في أرض المحشر أرض أكبر بكثير من الأرض التي نعيش عليها تتسع للبلايين من البشر من زمن آدم إلى آخر مخلوق على الأرض والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، فالسّاهرة: الأرض الجديدة كقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨].

السّاهرة: مؤنث ساهر، صفة للأرض أو الفلاة؛ لأن ساكنيها لا ينامون من الخوف والفزع والاضطراب والأهوال.

السؤال: أين جواب القسم؟ قيل: محذوف وتقديره لتبعثن، أو محذوف للتهويل والترويع، ويمكن أن يكون كل ما يخطر على عقل القارئ أو السامع.

[١٥] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام وتفيد معنى التّشويق للسامع.

﴿أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾: حديث خبر موسى بن عمران.

❖ ❖ ❖

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

سورة النّازعات [الآيات ١٦ - ٤٦]

[١٦] ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي، إذ: بمعنى حين ناداه ربه بقوله تعالى: ﴿أَنْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص:٣٠]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١٢].

﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾: الباء للإلصاق، ظرفية، الواد المقدس: الطّاهر المبارك.

﴿طُوًى﴾: اسم للوادي، وهو واقع بأسفل جبل طور سيناء.

[١٧] ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾:

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: ملك مصر وكان يسمى: فرعون. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمزيد من البيان في فرعون.

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: إنّه للتوكيد، طغى: تجاوز الحد في الكفر والشّرك والضّلال والتّكبر والظّلم والعصيان. «إلى فرعون» الذي قال: أنا ربكم الأعلى.

[١٨] ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾:

﴿فَقُلْ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب؛ أي: قل له مباشرة بعد وصولك إليه.

﴿هَل لَّكَ﴾: استفهام يفيد العرض والطّلب.

﴿إِلَىٰٓ أَن﴾: إلى حرف للغاية، أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿تَزَكَّىٰ﴾: التّطهر من الشّرك والكفر، سؤال فيه لطف وليونة.

[١٩] ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾:

وأدلك أو أرشدك.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: عبادته وتوحيده ومعرفته.

﴿فَتَخْشَىٰ﴾: الفاء للتعليل، تخشىٰ: الخشية: هي الخوف المقترن بالعلم بالذي تخشاه والتّعظيم أو المهابة.

[٢٠] ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾:

الفاء للتعقيب والمباشرة.

﴿ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: وهي العصا واليد ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء:٣٢-٣٣]، الآية هنا تعني المعجزة الكبرىٰ (العصا واليد)، والآية الواحدة والآيتان تكفي عن الآية الأخرىٰ، وقد تكون الآية الكبرىٰ هي العصا فقط.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾:

الفاء للترتيب والتّعقيب والمباشرة.

﴿فَكَذَّبَ﴾: فرعونُ بموسىٰ وبالآية الكبرىٰ ولم يصدقه؛ أي: لم يؤمن له.

﴿وَعَصَىٰ﴾: فرعون الله عز وجل ولم يؤمن بالله تعالىٰ، أو عصىٰ أمر موسىٰ عليه السلام.

[٢٢] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتعقيب المجازي؛ لأنّ الكلام يقتضي تطويل المدة.

﴿أَدْبَرَ﴾: فرعون عن الإيمان والتّصديق بموسىٰ، وأدار ظهره ولم يستمع لموسىٰ.

﴿يَسْعَىٰ﴾: يجتهد في جمع السّحرة والتّصدي لموسىٰ والفساد في الأرض.

[٢٣] ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾:

﴿فَحَشَرَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: المقام يقتضي قصر المدة الطّويلة.

الحشر: السَّوق والجمع للسَّحرة كقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف:١١١]، أو للناس كقوله: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ [طه:٥٩]، أو جنوده.

﴿فَنَادَىٰ﴾: الفاء للتعقيب.

[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾:

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للترتيب الذكري، قال فرعون:

﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: أي لا رب غيري وأنا ربكم الأعلىٰ.

[٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾:

﴿فَأَخَذَهُ﴾: الفاء للترتيب الذّكري، أخذه: أهلكه الله أو انتقم الله ليجعله عبرة لغيره، والأخذ فيها معنىٰ: الشدة والقوة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

﴿نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾: نكالاً: أي: صنع به صنيعاً (أو جعل عقوبته) يخاف منها غيره صنع به صنيعاً يحذر به غيره.

والنّكال هو القيد ويستعمل للعقوبة وجمعه: أنكال. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٦٦) لمزيد من البيان.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: لما جرىٰ لفرعون وعدم إيمانه وأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

﴿لَعِبْرَةً﴾: اللام للتوكيد، عبـرة: دلالة أو بينة تعبر بها من الجهل إلىٰ العلم وعظة لمن يخشىٰ ربه؛ أي: يخافه علىٰ علم به مع التّعظيم.

﴿لِّمَن﴾: الـلام لام الاختصاص؛ أي: عبرة لهؤلاء الذين يخشـون ربهم. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٣) لمزيد من البيان عن العبرة.

[٢٧] ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾:

﴿ءَأَنتُمْ﴾: الهمزة للاسـتفهام التّقريري، والمخاطـب كل النّاس وخاصة منكرو البعث والقرآن والألوهية والإيمان.

﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾: أي أعظم خلقاً أو أكبر خلقاً.

﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾: أم الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ أو استفهام حقيقي.

أم للإضراب الانتقالي، والسّماء: هي كل ما علاك تشمل السّموات السّبع وما فيهن، والجواب معلوم في قوله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٧٥]، فهذه السـموات تحتوي علـىٰ مليارات المجرات والتي تحوي داخلها مليارات المجموعات الشمسـية المشابهة لمجموعة درب التبانة التي تسـبح في السماء الدّنيا. وماذا عن السماء الثانية أو الثالثة أو السـابعة؟ لا علم لنا وكل ما نعلمه لا يتجاوز النذر اليسير من

السماء الدّنيا فقط وكل سماء تغلف الأخرىٰ وأكبر من الأخرىٰ، هذه السموات المبنية بناء عظيماً وشديداً وكما قال تعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ:١٢]، ومحبوكة بالحبك ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات:٧]، وما لها من فروج.

﴿بَنَاهَا﴾: أي ربطها وجعلها محكمة البناء بقوىٰ الجاذبية والتّنافر والقوىٰ الكهرومغناطيسية المتولدة عن الأجرام السّماوية حولها، وجعلها متوازنة وكما قال تعالىٰ: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣]، وبناء السماء من أعظم دلائل القدرة الإلهية فهناك أكثر من (٢٠٠ ألف مليون) مجرة فيها ملايين النجوم والكواكب والمذنبات والشهب والتّوابع ولم يحط الإنسان بها علماً حتىٰ الآن إلا بجزء أو طرف من السماء الدّنيا، فما بالك بالسموات الأخرىٰ!

[٢٨] ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾:

السّمك هو البعد الارتفاعي؛ أي: مقدار الارتفاع من الأسفل إلىٰ الأعلىٰ، يعني: رفعها عالياً أو زاد عرضها من جراء التّوسع كقوله: (وإنا لموسعون) فهذه النّجوم التي نراها تُزين السماء الدّنيا تبعد بعضها عنا مليوني سنة ضوئية كما بينت الدراسات بالتلسكوب.

﴿فَسَوَّاهَا﴾: جعلها متوازنة مستقرة تامة كاملة البناء، لا تفاوت فيها ولا اعوجاج ولا فطور ولا شقوق رغم الاتساع والتّمدد، فسوّاها تعني: بالاستقرار والكمال.

[٢٩] ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾:

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أي أظلم ليلها: جعله مظلماً؛ أي سترها بالليل كاللباس بدوران الأرض وكرويّتها، فحال دون وصول أيّ ضوء إلا ضوء القمر في الليل.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: ضوءها ونهارها، وعبّر عن النّهار بالضّحىٰ، والضّحىٰ

يبدأ بطلوع الشّمس بسقوط أشعة الشّمس على الطبقة الغازية حول الأرض مما يجعلها تضيء. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) للبيان كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [غافر: ٦١].

[٣٠] ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾:

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: أي بعد خلق السّماء.

﴿دَحَىٰهَآ﴾: في التّعابير القديمة تعني: بسطها ومهّدها؛ أي: هيّأها لعيش الإنسان عليها وذلك بتكوين قشرة الأرض من جرّاء ثورة البراكين التي ألقت بحممها لتشكل أول جزيرة بركانية التي كانت أرض مكة، ثم دُحيت الأرض من حولها؛ أي: مدّت وبسطت وتشكلت القارة الأم التي تصدعت فيما بعد إلى سبع قارات وتباعدت هذه القارات، وأثناء عملية الدَّحو:

[٣١] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾:

أي: أخرج منها من جوفها الغلاف المائي والغازي؛ أي: غلافها المائي والغازي.

أخرج منها؛ أي: من الأرض، ماءها حيث كان يخرج مع ثوران البراكين الهائلة كميات كبيرة جداً من بخار الماء والتي كانت تخرج من أكثر من (١٢٠٠) فوهة بركانية على سطح الأرض والتي شكلت أكثر من (١٠٤ مليون كيلو متر مكعب) من الماء الذي شكل (٧٠٪) من القشرة الأرضية، فبخار الماء الذي يصعد في السّماء وتحمله الرّياح ثم يصعد حتى يلاقي طبقة باردة يتكثف فيها بخار الماء فينزل على شكل مطر، فكل ماء الأرض أخرجه الله من داخل الأرض، ثم تأتي أشعة الشمس لتساعد على تبخر الماء من البحار والمحيطات وغيرها فتكون السحب ثم تتلقح السحب فينزل الماء، فبهذه الدورة دورة الماء حول الأرض

لكي لا يبقىٰ الماء راكداً، فلا يفسد أو يصبح ماء أسناً ويبقىٰ صالحاً للحياة، وكان الماء في البداية حلواً ثم أصبح مالحاً بسبب السيول وعوامل التعرية، فكل ما يصعد في السماء من بخار الماء يرجع إلىٰ الأرض كمطر وبرحمة من الله جعل ماء المطر يزيد علىٰ المياه المتبخرة، وأثبت العلم أن أكثر من (٦٠٠ ألف كم مكعب) يتبخر من البحار والمحيطات وغيرها وينزل علىٰ اليابسة كمية أكبر من ذلك بفضل الله ورحمته.

ومرعاها: أخرج منها غلافها الغازي الذي يشمل غاز ثاني أوكسيد الكربون الأساسي الذي تمتصه الأوراق الخضراء للشجر وتطلق الأوكسجين الصالح لتنفس الإنسان، وبالتالي يشكل الشجر والثمر وكونه غذاء للحيوانات التي تحتاج إلىٰ مرعىٰ، ومنها نأكل اللحم واللبن والدهن وغيرها.

[٣٢] ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾:

الهاء تعود علىٰ الأرض؛ أي: أرسىٰ الأرض بالجبال.

﴿أَرْسَىٰهَا﴾: أي ثبتها ونشرها في الأرض هنا وهناك؛ كي تكون كالأوتاد للأرض فلا تضطرب وتتحرك أو تميل، ولولا ذلك لما استطعنا أن نعيش عليها.

أرساها: خلال مرحلة الدَّحو، أي بثورة البراكين وخروج الحمم المنصهرة من البحار التي ارتفعت فوق القشرة الأرضية ثم سقطت واخترقتها وشكلت الجبال الرواسي كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠].

وكقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥].

وأثبتت الدّراسات العلمية أنّ ما تراه من ارتفاع للجبل علىٰ سطح الأرض

له امتداد داخل قشـــرة الأرض يترواح إلىٰ (١٠-١٥) ضعف ارتفاعه فوق سطح الأرض.

ويطلق علىٰ الجبال «رواسي» في الدّنيا فقط، ويوم القيامة يطلق عليها اسم الجبال ولا تعد رواسي؛ لأنّها ستزول وتقتلع وتنسف ومصيرها أن تكون كالعهن المنفوش.

[٣٣] ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾:

﴿مَتَٰعًا﴾: من المتاع: وتعريف المتاع: هو كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه ثم يفنىٰ في النّهاية من طعام وشـــراب وأثاث وسلعة وأداة ومال وأولاد وزوجة وحرث وأنعام، والمتاع يطلق علىٰ القليل والكثير.

﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: لكم اللام لام الاختصاص، وأنعامكم: مثل البقر والغنم والإبل والماعز.

فكيف تكـــون الجبال متاعـــاً لنا ولأنعامنـــا؟ قيل: إنّ العوامـــل المناخية والطّبيعية من حرارة وبرودة ورطوبة وتقلص وتمدد تؤدي إلىٰ تعرية الجبل؛ أي يحدث تفتت ســـطحي، وبعد نزول المطر يجرف الأشياء المفتتة حتّىٰ تنزل علىٰ الأرض والوديان والبحار لتشـــكل مادة الغرين الخصبة التي تنبت الزرع والحب والنبات الذي هو طعام لنا ولأنعامنا.

[٣٤] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء اســـتئنافية، إذا ظرفية تفيد حتمية الحـــدوث؛ أي: حدوثها محقق.

﴿جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: الطّامة اسم من أســـماء يوم القيامة الكثيرة، ومنها: يوم القيامة، الغاشـــية، الصاخة، القارعة، الحاقة، الأزفة، يوم الدين، يوم البعث،

يوم الخروج... وغيرها، وقد عدها الغزالي والقرطبي فبلغت خمسين اسماً كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ويقول القرطبي: كل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وقيل: النّفخة الثّانية، وقيل: حين يساق أهل النّار إلى النّار.

والطّامة من طمّ الشّيء؛ أي: علا وغلب؛ أي: الحدث العظيم المروع الذي يُنسى كل ما حدث قبله، أو الداهية العظمى التي تطمّ أو تعلو كل الأحداث الجسام قبلها.

﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾: صفة للطامة.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان؛ أي: يوم تجيء الطامة الكبرى يتذكر الإنسان ما سعى.

﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا﴾: مصدرية أو اسم موصول (بمعنى الذي) وما: أوسع شمولاً من «الذي».

﴿سَعَىٰ﴾: ما عمل في الدّنيا من خير وشر.

وكيف يتذكر الإنسان ما سعى: أي يقرأه في سجل أعماله في كتابه كقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤].

[٣٦] ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾:

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾: الجحيم اسم علم للنار، أو دركة من دركاتها مشتق من الجحم، وهو التّأجج فلا تخمد أبداً.

برّزت: أصبحت بارزة للعيان؛ أي: ظاهرة لكل من يرىٰ، وظاهرة لمن كان يُكذب بها ولا يصدق بآيات الله تعالىٰ.

﴿لِمَن يَرَىٰ﴾: اللام لام الاختصاص، مـــن ابتدائية؛ أي: لا تخفىٰ علىٰ أحد، المؤمن والكافر والعاصي والفاجر والتّقي والعاصي.

[٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء عاطفة، أما: حرف تفصيل وشرط.

﴿مَن﴾: ابتدائية لابتداء الغاية.

﴿طَغَىٰ﴾: تجاوز الحد في عدم طاعة الله، وتجاوز الحد في الكفر والشرك بالله والضلال والتكبر والظلم والفساد والعصيان.

[٣٨] ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾:

﴿وَءَاثَرَ﴾: الإيثار: هو تقديم الشـــيء علىٰ غيره سواء أيستحق التقديم أم لا يســـتحق؛ أي: تقديم الحياة الدّنيا علىٰ الآخرة وسعىٰ لها ولم يستعد للآخرة ولم يبالِ بها، أو نسيها واتبع شهواته وتجرأ علىٰ المعاصي والكبائر.

[٣٩] ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْجَحِيمَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٨) في سورة الرعد.

﴿هِىَ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾: المستقر والمسكن الدّائم أو المثوىٰ.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنْ﴾: لابتداء الغاية.

﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: آمن بالله وعمل صالحاً، وآمن بالبعث والحساب وخاف الوقوف بين يدي ربه يوم القيامة.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾: ونهىٰ: أي زجرها وكفّها ومنعها عن الهوىٰ، والهوىٰ: هو ما تميل إليه النّفس باطلاً مما لا ينبغي وبلا دليل وبعيد عن الحق والهوىٰ يغلب عليه الذّم ويختص بالأداء والاعتقادات، ونهىٰ نفسه عن اتباع الشّهوات والحرام وما يبغضه الله تعالىٰ.

[٤١] ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء تعليلية، إن: للتوكيد.

﴿ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: هي للتوكيد، المأوىٰ: المستقر والمسكن الدّائم.

[٤٢] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: ولم يقل ويسألونك: حذف الواو يدل علىٰ أن السؤال لم يسبقه أسئلة أخرىٰ؛ يسألونك: تعني السّائل يقف أمام المسؤول ويسأله عن شيء لا يعرفه، أما يسألك: ليس بالضّرورة أنّ السّائل يقف أمام المسؤول ليسأله.

﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: متىٰ قيام الساعة؟ أي بداية تهدُّم النظام الكوني وزواله وانتهاء الحياة علىٰ الأرض.

﴿أَيَّانَ﴾: أداة استفهام يسأل عن الزّمن المستقبل بمعنىٰ: متىٰ.

والفرق بين أيان ومتىٰ: أيان للمستقبل فقط تختص بالاستقبال، ومتىٰ: تستعمل للماضي والحاضر.

وأيان تستعمل في الأمور الجسام أو التي يراد تعظيمها مثل يوم الدّين يوم القيامة أو السّاعة.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: سؤال استفهام قد يكون للاستعداد لها؛ لأنه يؤمن بها ويريد معرفتها، أو يسأل عن أماراتها، أو سؤال إنكار واستبعاد واستهزاء؛ لأنه لا يؤمن بالبعث والآخرة.

مرساها: يعني وقوعها أو حدوثها أو قيامها، والأصل في مرساها: من أرساه؛ أي: أثبته وأقرّه.

[٤٣] ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا﴾:

﴿فِيمَ﴾: أصلها: في ظرفية، ما استفهام حذف ألفها بسبب الجر، فيه معنىٰ الإنكار والتّعجب من إلحاح المشركين علىٰ رسول الله ﷺ أن يُبين لهم وقتها (زمن وقوعها).

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا﴾: أي فيما أو لماذا هذا السّؤال المتكرر والحديث عنها، وأنت لا تعلمها، أو ليس عندك علمها فتذكرها لهم.

[٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾:

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والاختصاص.

﴿مُنتَهَاهَا﴾: زمن حدوثها أو متىٰ ستقع لا يعلمها إلا هو، كقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، أو منتهىٰ علمها عند الله.

[٤٥] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾:

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد والحصر.

﴿أَنتَ مُنذِرُ﴾: الإنذار: الإعلام مع التّحذير والتّخويف.

﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾: من لابتداء الغاية، يخشاها: يخافها ويعظّمها.

أي رغم أنّك لا تعلم منتهاها فأنت لا زلت مكلفاً بالإنذار، من يخشاها: من المؤمنين.

[٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾:

﴿كَأَنَّهُمْ﴾: للتشبيه المؤكد.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾: يوم يرون الساعة؛ أي: يرون تهدُّم النظام الكوني أو الكون.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾: في الدّنيا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾: عشية من زوال الشّمس إلى الغروب؛ أي: من الظّهر إلى غروب الشّمس (ساعات)، أو ضحاها: من طلوع الشّمس إلى زوال الشّمس؛ أي: نصف يوم، أو: للتخيير.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٩

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ
مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سورة عبس [الآيات ١ - ٤٢]

ترتيبها في القرآن (٨٠) ترتيبها في النّزول (٢٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾:

سبب النّزول: كما أخرج الترمذي والحاكم: كان النّبي ﷺ قبل الهجرة يتحدث مع بعض سادة قريش ويطمع في إسلامهم، فجاء ابن أم مكتوم وكان قد حرم البصر فقال: علّمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النّداء، ولا يدري ابن أمّ مكتوم أن رسول الله ﷺ مشغولٌ مع زعماء المشركين من قريش طمعاً في دخولهم في الإسلام، فكره رسول الله ﷺ نداء ابن أمّ مكتوم وأعرض وعبس في وجهه فنزلت هذه السورة.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾: عبس رسول الله ﷺ قطّب جبينه، وتولىٰ: ابتعد وأعرض بوجهه عن عبد الله بن عمرو بن أمّ مكتوم.

انتبه إلىٰ تحول الصّيغة من صيغة المخاطب إلىٰ صيغة الغائب، ولم يقل عبست وتوليت بصيغة المخاطب وإنما استعمل صيغة الغائب فقال: عبس وتولىٰ؛ إكراماً لرسول الله ﷺ.

[٢] ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾:

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾: الأعمىٰ: أي: المصاب بفقد حاسة البصر، وليس العمه: أي عمىٰ البصيرة، عبد الله بن عمرو بن أمّ مكتوم أحد المهاجرين ابن خال خديجة بنت خويلد أمّ المؤمنين رضي الله عنها، جاء رسول الله ﷺ ورسول الله يدعو ويخاطب عتبة بن ربيعة وأبا جهل والعبّاس وأمية بن خلف من عظماء قريش، لعلهم يدخلون في الإسلام.

[٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾:

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: ما للاستفهام، يدريك: من درىٰ: أي علم بعد جهل، درىٰ حالة خاصة من علم، علم أوسع من درىٰ.

﴿لَعَلَّهُۥ﴾: لعل للتعليل، والهاء تعود علىٰ ابن أم مكتوم.

﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾: أصلها يتزكىٰ: يتطهر ويتوب من ذنوبه أو يتزكىٰ بما يتعلمه من الشّرائع ويتطهر من الجهل.

[٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾:

أو لعله نسي شيئاً من تعاليم دينه فيسألك عنه، فيتذكره ويعمل به أو يتعظ فتنفعه موعظتك.

[٥] ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾:

﴿أَمَّا مَنِ﴾: حرف شرط وتفصيل، من: اسم موصول بمعنىٰ الذي.

﴿ٱسْتَغْنَىٰ﴾: بماله وجاهه وقوته أمثال هؤلاء سادة قريش عتبة وشيبة وربيعة وغيرهم، أو استغنىٰ عن عبادة الله بعبادة الأوثان.

[٦] ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾:

أصلها تتصدىٰ: أي تُقبل عليه بوجهك، أو تتعرض له تحاول محادثته وتلحُّ علىٰ دعوته.

[٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾:

﴿وَمَا﴾: النّافية.

﴿عَلَيْكَ﴾: من وزر أو إثم أو مسؤولية أو جناح في عدم إسلامهم، ما عليك إلا البلاغ.

﴿أَلَّا﴾: أصلها: أن حرف مصدري للتعليل ولا النّافية.

يزكىٰ: أي يتطهر أو يتوب، أو يؤمن ويدخل في الإسلام أو يهتدي.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾:

﴿وَأَمَّا مَن﴾: أمّا حرف شرط وتفصيل، من: اسم موصول بمعنىٰ الذي.

﴿جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾: يمشي بجد وعزم طالباً العلم وحضور مجلسك أو سائلاً عن أمر يهمه.

[٩] ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: للتوكيد.

﴿يَخْشَىٰ﴾: أي يخشىٰ الله تعالىٰ؛ يخافه خوفاً مقروناً بالعلم والتّعظيم.

[١٠] ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾:

﴿فَأَنتَ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾: منصرف أو مشغول أو غافل عنه بسبب هؤلاء كفار قريش.

[١١] ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: كلمة ردع وزجـــر، وقد تعني حقاً، كلا: لا تفعل مثل ما فعلت مع ابن أم مكتوم، ثم ينتقل سبحانه وتعالىٰ للحديث عن القرآن وآياته.

﴿إِنَّهَا﴾: تعـــود علىٰ الآيات القرآنيـــة التي أنزلها الله فـــي كتابه العزيز، أو السّـــورة نفسها وما جاء فيها من تذكرة لمن ينسىٰ، أو تذكرة لمن يريد الانتفاع بها الغاية منها النّجاة من النّار والفوز بالجنة.

[١٢] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾:

﴿فَمَن﴾: الفاء عاطفة، من شرطية.

﴿شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: فمن شاء الله ذكر الله فزاده خشية، أو ذكر القرآن: قرأه وتدبّره واتّعظ به، ولم يقل ومن شاء لم يذكره؛ لأنّ هذا ليس وارداً شرعاً.

[١٣] ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾:

تذكرة: أي القرآن أو آياته مكتوبة في صحف مكرمة.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿صُحُفٍ﴾: جمع صحائف وهي ما يُكتب فيه القول.

﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾: مؤنث مكـــرم، مكرمة: مباركة عظيمة القدر والشـــأن عند الله تعالىٰ وعند الملائكة.

[١٤] ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾:

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: رفيعة القدر والمنزلة أو مرفوعة في اللوح المحفوظ.

﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾: لا يمسها إلا المطهرون؛ أي: الملائكة، ومنزّهة عن الشّياطين.

[١٥] ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾:

﴿سَفَرَةٍ﴾: السّفرة: الملائكة، والسّفرة جمع سفير: وهو الواسطة بين الله ورسله؛ أي: بالوحي، والسفّرة من السّفر (وهو الكتاب)؛ أي: الكتبة؛ لأنّهم يكتبون أعمال العباد.

[١٦] ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾:

﴿كِرَامٍ﴾: كرام على الله؛ أي: أعزّاء وكرام في أخلاقهم وخلقهم وعلى أحسن خُلق وخَلق صادقين.

﴿بَرَرَةٍ﴾: وصفاً للملائكة؛ لأنهم جميعاً بررة؛ وبررة: جمع كثرة، بينما وأبرار جمع قلة وهو وصف للمؤمنين، وبرَرَة: جمع بار؛ أي: أتقياء مطيعين بارّين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، برَرَة من الآثام والعيوب.

[١٧] ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾:

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾: قُتل: قيل معناها: لُعن، وقُتل: هو أسلوب يستعمله العرب في تقبيح فعل ما؛ أي: ما أسوأه.

وقيل: قُتل: دعاء على الإنسان بأشد الدعاء، الإنسان: أي الإنسان الكافر وليس كلّ إنسان.

﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: ما: قيل: هي استفهامية تفيد أيضاً معنى التّوبيخ؛ أي: ما الذي حمله على الكفر أو يجعله يكفر بربه؟ أو: أيّ شيء أكفره؟ أي: دعاه أو أجبره على الكفر.

وقيل ما: للتعجب؛ أي: ما أعظم كفره، أو أشد كفره مع كثرة الإحسان إليه! أو أتعجب من فرط كفره، فقد أعطاه العقل وأرسل إليه رسله وأنزل عليه كتبه وبيّن له ما أمره به ونهاه عنه.

والكفر: هنا يعني كلّ أنواع الكفر ومنه كفر الجحود بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث، وكفر النعمة والإحسان إليه، وبالتّالي قتل الإنسان: هلك الكافر، فليس هناك مبررٌ وداعٍ إلىٰ كفره فلينظر كيف خلقه ربه.

[١٨] ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾:

﴿مِنْ﴾: استفهامية تفيد معنىٰ التّقرير.

﴿أَيِّ﴾: أي أنت أيها الإنسان الكافر كيف تكفر، ألم تُخلق من تراب أو من نطفة من ماء مهين!

[١٩] ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾:

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: من ابتدائية، نطفة الأب والأم (الذكر والأنثىٰ) أي: بداية خلقه من نطفة.

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾: أي قدر أعضاءه رأسه وعينيه ويديه ورجليه وسائر الأعضاء والحواس، فقدّره نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً.

والتقدير يعني: أعطاه من الصفات الوراثية ما يميزه عن غيره وكانت بداية خلقه من نطفة آدم وحواء، والشّفرة الوراثية لا يحددها إلا الله سبحانه، فقدره التقدير وقد يعني: التحكم في الصفات الوراثية لكل فرد من ذرية آدم.

[٢٠] ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: في خروجه من بطن أمّه، أو بيّنّا له طريق الخير وطريق الشّر، وأعطاه الوسائل الكافية والمعرفة والهداية الربانية كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، وأعطيناه العقل الراجح الذي يميز به بين الخير والشر، وأرسل له الأنبياء والرسل والكتب، وغرس الإيمان الفطري في كل خلية من خلاياه حين خلق آدم.

[٢١] ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿أَمَاتَهُۥ﴾: بعد انقضاء أجله، والموت هو مفارقة الرّوح للبدن، فهذا الأجل مدوّن في الشّفرة الوراثية، فأجله محدد في كل خلية من خلايا جسمه، وسوف يمر في مرحلة الولادة ثم الطفولة ثم الشباب ثم الكهولة والشيخوخة والاحتضار فالموت.

﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أقبره: أكرمه بالدّفن.

[٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية حتمية الحدوث.

﴿شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: شاء سبحانه، أنشره: أحياه من جديد بعد موته وتحوّله إلى عظام ورفات، ثم يبعثه ليحاسبه ويجزيه على عمله.

[٢٣] ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُۥ﴾:

﴿كَلَّا﴾: حقاً، أو كلا: كلمة ردع وزجر عما عليه الإنسان من الكفر، أو ليكفّ الإنسان عن كفره.

﴿لَمَّا﴾: حرف نفي.

﴿يَقْضِ مَا أَمَرَهُۥ﴾: لم يؤدِّ ما فرض الله عليه أو كلّفه به من الفروض والعبادات.

ما: اسم موصول بمعنى: الذي أمره من الأوامر، و«ما» أوسع شمولاً من «الذي».

[٢٤] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾:

﴿فَلْيَنظُرِ﴾: الفاء للتوكيد أو جواب شرط مقدر تقديره: إن أردتم معرفة الله وقدرته، فلينظر الإنسان إلى طعامه نظرة تأمل وتفكر.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: من أين توفر له أو من أين جاء، ومن هيَّأه وجهَّزه له، أو من جاء به أو كيف خلقه وجعله سبباً لحياته؟ وتركيب هذا الطعام من مختلف المواد البروتينية والنشوية والدهنية والسكرية، والمعادن والأملاح، وكيف يتم تحضيره بماء المطر وشق الأرض وإخراج مختلف النباتات!

[٢٥] ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾:

﴿أَنَّا﴾: للتعظيم.

﴿صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾: أنزلنا ماء المطر على الأرض بغزارة وكثرة حتّى تغني الأرض وتخرج حبها وثمرها، ويتوفر للإنسان الطعام.

﴿صَبًّا﴾: للتوكيد، وبـدون المطر فلن يكون هناك طعـامٌ، ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلىٰ دورة الأرض.

وكيف تم صب هذا الماء بالتبخير، ثم تشكل السحاب ثم تلقيح السحاب ثم سـقوط المطر وكون كمية الماء ثابتة علىٰ الأرض، ولكن كيفية توزيعها غير ثابتة، ولا أحد يستطيع التحكم بهذا المطر إلا رب العالمين.

[٢٦] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾: بالنباتات والحب والزرع.

وكيف يتم هذا الشـق: ليسمح للبذرة أن تنمو وتخرج السويقة ثم الأوراق والحب والثمار، فماء المطر ينزل علىٰ التربة المكونة من معادن بشـكل صفائح رقيقة تحمل علىٰ سطحها شحنات إيجابية وسلبية، فيؤدي وصول الماء إليها إلىٰ تبادل الشحنات والاهتزاز والانشقاق.

﴿شَقًّا﴾: للتوكيد. شقاً: مصدر لفعل شق، ثم ذكر ثمانية أنواع من النباتات التي تخرجها الأرض.

[٢٧] ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾:

الحـب: مثل الحنطة (القمح) والشـعير والرز والـذرة وغيرها من أنواع الحبوب.

[٢٨] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾:

عنباً: العنب بأنواعه.

قضباً: قيل: هي النباتات المستخدمة لإطعام الحيوانات مثل العلف والبرسيم والعشب.

[٣٩] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾:

شجر الزيتون وشجر النخيل بأنواعه المختلفة، واختار الزيتون والعنب؛ لأنها تمثل أهم الثمار.

[٣٠] ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾:

حدائق جمع حديقة: كل بستان له سور أو محاط بشجر كثيف.

غُلباً: كثيفة الأشجار؛ أي: الملتفَّة.

[٣١] ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾:

فاكهة: اسم جنس يشمل كل أنواع الفواكه.

أبًّا: ما تأكله الحيوانات من التبن والعشب اليابس والنبات.

[٣٢] ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾:

طعاماً لكم (خاصة) ولأنعامكم. ارجع إلى سورة النازعات الآية (٣٣) للبيان.

[٣٣] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾:

الفاء استئنافية، إذا: شرطية تدل على حتمية الوقوع.

﴿جَآءَتِ﴾: من المجيء، والمجيء في القرآن: يستعمل في الصعوبة والمشقة، وأتى: تستعمل في الأمر السهل.

الصاخـــة: قيل: الصيحة أو النفخة الثانية، وســـميت بالصاخة؛ لأنها تصم الأذان أي: تكاد تصمها لشـــدتها، ويقال: صخَّ فلان فلاناً، إذا أصمه، ولها أسماء أخرىٰ منها: الحاقة، القارعة، الطامة، الساعة، الراجفة، الرادفة، الأزفة، وقد عدها الغزالي والقرطبي فبلغت خمسين اســـماً، كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وقال القرطبي: كل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه.

[٣٤] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾:

ولم يقل سبحانه يوم يفر الإنسان؛ لأن كلمة الإنسان تشمل الذكر والأنثىٰ؛ أي: يوم تجيء الصاخة (النفخة الثانية) أو يوم البعث يفر المرء: الرجل، والفرار: هو الجري بسرعة، المصحوب بالخوف وعدم التستر.

من أخيه: من ابتدائية، أخيه في النسب.

[٣٥] ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾:

[٣٦] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾:

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته، والزوجة لا تســـمىٰ صاحبة إلا إذا كان له ولد منها؛ تعني: الصحبة دامت حتىٰ ولدت له.

﴿وَبَنِيهِ﴾: الأبنـــاء والأولاد: وبنيه تدل علىٰ الكثرة، وفيها تصغير يدل علىٰ الرأفة والشفقة، والأبناء تدل علىٰ القلة.

[٣٧] ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾:

﴿لِكُلِّ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾: من الإنس والجن.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم ظرف أضيف إلى ظرف إذ؛ أي: يوم القيامة. ويوم: نكرة للتهويل والتعظيم.

﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: لكل منهم شاغل يشغله عن أقرب الناس وهم أهله، ويقول: اللهم نفسي نفسي.

وهذا الفرار سببه هول ذلك اليوم والخوف والرعب الذي يؤدي بالإنسان إلى نسيان أهله وأولاده وأقاربه، وإذا رآهم لا يتوقف ويستمر في جريه بحثاً عن الملجأ والمنجا.

ويبدأ الفرار من الأبعد إلى الأقرب، من الأخ ثم الأب والأم ثم الزوجة والأولاد، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١-١٤) في سورة المعارج وهي قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾: نجد أن النداء يبدأ بالأقرب فالأبعد بعكس الفرار. ارجع إلى سورة المعارج لمزيد من البيان ومعرفة السبب، والاختلاف بين الآيتين.

[٣٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾:

﴿مُسْفِرَةٌ﴾: من أسفر الصّبح؛ أي: أضاء؛ أي: وجوه المؤمنين يومئذ مضيئة نيرة تضيء وتنير من آثار الإيمان والوضوء.

[٣٩] ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾:

﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾: مؤنث مستبشر من الفعل: استبشر؛ أي: تظهر على وجوههم علامات البشر والفرح والبهجة والحبور؛ لأنهم بشّروا بالجنة ونعيمها.

[٤٠] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾:

ووجوه الأشقياء الكفار يومئذٍ: يوم البعث والحشر:

﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: كناية عن تغيرها بسبب الغم والحزن والقنوط، أو تعني: عليها التراب.

[٤١] ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾:

﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشاها.

﴿قَتَرَةٌ﴾: يقال: رهقه: غشية بقهر، قترة: من القتار؛ الهواء الممتلئ بدخان الدّهن المحترق (دخان أسود) من دخان جهنم.

[٤٢] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد تفيد الذّم.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾: الكفرة: جمع كافر جمع كثرة غير محددين بعدد، بينما الكافرون أقل نسبة من الكفرة، كل من لا يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والفجرة: جمع فاجر: وهم كثرة، وقيل الفاجر: من عمل الكبائر ومات ولم يتب، والفجور: الخروج عن حدود الله وطاعة الله، وارتكاب المحرمات كالربا والزنى وسفك الدماء، والدوام على ذلك.

هم الكفرة الفجرة؛ أي: الكفار هم الفجّار، أو هناك كفرة وفجرة، أو هناك من اشترك في الصّفتين الكفر والفجور، أو الكفرة خبر أوّل والفجرة خبر ثان.

❖ ❖ ❖

سورة التكوير

ترتيبها ٨١ | آياتها ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

سورة الانفطار

ترتيبها ٨٢ | آياتها ١٩

سورة التكوير [الآيات ١ - ٢٩]

ترتيبها في القرآن (٨١) وترتيبها في النّزول (٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾:

الشمس هي إحدىٰ النجوم، وهي فرن نووي هائل مركب من غاز الهيدروجين بنسبة (٧٣٪) والهيليوم بنسبة (٢٤٪) وغازات أخرىٰ مثل الأوكسجين والكربون وغيرها من الغازات.

وتبعد الشّمس عن الأرض حوالي (٩٢،٩٠٠،٠٠٠ مليون ميل) أي: حوالي (١٤٩،٦٠٠،٠٠٠كم).

وقطر الشّمس حوالي (١،٣٩ مليون كم) أو ما يعادل (٨٦٤،٠٠٠ ميلاً) أو ما يعادل (١٠٩) ضعف قطر الأرض.

أما كتلة الشّمس فهي تساوي (٣٣٠،٠٠٠) كتلة الأرض.

وهي تسبح حول مركز مجرة درب التبانة بسرعة تقدر (٢٢٠كم/ ثانية) لتكمل دورة واحدة كل حوالي (٢٢٦ مليون سنة) حول مركز المجرة.

والشّمس والقمر والأرض تجري بسرعة (١٩كم/ ثانية).

والشّمس تعتبر أهم مصدر للطاقة علىٰ الأرض؛ فهي مصدر للضوء

والحرارة، ودرجة حرارة الشمس في مركزها يصل إلىٰ حوالي (١٥ مليون درجة مئوية)، وعلىٰ سطحها حوالي (٦ آلاف درجة مئوية).

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تستعمل للأمور الحتمية الحدوث.

﴿ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: وتقديم الفاعل (الشمس) علىٰ الفعل المحذوف يفيد التهويل والتعظيم وهذا ما نراه في الآيات (١) إلىٰ الآية (١٣) تقديم الفاعل علىٰ الفعل؛ الشّمس هذه الكتلة الملتهبة التي تمتد منها ألسنة اللهب عشرات الآلاف من الكيلومترات، وقد يصل بعضها إلىٰ أكثر من نصف مليون كم.

وتكور الشّمس: يحدث عندما يخبو النشاط النووي داخل الشّمس ويبدأ بالنقص، مما يؤدي إلىٰ انسحاب ألسنة اللهب، ويقل نورها تدريجياً وتظلم، وهذه من علامات الساعة؛ أي: بداية تهدُّم النظام الكوني.

[٢] ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾:

هذه علامة أخرىٰ من أحداث الساعة؛ أي: تهدُّم النظام الكوني.

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿ٱلنُّجُومُ﴾: أجرام سماوية مركبة في معظمها من مادة غازية ملتهبة يغلب علىٰ تركيبها مادة الإيدروجين الذين يشكل حوالي (٧٥٪) من المادة الغازية، هذا التفاعل يجعلها شديدة الحرارة مضيئة، والنّجوم تمر بدور حياة تتحول من نجوم عادية إلىٰ نجوم حمراء عملاقة، ثمّ تتقلص بعد تمددها وتصبح نجوماً بيضاء ثمّ سوداء ثمّ ثقوباً سوداء، ثم تنفجر وتنكمش علىٰ نفسها وتقل حجماً وتزداد جاذبية واختفاء إلىٰ الأبد.

ويقدر عددها في مجرتنا وحدها بأكثر من (١٠٠-٤٠٠ مليار نجم).

﴿ٱنكَدَرَتْ﴾: من الكدر: أصبحت غير صافية الضوء كان فيها عكر، وقيل: انطمس ضوؤها؛ أي: نقص لمعانها وتضاءل، ولا يعني زواله كاملاً.

[٣] ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الوقوع، وتكرارها يفيد التوكيد.

﴿ٱلْجِبَالُ﴾: مكونة من صخور، والصخور مكونة من المعادن، والمعادن مكونة من جزيئات والجزيئات من ذرات، والذرات مرتبطة ببعضها بقوى الجاذبية فإذا زالت الجاذبية عندها ستسير الجبال.

فمعنى ﴿ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: أزيلت واقتلعت من أماكنها، وكما بينت الآيات الأخرى: تدكّ وتنسف وتتحول إلى كثيب مهيل، ثم تكون كالعهن المنفوش والسراب، ثم تزول من الأرض ولن يكون هناك جبال على الأرض الجديدة.

[٤] ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾:

ومن أحداث الساعة أيضاً:

﴿ٱلْعِشَارُ﴾: جمع عشراء، وهي النّاقة الحامل التي مرَّ على حملها (١٠) أشهر وهي عند مالكها أثمن وأفضل من الأموال.

﴿عُطِّلَتْ﴾: أي أهملت فلا راع يرعاها؛ لذهول صاحبها، ولم تعد لها قيمة في نظره.

[٥] ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية (١) من السورة نفسها.

﴿ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جمع وحش: هو الحيوان البري المفترس، وهنا يقصد به سائر الحيوانات، والحشر: هو السّوق والجمع. فالوحوش تحشر؛ أي: تخرج

من جحورها وأوكارها حين تحدث الـزلازل وتمور الأرض، وقد تبيّن أن هذه الحيوانات تشـعر بالهزات الأرضية قبل أن يشـعر بها الإنسان، ولذلك تحاول النجاة فتخرج باحثة عن ملجأ لها.

[٦] ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾:

التسجير: هو الإحماء إلى درجة الاحمرار.

﴿سُجِّرَتْ﴾: اشـتعلت ناراً بسـبب الانفجارات وتلاطم الصّفائح القارية تحت البحـار والمحيطات، مما يـؤدي إلى اختلاط طبقـات الأرض الحديد والنّحاس المذاب بغيره من المواد البترولية المخزونة في أعماق البحار والغازات المشتعلة. ارجع إلى سورة الطور آية (٦) لمزيد من البيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣) في سورة الانفطار وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: نجد أن مرحلة الانفجار تسبق مرحلة الاشتعال.

﴿سُجِّرَتْ﴾: أي: صارت نـاراً، والانفجار قد يؤدي إلى الاشـتعال وإلى الفيضانات على وجه الأرض، وإذا قارنا البحار مع الأبحر في القرآن نجد البحار تعني: جمع كثرة، والأبحر: جمع قلة.

هذه الأحداث السّتة تحدث في الدّنيا عند النّفخة الأولى.

ثم يذكر الله سبحانه ستة أحداث تحدث بعد النفخة الثانية يوم القيامة في الآخرة.

[٧] ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية الأولى من السورة نفسها.

﴿ٱلنُّفُوسُ﴾: أعيدت إلى الأجسـاد؛ أي: ردّت النفوس إلى الأجساد، بعد

أن ترد الأرواح أولاً، ويخرج العبد من القبر ويساق إلى أرض المحشر للحساب والجزاء، وقد تعني أيضاً: يقرن كل إنسان بشكله؛ أي: العاصون معاً والمحسنون معاً وهكذا.

[٨] ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾:

ومن أحداث يوم القيامة.

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية الأولى من السّورة نفسها.

﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾: هي الأنثى التي دفنت حية كما كانوا يفعلون في الجاهلية من وَأْد البنات: تطمر بالرّمل أو التّراب حية؛ خوفاً من العار أو الفقر! فجاء الإسلام فحرم ذلك، تسئل هذه الموءودة التي قتلت: بأيِّ ذنب قتلت؟

[٩] ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾:

﴿بِأَىِّ﴾: الباء تعليلية أو باء السّببية، أي: استفهام فيه توبيخ لقاتل الموءودة.

﴿ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾: ما سبب قتلها وما هو الذّنب والجرم الذي ارتكبته حتى تُوأَد؟ وفي هذه الآية تهديد ووعيد لكلّ قاتل.

[١٠] ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾:

ومن أحداث يوم القيامة:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تستعمل للأمور الحتمية الحدوث.

﴿ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: الصّحف: جمع صحيفة: التي تكتب فيها أعمال العبد، نشرت: فتحت وأعدّت للقراءة بعد أن كانت مطويّة، ثمّ توزع على أصحابها؛ ليقرؤوها كما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]. أو تطايرت الصحف.

[١١] ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلىٰ الآية الأولىٰ من السّورة نفسها.

﴿ٱلسَّمَآءُ﴾: أي السّموات السّبع طويت.

﴿كُشِطَتْ﴾: اقتلعت وأزيلت وبدِّلت بسماء جديدة، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨].

[١٢] ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلىٰ الآية الأولىٰ من السّورة نفسها.

﴿ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: سعّر النّار: أوقدها أو ألهبها، الجحيم: اسم علم للنار، وقيل: دركة من دركات النّار، الجحيم: مشتقة من الجحوم: التّأجج فلا تخمد أبداً.

[١٣] ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلىٰ الآية الأولىٰ من السّورة نفسها؛ للبيان.

﴿ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبت وأُدنيت من المتقين كقوله تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١].

[١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾:

علمت كلّ نفس ما أحضرت من أعمال خير وحسنات أو شر وسيئات، كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران:٣٠].

﴿نَفْسٌ﴾: نكرة والتّنكير يفيد العموم، ومن المفسرين من قال: علمت نفس

ما أحضرت؛ تعني: ما أحضرت من عمل صالح كثمن يدخل الجنة؛ لأنّه سبقها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [آية:١٣].

لنقارن بين قوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار:٥]:

علمت نفس ما قدمت وأخرت: موقف يحدث قبل بدء الحساب عندما تتبعثر القبور ويساق إلىٰ أرض المحشر.

وأما عندما تُقرب إليه الجنة (وإذا الجنة أزلفت) ويراها، فيعلم عندها ما أحضر ثمناً لها من العمل الصالح، فهو موقف آخر موقف متأخر عن الأول.

[١٥] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: ارجع إلىٰ سورة القيامة الآية (١).

﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾: الخنس أو الخنوس يعني: الاختفاء الكامل؛ أي: لا تُرىٰ بالكامل وعدم عودة ظهورها مرة أخرىٰ وتسمىٰ الثّقوب السّوداء، أكبر من الشّمس بعشرين مرة، ولها صفات مميزة بالإضافة إلىٰ الخنس: وهو الاختفاء كاملاً.

﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾: الجوار: أي التي تجري بسرعات كبيرة ثانياً، والكنس: أي التي لها وظيفة الكنس ثالثاً.

﴿ٱلْجَوَارِ﴾: جمع جارية تجري في أفلاكها، وتجري بسرعة هائلة تقدر بـ(٣٠ مليون كم/ بالساعة).

﴿ٱلْكُنَّسِ﴾: تكنس وتنظّف السّموات والكواكب والمجرات والفضاء والكون بجاذبيتها التي تشبه وظيفة المكنسة الكهربائية، وسمّيت بالثّقوب

السـوداء؛ لقدرتها على امتصاص وابتلاع بقايا التّفاعـلات الكونية والكواكب والغازات السّامة والضّارة والطّاقة، أو المواد العاطلة، أو الناجمة عن التفاعلات الكونية، وهذه الثّقوب السّـوداء تمثل المرحلة الأخيرة في دورة النّجوم الحياتية كمرحلة الشّـيخوخة عند الإنسـان، ثم تنفجر وتعود إلى دخـان كما بدأت من دخان، كما يموت الإنسان ويتحول إلى تراب كما خلق من تراب.

والخلاصة: يقسـم الله سـبحانه بالخنّس الجوار الكنّـس بهذه النجوم العملاقة المختفية اختفاءً كاملاً، والتي تجري بسرعات هائلة في مداراتها لتكنس صفحة السـماء، وعندما تصل إلى كثافة شديدة تنفجر وتتحول إلى دخان، فهي آية من الآيات الكبـرى الدالة على عظمة الخالق وقدرته، وأن القرآن الكريم هو تنزيل مـن رب العالمين نزل به الروح الأمين علـى قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين..

[١٧] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾:

﴿وَٱلَّيۡلِ﴾: الواو واو القسم، يقسم الله بالليل إذا عسعس، وجواب القسم: إنّه لقول رسول كريم.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا﴾: ظرفية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿عَسۡعَسَ﴾: قيل: تعني أقبل، وقيل: أدبر، لها معنيان متضادان؛ أي: عسعس من ألفاظ الأضداد: أي والليل إذا أقبـل بظلامه، أو الليل إذا أدبر ظلامه، وقيل: العسعسة رقة الظّلام؛ أي: انخفاض درجة سواد الليل في بدئه وفي نهايته، فالليل لا يكون حالك السـواد في بدايته أو نهايته، فالعسعسة بداية الليل وآخره، وتبادل الليل والنهار من الأمور الفريدة لجعل كوكب الأرض صالحاً للحياة؛ لأن الغالبية

الساحقة من الكائنات الحية لا تستطيع أن تحيا في ظلام (٢٤ ساعة) أو نور كامل (٢٤ ساعة).

[١٨] ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾:

﴿وَٱلصُّبۡحِ﴾: واو القسم، يقسم الله بالصّبح إذا تنفّس، وجواب القسم: إنّه لقول رسول كريم.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: شبه الله سبحانه الصبح بالإنسان حين يتنفّس، شبه الصبح حين طلوعه بالإنسان الذي يأخذ الهواء ليمدِّد رئتيه (بالشهيق)، وهذا ما يحدث حول الأرض حين طلوع الصبح، حيث للأرض خمسة نُطُق حماية منها نطاق الأوزون والمغناطيسي والمناخ والشعاعي وغيرها، هذه النُّطق حين تطلع الشمس وتصل أشعتها إلى الأرض، تتمدّد وتبتعد عن الأرض وكأنها تقوم بشهيق، وعندما يأتي الليل تنكمش هذه النُّطق وكأنها تقوم بعملية إخراج الهواء (الزفير).

[١٩] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾:

هذا هو جواب القسم: فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس والليل إذا عسعس والصّبح إذا تنفّس: إنه لقول رسول كريم.

إنّ واللام في كلمة «لقول» تفيدان التّوكيد.

﴿إِنَّهُۥ﴾: أي القرآن الكريم لقول رسول كريم؛ أي: جبريل عليه السلام كريم عزيز على الله تعالى وأمين، ونسب القول إلى جبريل؛ لأنّه هو الواسطة في تبليغ الوحي.

﴿كَرِيمٖ﴾: عزيز على الله وأمين، وكريم يؤدي ما طُلب منه، وكريم لكرم أخلاقه وخصاله فهو أفضل الملائكة وأعظم درجة عند ربه.

لنقارن هذه الآية (١٩) في سورة التكوير وهي قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ مع الآية (٤٠) في سورة الحاقة وهي قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

ففي آية التّكوير الرسول هو جبريل عليه السلام لقوله: «ذي قوة عند ذي العرش مكين»، وأمّا آية الحاقة الرّسول هو محمّد ﷺ لقوله: «وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن» وكلاهما جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ وصف بالرسول الكريم.

[٢٠] ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾:

﴿ذِى﴾: بمعنى صاحب، ووقوله تعالى: (ذي) أشرف وأبلغ من قوله: صاحب.

﴿قُوَّةٍ﴾: شديد القوى، قيل: له (٦٠٠) جناح، اقتلع قرى قوم لوط، يهبط ويعرج إلى السّماء في يوم مقداره (١٠٠٠ سنة) مما تعدّون، وشديد القوى في الحفظ والتّبليغ.

﴿عِندَ﴾: لا تعني المكان وإنما عنديّة المنزلة والتّشريف والتّعظيم.

﴿ذِى ٱلْعَرْشِ﴾: عند الله سبحانه، ذي العرش: صاحب العرش جل وعلا.

﴿مَكِينٍ﴾: ذو مكانة وشرف وقرب تفوق منازل الملائكة كلّهم.

[٢١] ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾:

﴿مُّطَاعٍ﴾: في الملأ الأعلى.

﴿ثَمَّ﴾: ظرف مكان؛ أي: مطاع هناك.

﴿أَمِينٍ﴾: على الوحي أو رسالات ربه، لا يزيد ولا ينقص.

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾:

هذا أيضاً من جواب القسم.

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النّافية.

﴿صَاحِبُكُم﴾: محمّد رسول الله ﷺ مشتقة من: الصّحبة، فقد صحبكم منذ الولادة ولمدة (٤٠) سنة قبل نبوته وتعرفون رجاحة عقله بالصّحبة وصدقه وأمانته وتسمونه الأمين، وإضافته إليهم ليكونوا أشدَّ لوماً وتوبيخاً لهم على ما يقولون.

﴿بِمَجْنُونٍ﴾: الباء للإلصاق، وناداه بصاحبهم ولم يناده بالنّبي والرّسول؛ لإقامة الحجة عليهم لكونهم يعرفونه لأكثر من (٤٠) عاماً فكيف تزعمون أنّه مجنون وهو أكملكم عقلاً؟!

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿رَءَاهُ﴾: أي رأى محمّد ﷺ جبريل عليه السلام في صورة الحقيقة وله (٦٠٠) جناح.

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾: الأفق البيِّن في مطلع أو أفق الشّمس؛ أي: الأفق الأعلى، والمراد بها الرّؤية الأولى: بعد غار حراء، وأمّا الرّؤية الثّانية فكانت لما عرج به عليه الصّلاة والسّلام إلى السّماء ليلة الإسراء والمعراج. ارجع إلى سورة النجم الآية (١٣-١٤) للمقارنة ومزيد من البيان.

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾:

﴿وَمَا هُوَ﴾ الواو عاطفة ما النّافية، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ أي: محمّد ﷺ رسول الله.

﴿عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾: من فعل ضنّ: بمعنى بخل بالشّيء؛ أي: بخيل؛ أي: يكتم أو يشحّ بشيء مما أوحاه الله تعالى إليه من الوحي فلم يبلّغه للناس، وإذا قرأها قارئ بالظّاء اختلف المعنى وأصبح معناها: لا يخبر شيئاً عن ربه بطريق الظّن بل هو صادق في كلّ ما يخبر عن ربه كقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٤].

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾:

﴿وَمَا هُوَ﴾: ما النّافية، هو: القرآن الكريم.

﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾: أي ما تنزّلت به الشّياطين باستراق السمع من الملأ الأعلى حتّى تقولوا: إنه قول شيطان ألقاه على كاهن. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٣٦) لبيان معنى الشيطان الرجيم.

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾:

﴿فَأَيْنَ﴾: جواب لسؤال مقدر هو: إن تبيّن لكم أنّ محمّداً حق والقرآن حق، أين: اسم استفهام للتوبيخ والتّعجب.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: إن ضللتم الطريق، أو أين تذهبون من سخط الله وانتقامه.

[٢٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿إِنْ﴾: حرف نفي أشد نفياً من ما؛ أي: ما هو إلا ذكر للعالمين.

﴿هُوَ﴾: للتوكيد، تعود على القرآن.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾: أي ما هو إلا ذكرٌ لكم وللعالمين أيضاً (الإنس والجن). ارجع إلىٰ سورة يوسف الآية (١٠٤)، وسورة ص الآية (٨٧) للبيان والمقارنة.

تذكركم بواجبكم وبالآخرة والاستعداد لها، وذكر: يعني فيه شرفكم واستقامة حياتكم ومعاشكم.

[٢٨] ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾:

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾: أي: هو ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم بطلب الاستقامة علىٰ منهاج ربه (دينه وصراطه المستقيم).

وهذه المشيئة لا تكون إلا بتوفيق من الله سبحانه وهي تتطلب منكم ابتداء العزم علىٰ فعل الاستقامة (والمشيئة تسبق الإرادة: والإرادة هي العزم علىٰ الفعل).

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية ما النافية.

﴿تَشَاءُونَ﴾: شيئاً أو أمراً ما كالاستقامة علىٰ الطريق المستقيم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: أي لا تقدرون علىٰ الاستقامة علىٰ الصراط، أو أن تفعلوا شيئاً لا بمشيئة الله وتوفيقه، فمشيئة الله تسبق مشيئة العبد، أو مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله إذا شاء الله أولاً ثم الأمر سواء شئتم أم أبيتم.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ارجع إلىٰ سورة الحمد آية (٢).

❖ ❖ ❖

نصف الحزب ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

سورة الانفطار [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٨٢) وترتيبها في النّزول (٨٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾: تبدأ السورة بالحديث عن أربعة أحداث تحدث يوم تقوم الساعة؛ أي: بداية تغيّر معالم الكون وانتهاء الحياة على هذه الأرض بكل أشكالها.

﴿إِذَا﴾: ظرف للاستقبال تتضمّن معنى الشرط وتفيد حتمية الوقوع.

﴿السَّمَاءُ﴾: أي السّموات السبع. تقديم الفاعل (السماء) على الفعل المحذوف يفيد التهويل والتعظيم مقارنة بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ليس فيها تقديم؛ لأن زلزلت الأرض شيء يحدث ونراه، أما انتظار السماء وانتشار الكواكب وانفجار البحار لم نره أبداً.

﴿انفَطَرَتْ﴾: من الفَطْر: وهو الشقُّ؛ أي: انشقّت بعد أن كانت ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ:١٢].

كما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١]، فكانت وردة كالدِّهان، وتكون كالمهل كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج:٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات:٩]، ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٦-١٧].

[٢] ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسّابقة.

﴿ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾: تساقطت وتهاوت بسبب اختلال القوىٰ المغنطيسية أو القوىٰ الجاذبة، تركت مداراتها اختلّ نظامها المحكم، أو انفجرت وتحولت إلىٰ أشلاء متناثرة صغيرة وكبيرة تسقط علىٰ الأرض أو في البحار والمحيطات.

[٣] ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسّابقة.

﴿ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: انفجرت حدثت انفجارات داخلها بسبب تصادم الصّفائح القارية تحت البحار، مما يؤدي إلىٰ اختلاط الطّبقات السّائلة والمعدنية والغازية والبترول، مما يؤدي بالتّالي لحرائق واشتعال النّيران كما جاء ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦].

ففي قيعان البحار يلتقي بخار الماء بالنيران مما يؤدي إلىٰ تبخّر قسم من الماء من البحار والمحيطات والبحيرات والأنهار، ثم يصعد بخار الماء في السماء وحين يلتقي بطبقة باردة مما يؤدي إلىٰ نزوله كماء مرة أخرىٰ، أو يخرج من فوهات البراكين، وهكذا فلا الماء يطفئ النيران كاملاً ولا النيران تبخر الماء كاملاً، وهكذا يبقىٰ التوازن إلىٰ أن تقوم الساعة وعندها يختل هذا التوازن تنشب النيران في البحار.

[٤] ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾:

وهذا يحدث عند النفخة الثانية (نفخة القيام).

﴿وَإِذَا﴾: كالسّابقة.

﴿ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: بعثر الشّيء: قلب بعضه علىٰ بعض وجعل أعلاه أسفله، تنقض وينقلب التّراب في القبور حتّىٰ يخرج منه الميت، وفي تلك الفترة يسمىٰ

القبـــر جدثاً، ولنعلم أن بَعْثرة القبور يصيب الأرض الجديدة التي ســـتحتوي كل ذرات الأرض القديمة أو الحالية بما فيها بقايا البشـــر (عظامهم ورفاتهم) بما في ذلك عجب الذنب الحـــاوي على خلايا جذعية كاملة القـــدرات والقادرة على تكوين كل إنسان من جديد بشفرته الوراثية وحموضه النووية.

[٥] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾:

ارجع إلى سورة التّكوير الآية (١٤) للبيان والمقارنة.

﴿مَّا﴾: اسم موصول بمعنى الذي قدمت من أعمال خير أو شر، وما أخرت من صدقة جارية أو سنة حسنة أو سيئة أو ما قدمت في أول عمرها وآخره.

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: يا: النّداء للبعد والهاء للتنبيه: نداء إلى المؤمن والكافر والمطيع والعاصي.

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾: ما: استفهامية، ما حملك على الجرأة على معصية ربك، وعدم طاعته أو جعلك تأمن عقابه أو تغفل عنه أو تنساه، أو ما أطمعك في هذا الإله الكريم وجعلك تظن أنه سيغفر لك ذنوبك.

ولا شـــك أنّ الطّمع في مغفرة الله تعالى أمر مبـــاح كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢]، والطّمع فيه؛ لأنّه سبحانه كريم ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النحـل:٤٠]، فالمؤمن يحق له أن يغرّه كرم ربه، ولكن عليه أن يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب، أو يزن أعماله قبل أن توزن عليه.

[٧] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿خَلَقَكَ﴾: مـــن تراب أو من نطفـــة أو ماء مهين، والخلـــق يعني: التّقدير، والخلق بالنسبة لله تعالى يكون من العدم، وبكلمة «كن» فيكون.

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، سوّاك بشراً رجلاً أو امرأة تسمع وتبصر وتفكر، والتسوية تعني: اختار لك صفاتك الوراثية الظاهرة والباطنة من الجينات المستترة والسائدة.

﴿فَعَدَلَكَ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، معتدلاً قائماً في أحسن صورة تمشي على رجلين، لا تفاوت في خلقك أو أعضائك.

[٨] ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾:

﴿فِيٓ﴾: ظرفية.

﴿أَيِّ﴾: اسم شرط.

﴿صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾: طويل قصير أبيض أسود ذكر أو أنثى، سمين نحيف حسب الشفرة الوراثية. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٦)، والأعراف آية (١١) للبيان.

[٩] ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، أو: حقاً؛ أي: لا تغترّ بكرم ربك كثيراً، وجعله ذريعة للكفر.

﴿بَلۡ﴾: للإضراب الإبطالي أو الانتقالي.

﴿تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾: أي ليس السبب هو الطمع في كرمه، بل هو تكذيبكم بالدين؛ بالحساب والجزاء والبعث.

[١٠] ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد، عليكم يا أيها النّاس «على» تفيد العلو والمشقة.

﴿لَحَٰفِظِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، حافظين جمع حافظ أو مراقب، وحافظين: جمع قلة مقارنة بقوله تعالى: «يرسل عليكم حفظة» (جمع كثرة) غير

محدودين بعـــدد؛ أي: الملائكة الذين يحفظونكم بأمر الله كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١].

[١١] ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾:

وصفهم الله تعالىٰ بالبررة فقال تعالىٰ: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٥-١٦].

﴿كِرَامًا﴾: علـــىٰ ربهـــم لا يعصون الله مـــا أمرهم ويفعلـــون ما يؤمرون يســـبحون الليل والنّهار، لا يفترون من أكرم الخلق علىٰ الله تعالىٰ فهو سبحانه كريم وأرسل أو جعل علينا كراماً كاتبين.

﴿كَٰتِبِينَ﴾: يكتبون أعمالكم ويحصونها لكم.

[١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾:

يعلمـــون ظواهر الأمور ما تقولـــون وتفعلون فيكتبون ذلـــك، ولكنهم لا يعلمون بواطن الأمور مثل ذوات الصّدور أو نوايا العبد.

بعد هذا التحذيـــر ينتقل إلىٰ الحديث عن مقام الأبرار ومقام الفجار فيقول تعالىٰ:

[١٣] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: إنّ واللام في كلمة «لفي» تفيدان التّوكيد.

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾: جمع «بارّ» ارجع إلىٰ سورة الإنسان الآية (٥) للبيان، ولمقارنة أبرار وبررة.

﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾: لفـــي اللام للتوكيد، في ظرفية، جنات النّعيم الحاوية علىٰ كل أنواع النّعيم.

[١٤] ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: إنّ واللام في «لفي» للتوكيد.

﴿ٱلْفُجَّارَ﴾: جمع فاجر: وهو الكافر أو المشـرك والمصرُّ على معصية الله ورسـوله والكبائر ومات بدون توبة، والفجرة: جمع فاجر، جمع كثرة، والفجار جمع قلة بالمقارنة بالفجرة.

﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾: اللام للتوكيد، جحيم بصيغة التّنكير للتهويل، والجحيم اسم علم للنار، وقيل: دركة من دركات النّار، والجحيم مشتق من الجحوم: وهو التّأجج.

[١٥] ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾:

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها، يقال: صليت الرّجل النّـار: إذا أدخلته فيها، وتعني: يحرقون فيها يوم الدّين، من صل اللحم؛ أي: شواه، يوم الدين: يوم الحساب والجزاء.

[١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النّافية.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل للتوكيد.

﴿بِغَآئِبِينَ﴾: الباء للإلصاق والملازمـة، غائبين: لا يفارقونها فهم ملازمون لها أبداً.

[١٧] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الواو استئنافية، ما: استفهامية فيها معنى التّهويل والتّفخيم.

﴿أَدْرَىٰكَ﴾: أعلمك: درى: علم بعد جهل، وتكون أو تتم بإخبار.

﴿مَا﴾: استفهام آخر لزيادة التّهويل والتّفخيم.

﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: يوم القيامة وسمي يوم الدّين؛ أي: يوم الحساب والجزاء.

[١٨] ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للإيغال في التّوكيد.

﴿مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: للتوكيـد، فمهمـا وصلك مـن الأخبار ومهما

تصورتــه وقدّرته فهو أعظم وأعظــم بكثير، فتكرار الســؤال للتهويل والتعظيم والتوكيد. والفرق بين ما أدراك وما يدريك: إن كل ما أدراك فقد أدراه الله به؛ أي: أخبره وأعلمه، وكل ما يدريك لم يخبره ويعلمه به مثل الساعة والبعث والقيامة.

[١٩] ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أي يوم الدّين.

﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾: لا: النّافيــة، لا تســتطيع أيُّ نفس مهما كانت صالحة أو تقية أن تنفع أو تشفع أو تقدم فدية لنفس آثمة، أو تنصرها أو تدفع عنها العذاب ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم:٢٦]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩].

﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: فهــو وحده الذي يأمر في ذلك اليــوم أو لا يأمر فيه فهو الملــك، ملك يوم الدين يحكم بين عبــاده ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد:٤١].

والأمــر قد يكون واحداً مــن الأوامر، أو واحداً من الأمــور (الأحوال أو الشؤون)، أي لا يأمر فيه إلا الله، وله الشأن وحده في ذلك اليوم وفي غيره.

وانتبه إلى عدم تقديــم الله: الجار والمجرور للحصر، ولم يقل ولله الأمر يومئذ، وإنما قال: (والأمر يومئذ للــه)، ولو قال تعالى: ولله الأمر يومئذٍ لحصر الأمــر في ذلك اليوم لله وحــده، وفي غيره من الأيام ليس لــه الأمر، وهذا غير صحيح؛ لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم وفي غيره من الأيام.

❖❖❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

سورة المطففين [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٨٣) وترتيبها في النّزول (٨٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾:

﴿وَيْلٌ﴾: دعاء عليهم بالويل، والويل: هو الهلاك والعذاب، أو تهديد ووعيد للمطففين.

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والاختصاص.

المطففين: جمع مطفف: وهم الذي إذا اكتالوا على النّاس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون؛ أي: يتلاعبون بالمكيال والميزان بالتّطفيف أو التّخسير كما سنرى، والطفيف: القليل مهما كان.

والمطففين: مأخوذة من: طفَّ الشيء وسال على جانب المكيال.

وقيل: المطفف الذي يسرق الشيء القليل الطفيف في الميزان والمكيال، وقيل: إناء طفّان: أي غير مملوء.

[٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حدوث هذا التلاعب بالمكيال والميزان.

﴿ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: اشتروا من النّاس من المواد أو السّلع الشّرائية التي تكال أو توزن.

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: استوفوا حقهم كاملاً أو أخذوا أكثر مما يستحقون، وقوله: «على النّاس» ولم يقل من النّاس، «على» تفيد الاستعلاء، والاستيلاء؛ أي: اكتيال ضار بالناس، وهذا يدل على تسلطهم على النّاس بالاكتيال، ولو قال من النّاس، تدل على الشّراء العدل، «يستوفون» بصيغة المضارع تدل على التّجدد والتّكرار في التّلاعب وليس مجرد مرة واحدة.

[٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾: أي إذا باعوهم شيئاً، يخسرون: أو ينقصون الميزان والمكيال؛ ليحققوا لأنفسهم ربحاً أكثر، ولم يقل كالوا لهم أو وزنوا لهم، حذف لام الاختصاص أو الاستحقاق: لم يعطوهم حقهم؛ أي: إذا كال أو وزن للناس أنقص من الوزن والمكيال، وإذا كال أو وزن لنفسه أخذ أكثر مما يستحق.

[٤] ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾:

﴿أَلَا﴾: الهمزة استفهام وإنكار وتوبيخ من جهلهم.

﴿يَظُنُّ﴾: الظّن: التردد الراجح هو رجحان نسبة الإثبات على نسبة النّفي؛ أي: الظّن وحده كان يكفي ليردعهم عن التّلاعب بالمكيال والميزان، فما بالك باليقين.

ويبدو أنّ الذي شجعهم على التّطفيف هو عدم ظنهم أنّ هناك بعثاً وحساباً وجزاءً وجنةً وناراً، أو أن الله سبحانه لا يراهم أو يراقبهم.

﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾: من البعث: الإحياء بعد الموت والحساب والجزاء.

[٥] ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

اللام لام الاختصاص أو لام التّوقيت؛ ويعني يوم القيامة يوم الدّين والحساب والجزاء، عظيم لأهواله وأحداثه.

[٦] ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

يوم البعث يوم يقوم النّاس من قبورهم ويساقون إلى أرض المحشر؛ للقيام بين يدي رب العالمين للحساب والجزاء، ولذلك سمي بيوم القيامة.

❖ ❖ ❖

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

سورة المطففين [الآيات ٧ - ٣١]

[٧] ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: كلمة ردع وزجر ليس كما يظن المطففين أنّهم غير مبعوثين ليوم عظيم، ولينتهوا عن التّطفيف في المكيال والميزان.

﴿إِنَّ﴾: إنّ واللام في كلمة «لفي» تفيدان التّوكيد.

﴿كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾: الكتاب الذي تكتب فيه أعمالهم وأسماؤهم، الفجار جمع فاجر: المنغمس في المحارم والمعاصي والمداوم عليها، أو المستمر على المعاصي والكبائر بدون توبة.

﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾: في: ظرفية، سجّين: اسم علم مشتق من السّجن وهو الحبس، سجّين: مكان، (ديوان) في جهنم تحفظ فيه سجلات أو كتب الكفرة الفجرة وأسماؤهم.

[٨] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾:

﴿وَمَآ﴾: للاستفهام والتّهويل والتّعظيم.

﴿أَدْرَىٰكَ﴾: من: درى؛ أي علم بعد جهل؛ وتعني: الإخبار بأيّ وسيلة، والدّراية أخص من العلم، وهل تعلم شيئاً عن سجين. ارجع إلى سورة الانفطار آية (١٧-١٨) للبيان، والفرق بين ما أدراك وما يدريك.

[٩] ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾:

أي: كتاب الفجار في سجين.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: كتاب واضح بيِّن الحروف أو الكتابة والأسماء لا تمحى حروفه أو تنسخ ومُعلم لا يخفى على أحد من الملائكة أنّه كتاب الأشقياء ومرقم بالأعداد.

[١٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلى سورة المرسلات الآية (١٥) والآية (١٩).

[١١] ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول، يكذبون: لا يؤمنون ولا يصدقون.

﴿بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الباء للإلصاق، والدّوام، الدّين: يوم الحساب والجزاء.

ولم يقل كذبوا وإنما «يكذبون»: لتدل على التّجدد والاستمرار في التّكذيب وماتوا وهم يكذبون، أو لتدل على (حكاية الحال) لنقل صورة كذبهم إلى الزّمن الحاضر لتدل على بشاعة كذبهم.

[١٢] ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: النّافية.

﴿يُكَذِّبُ بِهِۦ﴾: لا يؤمن أو يصدق به (بيوم الحساب).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: معتد: لحدود الله تعالى، أو معتد في أفعاله متجاوز حد الظّلم لنفسه أو لغيره، اثيم: كثير الآثام والذّنوب والمعاصي، صيغة مبالغة.

[١٣] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية التّحقق.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: ولـم يقل وإذا تُليت عليه آياتنا، الفـرق بينهما: تتلىٰ: أي بشكل متكرر ومرات عديدة، أما تليت تعني مرة واحدة.

﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جمع أسـطورة: أكذوبة أو أخبار أو أباطيل وخرافات الأولين.

[١٤] ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمـة ردع وزجـر، «كلا» ليس الآيات أو القـرآن كما يزعمون أساطير الأولين.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: أي ليـس القرآن أسـاطير الأولين، وإنما أو حقاً، لقد ران علىٰ قلوبهم: غطىٰ وغشـىٰ قلوبهم وغلب عليها، الرّين، أو الران: كالصدأ تراكم الذنب علىٰ الذنب؛ أي الذّنوب حتىٰ اسودت بها قلوبهم.

قيل: تبطن القلب خلايا عصبية كثيرة تلعب دوراً في العواطف والأحاسيس والذاكرة والأمور المعنوية مثل الإيمان والكفر وغيرها فالقلب ليس مجرد مضخة للدم، بل هو مقر للمشـاعر المعنوية، كما هو الحال في الدماغ في المنطقة تحت السريرية، هي مركز الذاكرة والأحاسيس المادية.

ما: بمعنىٰ الذي، كانوا يكسبون: من الآثام والمعاصي والذّنوب، يكسبون: بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ الاستمرار والتّجدد وحكاية الحال.

[١٥] ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: لزيادة التّوكيد.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إنّ واللام في «لمحجوبون» تفيدان التّوكيد.

﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم يوم القيامة أو يوم العرض، أو محجوبون: عن رؤية ربهم وتكليمه أو الاعتذار، بخلاف المؤمنين، ويعتبر هذا أكبر عقوبة وعذاب لهم.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين عقوبة الحجب عن ربهم التي هي أشد من الاصطلاء في الجحيم.

﴿إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: إنّ واللام في كلمة «لصالوا» تفيدان التّوكيد، لصالوا: لداخلون ومصطلون فيها، محترقون فيها، الجحيم: اسم علم للنار، أو دركة من دركاتها مشتق من الجحوم هو التّأجج.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: ثمّ للترتيب الذّكري.

﴿يُقَالُ﴾: مبني للمجهول المهم المقولة، وقد يكون من قبل خزنة جهنم.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب ويشير إلى العذاب أو يوم الدّين.

﴿الَّذِي﴾: أي العذاب، أو يعني يوم الدّين.

﴿كُنتُم بِهِ﴾: في الدّنيا.

﴿تُكَذِّبُونَ﴾: لا تصدّقون. ارجع إلى الآية (١٠) للبيان.

[١٨] ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر؛ أي: لِمَ لا يكفّوا عن التّكذيب بيوم الدّين ويكفّوا عن التّطفيف، ويكونوا من بين الأبرار الذي سجل أعمالهم أو كتبهم لفي عليين.

﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾: وصف للبشر، والبررة: وصف للملائكة، والأبرار: جمع قلة، والبررة: جمع كثرة؛ منهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، والمقربون أعلى من الأبرار. ارجع إلى سورة الواقعة الآية (١١-٢٦) للبيان، وارجع إلى سورة الإنسان الآية (٥) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: إنّ واللام في «لفي» تفيدان التّوكيد.

﴿عِلِّيِّينَ﴾: مكان في الجنة أو ديوان في الجنة تحفظ فيه كتب أعمال الأبرار ويكتب فيه سجل أسمائهم.

[١٩] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾:

﴿وَمَآ﴾: يراد بها التّفخيم والتّشويق والتّعظيم.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: ارجع إلى سورة الانفطار آيتين (١٧-١٨) للبيان.

﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (١٨) من السورة نفسها.

[٢٠] ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾:

كتاب واضح وبين الحروف لا تمحى حروفه أو تنسخ، ومعلوم يعلم من يراه أنّه كتاب للأبرار كتاب خير ومرقم بالأرقام. وتكرار ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ في الآية (٩) والآية (٢٠) يدل على توكيد وأهمية الكتاب والترقيم والوضوح.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾:

يراه ويحضره ويطلع عليه الملائكة المقربون أو المقربون من الإنس؛ أي: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة:٩-١١].

[٢٢] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: إنّ واللام في لفي تفيدان التّوكيد.

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾: ارجع إلىٰ سورة الإنسان الآية (٥) للبيان.

﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾: لفي: ظرفية، نعيم: أي جنات النّعيم الحاوية علىٰ كلّ أنواع النّعيم.

[٢٣] ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾:

﴿ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾: السّرر المزينة التي يجلس عليها أهل الجنة، أي أنواع فاخرة من الفُرش للجلوس عليها وأحياناً للاتكاء.

﴿يَنظُرُونَ﴾: إلىٰ أيّ شيء يريدون الاطلاع عليه، أو ينظرون إلىٰ ما أعطاهم الله من خيرات وفضل ومُلك، وأحياناً ينظرون أين هم إخوانهم؟ في أيّ مكان هم فيه؟

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾:

ترىٰ في وجوههم نضرة التّنعم والسّرور، كأنّ النّعمة ناضجة علىٰ بشرتهم بحيث إذا رأيتهم تدرك أنّ هؤلاء في نعيم كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:٣٨-٣٩]، أي: وجوههم تتلألأ بالنّور والحسن والبياض والبهجة من شدة نعيمهم.

[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾:

رحيق: شراب مصفىٰ خالص، قيل: خمر أو المسك مختوم لم يشرب منه أحد، مختوم علىٰ إنائه.

[٢٦] ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾:

الشّراب له صفتين الأولىٰ من رحيق مختوم والثّانية ختامه آخره يفوح

برائحة المسك، أو طعمه مسك، أو طعمه وريحه مسك، أو مخلوط بالمسك، القسم الأول من الشراب خمر وآخره مسك والله أعلم.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾: في للتعليل؛ أي: لأجل الحصول على ذلك فليتنافس المتنافسون في الدّنيا؛ أي: إذا كانوا يرغبون في الشّرب من الرّحيق المختوم الذي ختامه مسك.

﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾: الفاء للتوكيد، واللام لزيادة التّوكيد، والتّنافس: مشتقة من المنافسة: أي السّباق والمغالبة للحصول على الشّيء النّفيس أو ليجدُّوا في طلبه ويجتهدوا في ذلك: في مثل ذلك وأمثاله من أنواع النّعيم ليتسابق المتسابقون في الدّنيا بالأعمال الصّالحة والنّوافل والطّاعات والتّقرب من الله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:٦١].

[٢٧] ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾:

أي يسقون من رحيق مختوم، ختامه مسك، ومزاجه من تسنيم؛ أي: ممزوج من عين تسنيم ولعله أعلى شراب في الجنة وخاص بالمقربين.

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾: أي مخلوط أو ممزوج بما ينبع من عين التّسنيم.

[٢٨] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾:

أصحاب أو أهل الجنة: هم درجات عند ربهم بالنّسبة للقرب منه تعالى ولهم درجات في الجنة ومنهم:

﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾: هم السّابقون السّابقون ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، أو المقربون إلى الله تعالى، وفي طليعة هؤلاء: الأنبياء والصّديقون والشّهداء والصّالحون ومنهم الأبرار، لهم عين في الجنة تسمى تسنيم.

﴿عَيْنًا﴾: تعني التّسنيم يشرب بها المقربون، ولم يقل يشرب منها بل «يشرب بها المقربون» أي: يشربون منها مباشرة حتىٰ الارتواء وحتّىٰ يبلغوا مرامهم أو غايتهم، يشربون من العين مباشرة؛ أي: هم يرون العين نفسها فهم يتمتعون بلذة الشّرب ولذة النّظر معاً.

وماذا عن الأبرار؟ ارجع إلىٰ سورة الإنسان الآية (٥) للبيان.

ولتعلم أنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، ولنعلم أيضاً أنّ الشّرب في الجنة هو للتلذذ وليس نابعاً عن الحاجة كما هو الحال في الدّنيا.

[٢٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر المكذبين الذين يكذبون بيوم الدّين يذكر في الآيات الخمس التّالية بعضاً من أعمالهم وصفاتهم الأخرىٰ في الدّنيا بالإضافة إلىٰ التّكذيب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: إنّ للتوكيد، الذين أجرموا: كفروا وتمادوا في الشّرك والعصيان ولم يتوبوا أمثال أبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وغيرهم من الكفار ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ الذين أجرموا.

﴿كَانُوا۟﴾: في الدّنيا.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أمثال عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين في بداية الإسلام أو من جاء بعدهم.

﴿يَضْحَكُونَ﴾: من حال المؤمنين المادية وفقرهم ورثاثة ثيابهم وقوتهم، وترك دين الأجداد واتباع محمّد ﷺ، وقدّم «الذين آمنوا» علىٰ «يضحكون» بدلاً

من القول كانوا يضحكون من الذين آمنـوا؛ لتدل على الاهتمام والاختصاص، يضحكون خاصة من الذين آمنوا على فقرهم وضعفهم ورثاثة حالتهم وغيرها.

يضحكون: يضحكون بصيغة المضارع تدل على أنّ الضّحك من المؤمنين أصبح عادة ومتكـرراً ومتجدداً، ولم يقل ضحكوا من الذين آمنوا؛ أي: ضحكوا وانتهـى الأمر، ويضحكون لتدل علـى حكاية الحال وبشـاعة ضحكهم وكأنّه يحدث الآن وأنّه أمر مزعج.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾:

هذه هي الصّفة الثّانية: الغمز، وأمّا الأولى فكانت: الضّحك منهم.

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الحدوث.

﴿مَرُّوا بِهِمْ﴾: أي مروا قريباً من المؤمنين (بهم تعني قريباً منهم).

﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: الغمـز هو إرخاء الجفن أو الحاجب إلى الأعلى أو السـفل اسـتهزاءً بالآخرين، وهو نوع من أنواع الخبث يسـتعمله المتكبر أو المستهزئ ليشعر من هو من صنفه أو أمثاله أنّه يهزأ بشخص آخر.

[٣١] ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾:

هذه هي الصفة الثالثة ﴿فَكِهِينَ﴾: مسـرورين ملتذّين وفرحين بالسّخرية والاستهزاء من المؤمنين.

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية (٣٠) من السورة نفسها.

﴿انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ﴾: أي رجعـوا إلـى أهلهم، وهناك فـرق بين الانقلاب والرّجوع، الانقلاب: هو الرّجوع ولكن ليس إلى الحالة نفسـها أو الوضع الذي بدأ منه. ارجع إلى سورة التوبة الآية (٩٥) لمزيد من البيان في معنى الانقلاب.

﴿انقَلَبُوا﴾: تكرار الكلمة «انقلبوا» للتوكيد، إلىٰ أهلهم فكهين: أي راحوا يسخرون ويهزلون مع أهلهم ويضحكون من شأن المؤمنين وبما قاموا به من الأذىٰ والضّرر بهم، وفكهين؛ أي: مسرورين مغتبطين مع أهلهم. ارجع إلىٰ سورة الطور الآية (١٨) للمقارنة.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٠) من السورة نفسها.

﴿رَأَوْهُمْ﴾: أي رأىٰ الذين أجرموا الذين آمنوا.

﴿قَالُوا إِنَّ﴾: للتوكيد، واللام في «لضالون» لزيادة التّوكيد.

﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة يشير إلىٰ الذين آمنوا.

﴿لَضَالُّونَ﴾: اللام لام التّوكيد، ضالون: لأنهم تركوا دين آبائهم وأجدادهم واتبعوا دين محمّد ﷺ وما جاء به، فهم كانوا يعتقدون باطلاً أنّهم علىٰ الهدىٰ ومحمّد ﷺ وأصحابه في ضلال مبين، ضالون: جملة اسمية تفيد الثّبوت؛ أي: علىٰ ضلال ثابت مستمر.

[٣٣] ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو حالية أو للتوكيد.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾: هذا قد يكون من قول الله تعالىٰ، ويعني «وما أرسلوا»: أي ما أرسل الله سبحانه الذين كفروا علىٰ الذين آمنوا، حافظين: موكلين بهم حافظين لأعمالهم؛ ليشهدوا عليهم بالضّلال أو الرّشد وقد يكون «وما أرسلوا عليهم حافظين» من قول الذين أجرموا؛ أي: قال الذين أجرموا: وما

أرسلوا عليهم (على الذين آمنوا) حافظين؛ أي: رسل مثل محمد ﷺ موكلين ومكلفين بهم.

[٣٤] ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾:

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: الفاء للتوكيد، اليوم: أي يوم القيامة.

تقديم الظّرف «اليوم» للاهتمام به بدلاً من القول الذين آمنوا من الكفار اليوم يضحكون. فاليوم (يوم القيامة) الذين آمنوا يضحكون من الكفار كما كان يفعل الكفار من الذين آمنوا في الدنيا، ويضحكون بصيغة المضارع: تدل على التجدد والتكرار والاستمرار، وأن ضحكهم لم يتوقف.

❖❖❖

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْانْشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ | آياتها ٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩

سجدة

سورة المطففين [الآيات ٣٥ - ٣٦]

[٣٥] ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾:

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) للبيان.

﴿يَنظُرُونَ﴾: إلى الكفار وما حل بهم في الآخرة من العذاب، وكيف يعذبون في النّار ويصطرخون فيها كما قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٤-٥٦].

[٣٦] ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿هَلْ﴾: استفهام تقريري.

﴿ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾: من التّثويب والإثابة: المجازاة؛ أي: الذين آمنوا ينظرون هل جُوزِي الكفار على أفعالهم يوم القيامة؟ وثوب من الثواب، والثواب: يستعمل في الخير عادة، وإذا استعمل في الشر أو العذاب أو العقاب يكون للتهكم والتوبيخ.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي، أو مصدرية، وما أوسع شمولاً.

﴿كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾: من الكفر والإجرام والاستهزاء بالمؤمنين والسّخرية منهم.

❖ ❖ ❖

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْانْشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سجدة

سورة الانشقاق [الآيات ١ - ٢٥]

ترتيبها في القرآن (٨٤) وترتيبها في النّزول (٨٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾:

أي: السماء الجديدة أو المستقبلية وليست السماء الحالية، تنشق أو تشقق بالغمام؛ لنزول الملائكة.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث في يوم القيامة.

﴿السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:١٢٥]

وتقديم الاسم على الفعل يفيد التّهويل والتّعظيم.

[٢] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾:

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾: سمعت أو استمعت لربها، من الإذن: الاستماع.

﴿وَحُقَّتْ﴾: انقادت وأذعنت؛ أي: استجابت وحقَّ لها أن تطيع؛ فهي مسخرة مكلفة.

[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾:

اتسعت كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]،

أي: الأرض المستقبلية تكون أرضاً ضخمة جداً أكبر من الكون الحالي بأجمعه،

والمقصود بالأرض قشـــرة الأرض، فنحن سنبعث من الأرض الجديدة كما ورد في سورة إبراهيم آية (٤٨).

وهـــذه الأرض ســـتحوي كل ذرات الأرض الحالية بما فيهـــا كل بقايانا مـــن رفات وعظام، بما فيها عظم عجب الذنب الحـــاوي على المحفظة الوراثية الحاوية على خلايا جذعية كاملة القدرات والحمض النووي المميز لكل إنسان.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾:

ألقت: طرحت ما في باطنها من الموتى بعد النشور والبعث.

[٥] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾:

واستمعت لأمر ربها وأطاعت واستجابت.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾: نداء إلى كلّ إنسان، الإنسان: اسم جنس يشمل المؤمن والكافر والمطيع والعاصي، والهاء للتنبيه.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: الكدح: شدة الاجتهاد في السعي والجمع، والكدح المجاهدة والعمل الشاق؛ أي: يا أيها الإنسان الساعي إلى لقاء ربك بعملك بجد وعزم واجتهاد.

﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: للتوكيد.

﴿كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾: الفـــاء: للتعليل؛ ملاقيه: أي: مـــلاق ربك فلا محالة أنّك ملاقيه للحســـاب والجزاء ونتيجة هذا الكدح. الضمير فـــي «ملاقيه» يعود على الذات الإلهية أو يعود على الكدح؛ أي: ملاق الحساب أو ملاق نتيجة ما كدحت وكلا المعنيين صحيح.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء عاطفة، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنْ﴾: لابتداء الغاية.

﴿أُوتِيَ﴾: أُعطي كتاب أعماله بعد البعث يوم الحساب.

﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: بيده اليمنى.

[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾:

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد.

﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: أي يعرض على ربه ويعترف بذنوبه ويتجاوز الله سبحانه عنها، ويغفرها له إذا شاء سبحانه، وفي الصحيحين من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب هلك، فقلت: يا رسول الله، فإن الله يقول: (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) قال: ذلك العرض».

[٩] ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾:

﴿وَيَنقَلِبُ﴾: يرجع إلى أهله، والانقلاب يختلف عن الرّجوع، ارجع إلى سورة التوبة الآية (٩٥) للبيان.

﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: في الجنة أهله من الحور العين أو ذريته الصّالحة ينقلب بعد أن يدخله الجنة وتلحق به ذريته كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١]، أو كلما عاد إلى أهله في الجنة عاد مسروراً.

[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾:

وفي الآيات الأخرى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة:٢٥]، سواء أوتي كتابه وراء ظهره أو بشماله، النّتيجة واحدة أو نفسها.

وسبب إيتائه كتابه وراء ظهره؛ لأنّ البعض قد يحاول عدم أخذ كتابه بالشّمال فيحاول وضعها وراء ظهره؛ لتجنب أخذها بالشّمال، فتعطى إليه من وراء ظهره، والبعض الآخر يأخذها بالشّمال.

أو قد تكون يده اليمنى مغلولة إلى عنقه فيجعل يسراه وراء ظهره، أو يحاول إخفاء النّتيجة لكونه يستحي فيحاول إخفاءها وراء ظهره، والله أعلم.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾:

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد.

﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾: بعد أن يقرأ كتابه، الثّبور: أي الهلاك؛ أي: يدعو على نفسه بالهلاك يا هلاكي أُحضر أو كالقول يا ويلتاه.

[١٢] ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾:

﴿وَيَصْلَى﴾: يدخل ناراً شديدة الالتهاب.

﴿سَعِيرًا﴾: مستعرة.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾: في الدّنيا، مسروراً: مترفاً أو مسروراً منشغلاً عن الآخرة لا صلاة ولا عبادة، منشغلاً باتباع شهواته وأهوائه، في أهله: هو وأهله كانوا في الحال نفسه من الكفر والإعراض عن دين الله تعالى.

[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿ظَنَّ﴾: اعتقد أو ظن ظناً راجحاً والظن: هو التردد الراجح.

﴿أَن﴾: للتعليل.

﴿لَّن﴾: حرف نفي للمستقبل القريب أو البعيد.

﴿يَحُورَ﴾: لن يرجع إلىٰ ربه ليحاسب علىٰ عمله، أو لن يبعث من بعد موته، من: حار يحور؛ أي: رجع؛ أي: أنكر الآخرة والجنة والنار والبعث.

[١٥] ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾:

﴿بَلَىٰٓ﴾: سيحور؛ أي: يرجع إلىٰ ربه، وسيحاسب علىٰ أعماله.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾: بأعماله بأقواله وأفعاله وأحواله، كان رقيباً عليه، ثمّ يقسم الله بثلاث آيات كونية تدل علىٰ قدرته وعظمته وألوهيته وربوبيته، وتدعو إلىٰ الإيمان وهي التّغيرات الكونية التي تحدث في الليل، تقابل التّغيرات الكونية التي تحدث في النّهار.

[١٦] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾:

والقسم يفيد أو يشير إلىٰ أهمية وعظمة المقسم به وجواب القسم، والله غني عن القسم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: الفاء: استئنافية، ارجع إلىٰ سورة القيامة الآية (١) للبيان.

﴿بِٱلشَّفَقِ﴾: قيل: هو الحمرة التي تظهر بعد الغروب (غروب الشّمس) أو زمن اختلاط ضوء النّهار بسواد الليل بعد الغروب والمؤدي إلىٰ لون الحمرة، هذا ما قاله المفسرون القدامىٰ، أما التفسير العلمي فهو: حين غروب الشمس ويصبح قرص الشمس بين (٦-١٨) درجة تحت أفق الأرض، فما يصل إلينا من

ضوء الشمس الغير مباشر في ذلك الزمن يسمى الشفق، فالشفق جزء أو شيء من ضوء الشمس غير مباشر نتيجة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، والشفق يحدث نتيجة تحلل النور الأبيض الذي نراه في النهار إلى أطيافه السبعة: الأحمر والأخضر والأزرق والبرتقالي والأصفر والنيلي والبنفسجي، والطيف الأحمر هو أطول هذه الأمواج أو الأطياف، وعلامة دخول العشاء غياب الشفق الأحمر، والشفق نوعان: شفق عند الغروب، وشفق عند طلوع الفجر؛ شفق عند الغروب أحمر (بقية الأطياف أثرها ضئيل) وعندما يغيب الشفق الأحمر يدل على دخول وقت العشاء وأول ما يصلنا الطيف الأحمر يدل على طلوع الفجر، ولكنه من الصعب إدراك علامة دخول الفجر به، ولذلك من رحمة الله بنا أن أبدله بالطيف الأبيض. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٧) لمزيد من البيان.

[١٧] ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾:

﴿وَٱلَّيۡلِ﴾: الواو واو القسم، القسم بالليل.

﴿وَمَا وَسَقَ﴾: أي ما ضم وستر أو جمع وسكن، فالنهار يسوده التّفرق والتّقلب، وأما الليل يسوده الاجتماع والسكون. وسق: مأخوذة من وسق الشيء يسقه فاتسق؛ أي: جمعه فاجتمع، وأمر متسق: مجتمع من الكائنات الحية والحيوانات الليلية التي تخرج ليلاً لتبحث عن رزقها، وتنام نهاراً.

[١٨] ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾:

اتسق من الوسق وهو: الجمع والضّم؛ أي: اكتمل نوره وأصبح بدراً وذلك في منتصف الشّهر القمري بعد أن كان كالعرجون القديم يصبح كالبدر؛ ليدل على الزّمان والشّهور والسّنين.

فالقمر يبدأ بالهلال ثم التربيع الأول ثم الأحدب الأول ثم البدر يستمر

(٢-٣) أيـام، ثم يبدأ بالتراجع حتىٰ يصبح كالعرجون، فدورة القمر وسـيلة من وسائل تحديد الزمن لأهل الأرض. ارجع إلىٰ سـورة الرحمن الآية (٥) لمزيد من البيان.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾:

جواب القسم.

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾: اللام لام التّوكيد، الطبق: هو الشدة، وتركبن تعني: المرور، في هذه الشدائد الواحدة بعد الأخرىٰ.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال؛ أي: كما تغير حال النّهار إلىٰ حال الليل وحال القمر من الهلال إلىٰ البـدر وحال النّور إلىٰ حال الظّلام، أيضاً أنتم لن تسـتقروا أو تبقوا علىٰ حال واحدة فسوف يصيبكم الفقر بعد الغنىٰ أو الغنىٰ بعد الفقر والمرض بعد الصّحة أو الصّحة بعد المرض أو الشّـدة بعد الرّخاء، أو التّقلب في أحوال أشـد من أحوال أو التّغير في الحال من شـدة إلىٰ أشد، وهذه سنّة من السّنن الكونية.

وهناك من فسـر هذه الآية تفسـيراً آخر: لتركبن طبقاً عـن طبق: الطّبق: السّـماء، أو تعني السّفينة أو المركبات الفضائية ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح:١٥] دلالة علىٰ صعود الإنسان إلىٰ الفضاء في المركبات الفضائية؛ أي: لتركبن السّفن الفضائية وتصعدن في طبقات الفضاء والسّماء.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما الاسـتفهامية فيها معنـىٰ الإنكار والتّعجب من عدم إيمـان هؤلاء الجاحدين المنكرين المشـركين الكافرين بعد رؤية كلّ هذه الأدلة والبراهين الدالة علىٰ الإيمان بالله العظيم وبرسله وبالقرآن وبالبعث.

[٢١] ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث وتحققه.

﴿قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾: يُتلى عليهم أو سمعوه بأنفسهم.

﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾: يخرون ساجدين لله تعالى خشوعاً وتعظيماً لقدرته وعظمته وجلاله، يسجدون باستمرار وتكرار.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾: بآيات الله القرآنية والكونية والدّلائل والبراهين، يكذبون بالبعث والحساب والآخرة، يكذبون بالرّسل وبمحمد ﷺ، والوحي، يكذبون: بصيغة المضارع للدلالة على استمرارهم في التّكذيب.

[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾:

﴿أَعْلَمُ بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: بمعنى الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿يُوعُونَ﴾: من الإيعاء، يقال: أوعى الزاد؛ أي: جعله في الوعاء.

وأوعى الشّيء؛ أي: وضعه في الوعاء؛ أي: الله أعلم بما يوعون: يجمعون من المال والعلم وعرض الدنيا، أو يضمرونه أو يخفونه في صدورهم وقلوبهم من التّكذيب والكفر والنّفاق والكبر والحسد والغل. وأعلم: على وزن أفعل؛ للمبالغة في العلم.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

الفاء: للترتيب والتعقيب والمباشرة.

﴿فَبَشِّرْهُم﴾: البشـــارة: هي الإخبار بما يسر ولأوّل مرة، وظهور علامات البشارة كالسّرور على وجوههم، واستعمل كلمة البشارة؛ للتهكّم بهم والاستهزاء، كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٣٨].

﴿بِعَذَابٍ﴾: الباء للإلصاق والملازمة؛ أي: الدّوام.

﴿أَلِيمٍ﴾: شديد الإيلام لا يقدرون على تحمله.

[٢٥] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة اســـتثناء، والاستثناء هنا اســـتثناء منقطع بمعنى: أن المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه، فالذين آمنوا ليسوا بعضاً من الذين كفروا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: الأجـــر مقابل العمل، أجر لا يمـــنّ عليهم به؛ لأنه فضلٌ من اللـــه وتكرمٌ، أجر غير مقطوع، أو منقوص، مســـتمر لا يفنـــى ولا يبلى، غير ممنون: نكرة؛ للتعظيم والتّكثير.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الْبُرُوجِ

ترتيبها ٨٥ آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن
وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ

ترتيبها ٨٦ آياتها ١٧

سورة البروج [الآيات ١ - ٢٢]

ترتيبها في القرآن (٨٥) وترتيبها في النّزول (٢٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾:

﴿وَالسَّمَاءِ﴾: الواو واو القسم، أقسم الله عز وجل ـ والله سبحانه غني عن القسم ولا يقسم إلا بشيء عظيم، وفيه إشارة إلىٰ أهمية المقسم به وجواب القسم ـ بالسّماء ذات البروج، وأقسم باليوم الموعود، وأقسم بالشّاهد والمشهود؛ لأهمية هذه الأمور الدالة علىٰ عظمة القدرة الإلهية وطلاقتها والتي تثبت الإيمان في القلب.

﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: البروج جمع برج، والبروج هو المرتفع البين من كل شيء، برج: ظهر وارتفع، فالسماء ذات البروج؛ أي: ذات النجوم المرتفعة الواضحة للناس، فالبروج هي النجوم البعيدة عنا والتي ترىٰ في دائرة حول الأرض أودع الله فيها كماً هائلاً من النجوم، وهذه النجوم ترىٰ كأنها في تجمعات تعطي أشكالاً مختلفة سماها البشر: برج الثور أو السرطان أو العقرب أو الدلو أو غيرها. وهي ليست تجمعات حقيقية بينها مسافات شاسعة، وهي تجمعات علىٰ شكل دائرة حول الأرض، وهناك (٨٨) برجاً؛ أي: تجمع وهي تدور بحركة معاكسة لحركة دوران الأرض، وفي كل شهر من الشهور الشمسية ترىٰ الشمس تقع في تجمع من هذه التجمعات، فالبروج أصبحت وسيلة لتحديد الشهر الشمسي، ويكون تحديد اليوم القمري بدوران القمر حول الأرض، وهذه الدائرة التي تبدو كأنها

ثابتة قسمت إلى (١٢) زاوية فكل زاوية تمثل (٣٠ يوماً) (أي شهراً من الشهور الشمسية).

[٢] ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾:

وأقسم الله سبحانه بيوم القيامة الذي ينكره الكثير من الناس.

الموعود: اسم مفعول من فعل: وعد.

[٣] ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾:

الشّاهد هو الذي يشهد على المشهود، اختلف في الشّاهد والمشهود في أكثر من (٢٤) تفسيراً، وقيل: الشّاهد محمّد ﷺ والمشهود عليهم أمته، أو الشّاهد هو الله تعالى والمشهود عليهم بنو آدم كافة، أو الشّاهد الكرام الكاتبون والمشهود عليهم بنو آدم، وكذلك قيل: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وغيرها من التفسيرات. وجواب القسم محذوف. ورغم أن الآيات جاءت في سياق أصحاب الأخدود فهي تشمل في معناها كل من يفعل فعل أصحاب الأخدود مثل: كفار قريش وغيرهم، وتحذرهم.

[٤] ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾:

منهم من قال: هذا جواب القسم وتقديره: لقد قتل (لعن) أصحاب الأخدود، ومنهم من قال: جواب القسم محذوف تقديره: لتبعثن مثلاً، أو قوله: إن بطش ربك لشديد.

﴿قُتِلَ﴾: لعن أصحاب الأخدود: دعاء بالإبعاد والطّرد من رحمة الله تعالى أو الهلاك.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: الأخدود: الشّق المستطيل في الأرض كالخندق. أصحاب: لم يُبين الله من هم وما فعلوه وزمنهم، وقد قيل: كانوا قوماً كافرين حفروا أخدوداً وأوقدوا فيه النّار، وكانوا من أهل نجران، وقيل: كان ملكهم

ذو النواس قبل بعثة النبي بـ(٥٠ سنة) وصلت دعوة عيسى إليهم بالتوحيد وبدأ الناس يدخلون في دين عيسى ﷺ فأصبح ملكهم وحاشيته يعذبون أهل التوحيد، ثم حفروا الأخدود فأتوا بالمؤمنين المخالفين لدينهم فراودوهم على الكفر والدّخول في دينهم أو الإلقاء في النّار، فاختاروا الإلقاء في النّار، وكان من بينهم امرأة ترضع وليدها فامتنعت عن إلقاء نفسها مع وليدها في النّار، فأنطق الله الطفل الرضيع وطلب من أمه أن تلقي بنفسها في النّار وهو معها ففعلت.

[٥] ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾:

أي: الأخدود الحاوي على النّار، ذات الوقود: ذات الحطب والاتقاد الشديد، وقوله: «ذات الوقود» تبيان لعظمة النّار وارتفاعها.

[٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾:

﴿إِذْ﴾: الفجائية.

﴿هُمْ﴾: تعود على الكفرة المجرمين أصحاب الأخدود.

﴿عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾: جمع قاعد، وقاعد تجمع على قعود وقاعدون، وقاعدون: تدل على الفعل أو الحدث، وقعود: مصدر يدل على المعنى؛ أي: قاعدون جالسون على القرب منها أو على ضفاف الأخدود، يشاهدون عملية إلقاء المؤمنين في النّار.

[٧] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾:

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد تعود على أصحاب الأخدود.

﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: تعذيب المؤمنين وإحراقهم: بالإلقاء في النّار كلّ من آمن بالله ولم يرجع عن دينه.

﴿شُهُودٌ﴾: حضور: يشاهدون إحراق المؤمنين الواحد تلو الآخر، شهود جمع: شاهد.

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النّافية.

﴿نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾: بإلقائهم في النّار.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾: أي لم يكن هناك سببٌ آخر لتعذيبهم وإحراقهم لهؤلاء الأبرياء المؤمنين بالنّار إلا إيمانهم بالله وحده، ولم يقل آمنوا وإنما: «أن يؤمنوا» لأنّهم استمروا على إيمانهم ولم يتخلوا عنه رغم التّهديد والوعيد، وألقوا في النّار وهم على دين التّوحيد.

﴿الْعَزِيزِ﴾: الذي يَغلب ولا يُغلب ويَقهر ولا يُقهر، القوي الجبار الممتنع لا يناله أحد بسوء مهما كان.

﴿الْحَمِيدِ﴾: له الحمد المطلق المستحق الحمد في السّراء والضّراء، وله الحمد كلّه لإحسانه إلى عباده. ارجع إلى سورة الحديد آية (٢٤) لمزيد من البيان.

[٩] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:

العزيز الحميد ﴿الَّذِي لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وتقديم له يفيد الحصر؛ أي: له وحده.

﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: حكم السّموات والأرض فهو الحاكم والمالك.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: شهيد: صيغة مبالغة من شاهد، والشّهادة تعني: الحضور مع العلم، فالله سبحانه عليم بظواهر الأشياء والخبير ببواطن الأمور فكفى به شهيداً على كلّ شيء. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٣٣) لمزيد من البيان في معنى شهيد.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: إنّ للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: فتنوا: من الفتنة: وهي الابتلاء بالخير أو الشر، ولكن الفتنة أشد من الابتلاء وأخص، والفتنة لها أشكال كثيرة قد تكون بالأموال والأولاد والمحن والهلاك أو العذاب أو في الدين؛ فهم فتنوهم بالرّجوع عن دينهم أو بإلقائهم في النّار وإحراقهم.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾: ثمّ للتباين بين التّوبة وفتنة الذين آمنوا، ارجع إلى سورة النساء الآية (١٧) لمعرفة التّوبة وأركانها وأنواعها.

﴿فَلَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: أي لهم عذابان: عذاب على كفرهم وعذاب على قتلهم وإحراقهم المؤمنين، عذاب جهنم المتعدد الصّور مثل: عذاب الحميم والزّمهرير وغسلين وطعام الزّقوم.

عذاب جهنم: ارجع إلى سورة الرعد الآية (١٨) للبيان.

﴿وَلَهُمْ﴾: تكرار لهم للتوكيد.

﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾: كما أحرقوا المؤمنين والمؤمنات لا بد من إحراقهم في نار جهنم فالعذاب من جنس العمل.

وهذه الآية عامة وليست خاصة بأصحاب الأخدود أو كفار مكة، تشمل كلّ من يفتن المؤمنين والمؤمنات في دينهم، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

[١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: إنّ للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد المدح، الذين آمنوا: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعملوا الصالحات: الفروض والسنن وذكر الله وغيرها.

﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: جنات: جمع جنة، فهناك: جنات الفردوس وجنات عدن وجنات النّعيم جنات المأوىٰ تجري من تحتها الأنهار، قيل: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾: الفوز: النجاة من المكروه والوصول إلىٰ المرغوب أو الغاية أو الخير، والفوز: أنواع منها: الفوز العظيم أعلىٰ درجات الفوز، وهناك الفوز الكبير وهو درجة ثانية بعد الفوز العظيم، وهناك الفوز المبين.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، وكذلك اللام في: «لشديد» للتوكيد.

﴿بَطۡشَ﴾: البطش الانتقام والأخذ بقوة وعنف، من بطش يبطش: إذا أخذه بعنف وقوة؛ أي: إذا أخذ الله الكافر فإنّ أخذه شديد، ويرىٰ بعضهم أنّ قوله: «إنّ بطش ربك» هو جواب القسم.

﴿بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: في الدّنيا أو في الآخرة لكلّ ظالم وعاص وكافر ومجرم، ولأهل القرىٰ إذا ظلموا ولم يتوبوا، سواء كان عذاباً قريباً أو بعيداً.

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾:

إنّه: تعود علىٰ ربك.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: تفيدان التّوكيد لمن ينكر البعث والآخرة والحساب والجزاء؛ يبدئ: الخلق ويعيد. ارجع إلىٰ سورة الروم الآية (٢٧)، وسورة العنكبوت آية (١٩) لبيان معنىٰ يُبدئ ويعيد.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: صيغة مبالغة من غفر؛ أي: كثير الغفر فيغفر الذّنوب العظام مهما كان نوعها إذا تاب العبد وأناب إلىٰ ربه، وأمّا الغفار: هو كثير الغفر من جهة الكمية؛ أي: يغفر الذّنوب الكثيرة، والغفر يعني: ستر الذّنب ومحوه وترك العقوبة والإثابة علىٰ فعل الخيرات (الحسنات).

﴿ٱلْوَدُودُ﴾: الود هو الحب مع الإخلاص والوفاء، وقيل: المودة لا تكون إلا نتيجة المحبة أو هي المحبة الشديدة.

الودود صيغة مبالغة علىٰ وزن فعول؛ أي: كثير المحبة لأوليائه فهو يرحمهم ويرزقهم ويكفر عنهم سيئاتهم، وهو المحبوب في قلوب أوليائه لإحسانه وغفرانه فهم يودونه ويحبونه.

[١٥] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾:

﴿ذُو﴾: تعني صاحب العرش، ذو: أبلغ وأشرف من «صاحب» العرش؛ فهو رب العرش.

﴿ٱلْعَرْشِ﴾: قيل: صفة له سبحانه، وعرش الرّحمن أعظم من السّموات السّبع والأرض وما فيهن. ارجع إلىٰ سورة هود آية (٧)، وسورة طه آية (٥).

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: أي العظيم في ذاته وصفاته، التّام الشّرف الرّفيع القدر عظيم الكرم، فالمجيدُ بضم الدال: وصف لله تعالىٰ، ولو قال المجيدِ بكسر الدال لكان وصفاً للعرش.

[١٦] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾:

فعَّال: صيغة مبالغة لفاعل، تعني: ما يريد فعله في غاية الكثرة، فهو صاحب القدرة المطلقة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء، ولا يُسأل عما يفعل؛ لعظمته وحكمته وعدله، ولا يقف أمام أمره عائق أو مانع.

[١٧] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام والتّشويق.

﴿أَتَىٰكَ﴾: أي سمعت أو أُخبرت؛ أي: وصلك خبر.

﴿حَدِيثُ﴾: يدل على أمر تحدث النّاس فيه وتناقلته السّير والأخبار، ويعني كلاماً ليس جديداً، وحديثهم هو ما وقع منهم من الكفر والعناد وما حل بهم من العذاب.

﴿الْجُنُودِ﴾: فرعون وثمود، وقد بينتهم الآية التالية (١٨).

[١٨] ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾:

﴿فِرْعَوْنَ﴾: لم يقل قوم فرعون، يراد به فرعون نفسه الذي قال لهم: أنا ربكم الأعلى، أو قوم فرعون وجنوده وملئه. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون.

﴿وَثَمُودَ﴾: اسم قبيلة وهم قوم صالح، فكفار مكة لم يبلغوا المبلغ الذي بلغه فرعون، أو المبلغ الحضاري الذي بلغته قبيلة ثمود الذين جابوا الصّخر بالواد، والذين سكنوا الحجر (مدائن صالح).

[١٩] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي كفار قريش أشد تكذيباً من فرعون وثمود وغيرهم.

﴿فِي﴾: ظرفية، تكذيب: صيغة مبالغة؛ أي: كثيرو الكذب، والكذب محيط بهم جميعاً من كل مكان.

﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾: في تكذيب دائم بكل ما أنزل الله وبالآخرة والبعث والحساب وتكذيب بآيات الله ورسله. ارجع إلى سورة النبأ الآية (٣٥) للمقارنة.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾:

والله أعلم بأحوالهم وأعمالهم، وقادر عليهم وعلى الإحاطة بهم بعلمه وقوته كما فعل بمن قبلهم، وما دام محيطاً بهم من كلّ الجوانب كناية على عدم قدرتهم على الهرب والنّجاة من قبضته، أو هو سبحانه محيط بهم بعلمه يعلم ما يعملون وكذلك الملائكة الكرام الكاتبون يكتبون كل كلمة وفعل وحركة.

[٢١] ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي؛ للرد على المشركين الذين زعموا أنّ القرآن شعر وكهانة أو سحر أو أساطير الأولين.

﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: قرآن عظيم الشّرف والرّفعة والبركة والخير والعطاء.

[٢٢] ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾: أي القرآن المجيد محفوظ عند الله تعالى من التّبديل والتّغيير والتّحريف، محفوظ مكنون ومصون على مر الأيّام والدّهور في صدور الذين أوتوا العلم وفي اللوح المحفوظ.

❖❖❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

الحزب ٦٠

سورة الطارق [الآيات ١ - ١٧]

ترتيبها في القرآن (٨٦) وترتيبها في النّزول (٣٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذه السّـــورة تمثل جزءاً من روائع الإعجاز العلمي في القرآن والتّقدم في العلم الذي يدل دلالة الشّمس علىٰ أنّ القرآن هو كلام الله عز وجل، وتدل علىٰ عظمة الخالق البارئ المصور فاطر السموات والأرض.

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾:

الواو واو القســم، يقسم الله عز وجل بالسّــماء، والله لا يقسم إلا بشيء عظيم، والله سبحانه غني عن القسم، والقسم يشير إلىٰ أهمية وعظمة المقسم به وجواب القسم.

يقسم الله سبحانه بالسّماء: اســم جنس يشمل السموات السبع، والسماء الدنيا إحداهن، والتي تحوي مليارات المجــرات التي تحوي بداخلها مليارات المجموعات الشمسية، فمجرة درب التبانة تحوي (٢٠٠ إلىٰ ٤٠٠ مليار نجم)، والعلم لم يتوصل إلا لمعرفة وإدراك النذر اليســير عن السّــماء الدّنيا، فما بالك بالسموات السبع التي تغلف كل واحدة الأخرىٰ.

والطارق: قيــل: كل ما يطرق ليلاً، أو النجوم التي تظهر ليلاً وتغيب نهاراً،

أو القادم ليلاً أو يبدو ليلاً، ثم قالوا: الطارق هو النّجم الثاقب؛ لقوله تعالىٰ: «وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب».

وما أدراك ما الطارق: ما: استفهامية للتعظيم.

أدراك: أعلمك أو أخبرك ما الطارق.

وما أدراك: فيها معنىٰ التهويل والتعظيم. ارجع إلىٰ سورة الحاقة الآية (٣) للبيان، والفرق بين أدراك وما يدريك.

[٣] ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾:

فالطارق هو النّجم الثاقب.

فالنّجوم تتشكل من ذرات وكلّ ذرة مركبة من البروتونات وإلكترونات، البروتونات ذات شحنة موجبة، وإلكترونات ذات شحنة سالبة، فعندما تتحد هذه البروتونات مع الإلكترونات (تنصهر) فيؤدي إلىٰ توليد طاقة حرارية هائلة تقدر بملايين الدّرجات، ونتيجة الاتحاد بين البروتونات والإلكترونات تتشكل النّجوم النيوترونية الناجمة عن تحول النّجم الهائل الحجم إلىٰ نجم صغير قطره بالكيلومترات بعد أن كان قطره ملايين الكيلومترات، وهي نجوم ثقيلة جداً قد تزن ملايين الأطنان مثل (١٠٠) مليون طن، ولها جاذبية عظمىٰ أكبر من جاذبية الأرض بملايين المرات.

هذه النّجوم النيوترونية تصدر أمواج راديوية كهرطيسية تتحول إلىٰ أصوات تشبه طرقات المطرقة أو السّندان أو دقات السّاعة، قد يسمعها رواد الفضاء باستعمال أجهزة خاصة، وهذا هو تفسير الطّارق. أمّا تفسير النّجم الثّاقب: فقد

اكتشف الباحثون أنّ هذه النّجوم النيوترونية تصدر أشعة كونية سميت النيوترينو تصل إلىٰ الأرض بعد أن تخترق الغلاف الجوي والسّموات وتخترق أجسامنا، وقد تصل إلىٰ أعماق البحار وهذا هو تفسير النّجم الثّاقب.

[٤] ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾:

أي: ما من نفس إلا عليها حافظ.

هذا هو جواب القسم نظير هذه الآية: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢].

﴿إِن كُلُّ﴾: إن: تفيد النّفي بمعنىٰ: ما؛ كلّ: لتوكيد النّفي.

﴿نَفْسٍ﴾: أي نفس كافرة مؤمنة مطيعة أو عاصية.

﴿لَّمَّا﴾: تفيد الحصر بمعنىٰ: إلا وعليها حافظ (ومنهم من فسر لما بالاستثنائية؛ أي: حرف استثناء).

﴿حَافِظٌ﴾: أي ملك من الملائكة؛ أي: كلّ إنسان موكل به ملائكة يكتبون أعماله (أفعاله وأقواله) من حسنات وسيئات، وكما قال تعالىٰ في سورة ق الآية (١٨): ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

وهذه الكتابة لتكون عليه حجة يوم القيامة، رغم أنّ الله سبحانه غني عن ذلك؛ لأنّه سبحانه يعلم ما توسوس به نفس الإنسان وهو سبحانه أقرب للإنسان من حبل الوريد؛ أي: كلّ نفس سوف تبعث يوم القيامة وتحاسب علىٰ عملها وتجازىٰ به.

[٥] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾:

﴿فَلْيَنظُرِ﴾: الفاء للتوكيد، واللام لزيادة التّوكيد، ينظر الإنسان ممَّ خلق، أصلها من + ما، من: لابتداء الغاية، ما: الاستفهامية، وحذفت الألف لتقدم حرف الجر.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: نظرة بصرية ونظرة قلبية فكرية؛ أي: نظرة تأمل في كيفية خلقه ليعلم قدرة الله سبحانه وعظمته على بدء الخلق وإعادته.

[٦] ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾:

﴿مَّآءٍ﴾: ماء الرّجل (هو المني) وماء المرأة.

﴿دَافِقٍ﴾: منصبّ بدفع وسرعة من الرّجل.

[٧] ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾:

هذه الآية تتحدث عن المنشأ الأصلي الأساسي في الجنين والمسمى الحيد التناسلي، والذي يتطور إلى تشكيل الخصية أو المبيض مصدر الماء الدّافق في الرجل والمرأة.

وهذه الآية تشير أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب؛ أي: أن الخصية والمبيض تتشكل من بين الصلب الذي يعني القسم الصّلب من العظم والذي يسمى قشرة العظم الموجودة في كل عظم، وليس كما كان يظن المفسرون القدامى: الصلب هو عظام الفقار فقط.

وأما ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: وهو القسم الرّخو المسمى مخ العظم أو نقي العظم

الموجود في كل عظـــم، وليس كما كان يظن المفســـرون أن الترائب هي عظام الصدر في الأنثى (الأضلاع).

فكلّ عظم يتكون من قسمين: القسم الصّلب والقسم الرّخو، وقد تبين من الأبحـــاث في علم الجنين وعلم الخلايا والنّســـج أنّ كلاً من الخصية والمبيض تتشكل من الوريقة الوســـطى الواقعة بين الوريقة الخارجية المكونة لمخ العظم (نخاع العظم)، والوريقة الداخلية المكونة للقشـــرة الصلبة من العظم، فالخصية والمبيض منشأهما من بين قسمي العظم.

[٨] ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾:

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنّ واللام في «لقادر» تفيدان التّوكيد.

﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾: حياً؛ أي: على بعثه بعد موته لقادر.

﴿لَقَادِرٌ﴾: على إرجاعه كما كان.

[٩] ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أي يوم القيامة.

﴿تُبْلَى﴾: تبدو وتظهر وتفضح؛ أي: تكشـــف سرائر وخفايا كلّ إنسان، وما كان عليه من عقيدة أو مذهب أو بدعة أو شرك أو نفاق أو طاعة أو عصيان.

[١٠] ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾:

﴿فَمَا لَهُۥ﴾: الفاء للتوكيد، ما النّافية: له: جار ومجرور للحصر.

﴿مِن﴾: استغراقية.

﴿قُوَّةٍ﴾: يدافع بها عن نفسه من عذاب الله تعالىٰ.

﴿وَلَا﴾: لا لتوكيد النّفي.

﴿نَاصِرٍ﴾: ينصره من الله تعالىٰ؛ أي: من عذاب الله، أو يشفع له، كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [الكهف:٤٣].

[١١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾:

الواو: واو القسم. ارجع إلىٰ الآية (١) من السورة نفسها، وجواب القسم. قيل: إنه لقول فصل.

يقسم الله تعالىٰ بهذه المعجزة العلمية الثّالثة في هذه السّورة بالسماء ذات الرجع، ويقسم بالأرض ذات الصّدع.

﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾: الرجع له أنواع كثيرة وتسمىٰ: نُطُق الحماية، فيها النطاق الخارجي والمغناطيسي والإشعاعي والمتأين والأوزون والمناخي.

١ - منها الرّجع المائي، فالبخار يتحول إلىٰ سحاب والسّحاب يتحول إلىٰ مطر ويعود إلىٰ الأرض.

٢ - الرّجع الحراري إلىٰ الأرض فالسحب تحمي من تسرب الحرارة إلىٰ الفضاء وبرودة الأرض، فالسحب ترد أو ترجع إلىٰ الأرض (٤١٪) من حرارة الشمس، ولولا هذا الرجع لتجمدت الأرض.

٣ - الرّجع الغازي: للأشعة الفوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون.

٤ - ورجع الموجات الرّاديوية.

٥ - والرّجع الاهتزازي للهواء.

٦ - الرجع الغباري.

٧ - الرجع اللاسلكي: فكل وسائل الاتصال بما فيها التلفونات والإذاعات ترسل موجاتها إلى النطاق المتأين المحيط بالأرض ليعود لنا بشكل صورة أو كلام أو رسالة.

[١٢] ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾:

﴿ٱلصَّدْعِ﴾: هو: شق + حركة، هناك شبكة كثيرة من الصدوع تمزق قاع البحار والمحيطات؛ أي: تمزق الغلاف الصخري للأرض وتمتد لآلاف الكيلومترات وفي كل الاتجاهات ومتصلة ببعضها وتحيط بالأرض كاملة كأنها صدع واحد.

وهناك صدع أو شق اكتشفه العلماء والموجود في قاع المحيط الهادي ويمتد على طول السّاحل الغربي لأمريكا ويمر باليابان والفلبين وإندونيسيا، هذا الصّدع يبلغ أكثر من (٤٠) ألف كيلومتر، يسمى الصّدع أو الشّق الأكبر الذي يؤدي إلى كثير من الزلازل في اليابان وجزر المحيط الهادي و(٨٠٪) من الزلازل والبراكين تتركز حول هذا الشّق أو الصّدع.

وهذه الصدوع هي صمام الأمان للحياة على الأرض؛ فلولا هذه الصدوع لتفجرت الأرض كقنبلة نووية هائلة ولما بقي على الأرض من دابة، فهذه الصدوع تسمح للحمم البركانية بالخروج من باطن الأرض، وهي وسيلة لتشكل قيعان البحار والمحيطات والسلاسل الجبلية والقارات.

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنّ للتوكيد، والهاء تعود إلىٰ القرآن الكريم.

﴿لَقَوْلٌ﴾: اللام لزيادة التّوكيد.

﴿فَصْلٌ﴾: أي يفصل بين الحق والباطل والحلال والحرام والهدىٰ والضّلال، فالقرآن هو القول الفصل.

[١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾:

﴿وَمَا هُوَ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية، هو للتوكيد.

﴿بِٱلْهَزْلِ﴾: الباء للإلصاق، تعود علىٰ القرآن؛ أي: ما هو باللعب أو بالباطل بل إنّه جدٌّ وحقٌّ في وعده ووعيده وكل ما جاء به.

[١٥] ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: تعود إلىٰ كفار قريش وأمثالهم.

﴿يَكِيدُونَ﴾: يعملون المكايد والحيل والشبهات لإطفاء نور الله؛ أي: دين الإسلام أو الوقوف أمام الدّعوة إلىٰ الإسلام، يكيدون: فعل مضارع يفيد التّكرار والتّجدد.

﴿كَيْدًا﴾: يفيد التّوكيد.

[١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾:

الله سبحانه ليس بحاجة إلى الكيد، وإنما هو من قبيل المشاكلة والمقابلة؛ مثل: استدراجهم من حيث لا يعلمون، أو أملي لهم إنّ كيدي متين.

[١٧] ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾:

﴿فَمَهِّلِ﴾: الفاء للتوكيد، مهِّل: انظر؛ أي: أنظرهم يا رسول الله ﷺ فلا تستعجل لهم، أو لا تستعجل بإهلاكهم.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾: إمهالاً يسيراً؛ أي: لن يطول؛ رويداً: من فعل أراد، وفلان يمشي على رُود؛ أي: على مهل، وتكرار الفعل «أمهلهم» للمبالغة في الوعيد.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

الجزء ٦٠

سورة الأعلى [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (٨٧) وترتيبها في النّزول (٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾:

﴿سَبِّحِ﴾: نزِّه وعظم اسم ربك؛ أي: أسماءه تعالىٰ الحسنىٰ عن كل ما لا يليق بها، ولا تسم بها غيره، أو تلحد فيها بالتأويلات الباطلة.

التسبيح هو تنزيه الله تعالىٰ في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه عما لا يليق به من أيّ نقص وعجز وعيب، وتنزيه الله من الشريك والولد والصاحبة والندّ والمثيل. ارجع إلىٰ سورة الحديد آية (١) لمزيد من البيان. وسبح اسم ربك: كأن تقول: سبحان ربي الأعلىٰ.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾:

﴿خَلَقَ﴾: الخلق يعني التّقدير والإيجاد من العدم وكل ما نراه في الوجود من خلق الله تعالىٰ.

﴿فَسَوَّىٰ﴾: سوّىٰ كلّ مخلوق علىٰ أحسن هيئة وناسب بين أعضائه فجعلها متناسقة، سواء كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً كما قال تعالىٰ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:٧].

والتسوية هي اختيار الصفات الوراثية المميزة لكل فرد من الإنس والجن والملائكة، وكل حيوان ونبات وجماد بحيث لا يشبه مخلوق الآخر.

[٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾:

قدّر كل أمر أو شيء في الوجود تقديراً محكماً دقيقاً لتنظيم الحياة.

﴿قَدَّرَ﴾: له أجله ومعيشته ورزقه، وعلمه، وأهله، وأولاده ومهنته وأجله، وأين يحيا وأين يموت.

﴿فَهَدَىٰ﴾: بيّن له طريق الخير وطريق الشّر والحق والباطل، والحلال والحرام وما ينفعه وما يضره، أو هداه إلىٰ معيشته.

[٤] ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾:

الذي أخرج: الذي أنبت العشب أو الحشيش وما ترعاه وتأكله الدّواب من الأخضر الرّطب.

[٥] ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾:

فجعله: الفاء للتعقيب والمباشرة، جَعَلَه: صيّره.

غثاء: والغثاء اليابس من النّبات والعشب، وهو الزّبد الذي يطفو علىٰ وجه الماء.

﴿أَحۡوَىٰ﴾: الموصوف بالحوة وهي السّمرة التي تقترب من السّواد بسبب القِدم ومرور الزّمن؛ أي: سواد + خضرة: بني اللون أو حمرة تضرب إلىٰ السّواد؛ أي: هو الذي أخرج المرعىٰ؛ أي: العشب الأخضر الرّطب الذي انقلب إلىٰ غثاء أحوىٰ إلىٰ عشب يابس أسود أو بني اللون تأكله الدواب في الشّتاء والخريف.

بعد هذه الآيات الأربع الدّالة علىٰ قدرة الخالق وعظمته وأنّه أهل التّسبيح والحمد يبشرُ رسوله ﷺ بأمرين:

[٦] ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾:

﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾: السّين للاستقبال القريب والخطاب لرسول الله ﷺ وأمته، نقرئك: نعلّمك القرآن أو التّلاوة علىٰ لسان جبريل عليه السلام.

﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾: أي نجمعه في قلبك فلا تنساه، أمّا إذا كان الخطاب موجهاً إلىٰ أفراد أمته سنعلّمكم تلاوته علىٰ لسان من سبقوكم من الحفّاظ بالتّواتر فلا تنسوه بعد أن جمعه الله تعالىٰ في قلوبكم.

[٧] ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي، وما أوسع شمولاً من الذي؛ أي: ما شاء الله أن تنساه مما نسخه الله تعالى أو ما شاء الله أن ينساه العبد من حفظ القرآن إذا لم يتعاهده بالمراجعة المتكررة.

إنّه سبحانه وتعالى: ﴿يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾: أي ما تجهر به من التّلاوة؛ أي: ترفع به صوتك، وما يجهر به كلّ امرئ من قراءة القرآن وغيرها.

﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾: تكرار ما للتوكيد، وما تتلوه همساً أو يتلوه غيرك وما يخفى من الأمور والأشياء بشكل عام كقوله: ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٨].

﴿ٱلۡجَهۡرَ﴾: أصله رفع الصّوت يقال: جهر بالقراءة، إذا رفع صوته بها.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٧]، تأكيد للنبي ﷺ على عدم نسيانه.

[٨] ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾:

اليسرى مؤنث الأيسر بمعنى: أي سنوفقك ونهديك للطريقة الأيسر والأسهل لحفظ القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:١٧]، ونيسرك ونهديك إلى الشّريعة الإسلامية السّمحة وعمل الخير، والعمل اليسير والسهل، فكان رسول الله يختار الأمر الأيسر والسهل.

﴿لِلۡيُسۡرَىٰ﴾: اللام لام التّعليل، وقال بعض المفسرين: ونيسرك لليسرى معطوفة على «سنقرئك»، فلا تنسى؛ أي: سنقرئك فلا تنسى ونيسرك لليسرى. وجملة «إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى» جملة اعتراضية.

[٩] ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾:

الخطاب موجَّه إلىٰ رسول الله ﷺ وإلىٰ كلّ مؤمن.

﴿فَذَكِّرْ﴾: الفاء للتوكيد، ذكِّر بالقرآن وذكِّر النّاس بربهم وبدينهم وبما عليهم من الفرائض والسّنن والواجبات كقوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]، فذكّر: من التّذكير وهو تنبيه الإنسان بالحسنىٰ والحكمة والموعظة إلىٰ شيء أو أمر قد غفل عنه.

فمن اهتدىٰ فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: أي ذكِّر بالقرآن الكل، فمن اهتدىٰ فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، وذكّر ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

[١٠] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾:

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: من يخشىٰ الله، السّين للاستقبال القريب، يذكَّر: سيتعظ ويتبع الهدىٰ ويتذكّر ويزداد إيماناً وذكراً.

﴿مَن يَخْشَىٰ﴾: من استغراقية، يخشىٰ: الله؛ أي: يخافه ويعظّمه، والخشية: هي الخوف المقترن بالعلم والعظمة ممن تخافه.

[١١] ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾:

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: ويتجنب الذّكرىٰ: أي الموعظة والقرآن أو الاستماع إلىٰ ما أنزل الله تعالىٰ من الوحي.

﴿ٱلْأَشْقَى﴾: الكافر والمشرك والعاصي المصِرّ علىٰ المعصية، ومن غفل قلبه وأعرض عن ذكر ربه ورضي بالحياة الدّنيا عن الآخرة واتبع هواه وكان أمره فرطاً، والأشقىٰ اسم تفضيل علىٰ وزن أفعل.

[١٢] ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: يدخل يوم القيامة ويشوىٰ في النّار الكبرىٰ نار جهنم، وقيل: الدّركات السّفلىٰ من النّار هي الأشد والكبرىٰ، والنّار الصّغرىٰ نار الدّنيا.

[١٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الدّرجة بين يصلىٰ ولا يموت فيها ولا يحيىٰ، فكونه لا يموت فيها ولا يحيىٰ أشد وأفظع من الصّلي؛ أي: لا يموت فيستريح من عذاب جهنم ولا يحيىٰ حياة بدون عذاب الحريق والحميم. وتكرار (لا) يفيد التّوكيد، لا يموت ولا يحيىٰ لا هذه ولا تلك ولا كلاهما معاً.

[١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَفْلَحَ﴾: فاز بالجنة ونجا من النّار.

﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾: من تطهّر من الكفر والشّرك والمعاصي، تطهّر بالإيمان والتّقوىٰ، من: بمعنىٰ الذي، ومن: تشمل المفرد والمثنىٰ والجمع، والذكر والأنثىٰ.

[١٥] ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾:

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾: بلسانه وقلبه بالتّهليل والتّسبيح والاستغفار والحمد.

﴿فَصَلَّىٰ﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، صلىٰ الصّلوات المفروضة والنّوافل، ثمّ وبّخ وذمّ الذين يؤثرون الحياة الدّنيا.

❖ ❖ ❖

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سورة الأعلى [الآيات ١٦ - ١٩]

[١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿تُؤْثِرُونَ﴾: من الإيثار، وهو التقديم؛ أي: تقدمون الحياة الدّنيا على الآخرة، والإيثار: يختلف عن التفضيل، التفضيل: يعني الزيادة في العطاء، وتقديم الأعلى على الأدنى.

[١٧] ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾:

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ﴾: أي أفضل في كلّ شيء من الدّنيا.

﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: أدوم، لا تزول.

[١٨] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾:

﴿إِنَّ﴾: إنّ واللام في كلمة «لفي» تفيدان التّوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى كلّ ما ذكر من الآيات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: هذا الوعظ والتّعليم

جاء أو ورد في الصّحف الأولى، وتشمل صحف شيث إدريس وإبراهيم وموسى.

[١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾:

الصّحف الأولىٰ تشمل صحف إبراهيم وموسىٰ، فذكر صحف إبراهيم وموسىٰ مرة أخرىٰ هي من قبيل ذكر الخاص بعد العام للتوكيد والاهتمام وشهرتها، فهي أولىٰ الشّرائع.

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: قيل: كانت عشر صحف.

﴿وَمُوسَىٰ﴾: وصحف موسىٰ وهي غير التّوراة، وقيل: كانت عشر صحف أنزلت قبل التّوراة، وأنزل الله سبحانه الكتب الأربعة الزّبور والتّوراة والإنجيل والقرآن.

❖ ❖ ❖

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سورة الغاشية [الآيات ١ - ٢٦]

ترتيبها في القرآن (٨٨) وترتيبها في النّزول (٦٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾:

﴿هَلْ﴾: استفهام تحمل معنى التّشويق ولفت النّظر إلى حديث الغاشية والاستماع إليه، واستعمل صيغة الاستفهام بدلاً من الخبر والقول سأخبرك بحديث الغاشية؛ للتشويق والتهويل ولفت النظر إلى حديث الغاشية والتهويل.

وكان رد الرسول ﷺ على الفور: نعم يا رب، قد جاءني حديث الغاشية.

﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ﴾: ألم يصل إليك خبر أو حديث الغاشية بعد أو تسمعه من أحد؟ وإذا قارنا بين أتاك وجاءك: نجد أتاك: تأتي في سياق السهولة، وجاءك: في سياق المشقة والصعوبة، وبما أن السياق في الحديث عن الغاشية، وليس الغاشية نفسها ولكونها لم تأت بعد فقد استعملت أتاك بدلاً من جاءك.

﴿الْغَاشِيَةِ﴾: اسم من أسماء يوم القيامة كالقارعة والحاقة والطامة والصاخَّة، وقيل: الغاشية هي النّار التي تغشى الكفار يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٥]، فلا يجدون لهم ملجأ ولا منفذاً يلجؤون إليه.

[٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: في ذلك اليوم ترىٰ وجوه الكفار والمشركين والعاصين.

﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة من أثر الشّعور بالذّل والهوان واليأس والندم، والخشوع تظهر أثاره علىٰ البصر والصوت كقوله: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم:٤٣]. ورؤوسهم منكّسة كما قال تعالىٰ: ﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة:١٢].

وهناك فرق بين هذا النّوع من الخشوع وخشوع التّقوىٰ والإيمان؛ ويعني الذّلة لله تعالىٰ فهذا النّوع من الخشوع هو خشوع عز ورفعة، أما خشوع أهل النار هو ذلة وهوان.

[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾:

﴿عَامِلَةٌ﴾: في ذلك اليوم مشغولة بمحاولة الفرار أو الجثيّ والجرّ والسّحب في السّلاسل.

﴿نَّاصِبَةٌ﴾: من النّصب؛ وهو التّعب والإعياء؛ أي: متعبة مرهقة بجرّ السّلاسل والأغلال ومن الهول والرعب.

[٤] ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾:

وُجُوهٌ تُدخل وتشوىٰ في نار حامية.

[٥] ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾:

﴿تُسْقَىٰ﴾: هذه الوجوه من عين آنية، عين جمعها عيون ولا يقصد بها عين الإنسان؛ فتلك تجمع علىٰ أعين، أما عيون تشير إلىٰ منابع الماء.

﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: عين تنبع بالماء الحار وآنية من آن، وآن: يعني بالغ أقصىٰ

الحرارة؛ أي: يسقون من حميم آن، ينبع من عين آنية تنبع بالماء الحميم الذي بلغ أقصىٰ درجات غليانه، وليست كدرجات حرارة الدّنيا وإنما درجات الآخرة.

[٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾:

﴿لَيْسَ﴾: للنفي.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق لهم خاصة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مِن ضَرِيعٍ﴾: طعام من ضريع: الضّريع نوع من الشّوك الطريّ كانت قريش تطلق عليه اسم: الشبرق، وإذا يبس الضّريع لا تأكله حتّىٰ الدّواب.

[٧] ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾:

﴿لَّا يُسْمِنُ﴾: يعني لا يوفر الطاقة الحرورية الضّرورية للحركة والنّشاط لمن أكل منه.

﴿وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾: الجوع: هو الشعور بخلو المعدة من الطعام، وطعام أهل النار من الزقوم وغيره، ولا يسد رمق الجوعان ويشعر بالشّبع، إذا أكل منه فهو طعام بلا أيّ فائدة من جهة، وجهة أخرىٰ كريه الطّعم يتجرعه ولا يكاد يُسيغه. وتكرار (لا) يفيد توكيد النّفي لا هذه ولا تلك ولا كلاهما معاً.

[٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾:

وفي ذلك اليوم ترىٰ وجوه المؤمنين والمتقين ناعمة؛ أي: ذات بهجة ونضرة وحسن كما قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:٣٨-٣٩].

[٩] ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾:

﴿لِّسَعْيِهَا﴾: اللام لام التّعليل، سعيها: السّعي: العمل بجد ودأب.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: لعملها الذي عملته في الدّنيا وسعت لإنجازه راضية على ثوابه، أو مسرورة بما أحضرت أو قدمت.

[١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: منازل عالية رفيعة الدّرجة والقدر، جنة عالية لها (١٠٠ درجة).

[١١] ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾:

﴿لَّا﴾: النّافية.

﴿تَسْمَعُ﴾: في الجنة.

﴿فِيهَا لَاغِيَةً﴾: لاغية: من يلغو. واللغو: وهو الكلام الذي لا فائدة ولا نفع منه، ناهيك عن كلام الباطل والكذب والغيبة، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة:٢٥-٢٦].

[١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾:

﴿عَيْنٌ﴾: اسم جنس تشمل الواحدة والاثنتين والجمع؛ أي: فيها عيون كثيرة: عين التّسنيم وعين الكافور والزّنجبيل والسّلسبيل.

﴿جَارِيَةٌ﴾: تجري على وجه أرض الجنة.

[١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾:

﴿فِيهَا﴾: في الجنة.

﴿سُرُرٌ﴾: جمع سرير: وهو ما يجلس عليه أو ينام عليه.

﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾: ثمينة ذات قدر مرفوعة مكاناً كقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤].

[١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾:

﴿وَأَكْوَابٌ﴾: جمع كوب: إناء لا عروة له.

﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: متوفرة بين أيديهم يشربون منها أو على حافات العيون وفي كلّ مكان لا يبحثون عنها، ومختلفة الألوان والأحجام.

[١٥] ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾:

﴿وَنَمَارِقُ﴾: جمع نمرقة: أي وسادة، نمارق: وسائد.

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: بجانب بعضها بعضاً للاتكاء عليها.

[١٦] ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾:

﴿وَزَرَابِيُّ﴾: بسط أو سجاجيد مفروشة وممدودة.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مفرقة في كلّ مكان، من بثّ؛ أي: فرّق.

ثمّ يذكر سبحانه عدداً من الآيات الكونية الدّالة على قدرته وعظمته ووحدانيته التي تدعو إلى الإيمان به وحده وأنّه على كلّ شيء قدير.

[١٧] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾:

﴿أَفَلَا﴾: استفهام فيه حث على النّظر والتّأمل والتّفكير.

﴿يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: الإبل: الجمل أو الناقة من الحيوانات الثديّة المجترّة التي تمتاز بضخامة حجمها، وطول عنقها، وارتفاع قامتها قد يصل إلى أكثر من مترين ووزنها حوالي (٤٥٠-٦٥٠كيلوغرام)، ولها أرجل طويلة قوية تساعدها على اتساع خطواتها، وترفع جسمها عن حرارة الرّمال وكلّ رجل تشبه الخف، وهو عبارة عن طبقة سميكة من الجلد مبطنة بالدّهن والألياف تساعدها على السّير بسهولة فوق الرّمال دون أن تغوص في الرّمال، كما تستطيع أن تسير فوق الصّخور والجبال بواسطة هذا الخف الذي تقل فيه الأعصاب الحسية، وأعينها وأنوفها المغطاة بأشعار كثيفة تحميها من دخول الرّمال والأتربة والغبار إلى أعينها وآذانها وأنوفها، وهي قادرة على إغلاق أعينها وآذانها وفتحتي الأنف في العواصف الرّملية، ورقبتها الطّويلة تساعدها على الوصول إلى النّباتات القصيرة وأوراق الأشجار العالية، وجسمها المغطى بجلد سميك مكسو بالوبر يحفظه من حرارة الشّمس، وسنام الجمل يعتبر مخزناً كبيراً للدهن الذي يحتاجه حين يقل غذاؤه وماؤه فهو قادر على تحمل الجوع والعطش لفترة طويلة قد تصل إلى عشرة أيّام في أيّام الحر الشّديد دون ماء، وربما أكثر قد تصل إلى أسبوعين أو أكثر، وحين يشرب يشرب كميات كبيرة من الماء ولا يتوقف عن الأكل حين يجد المرعى، وله القدرة على الاحتفاظ بماء جسمه عن طريق الكليتين وكمية البول القليلة وقلة عرقه فهو قلما يعرق حتّى في أشد درجات الحرارة، ولا يلهث ولا يتنفس من فمه، وله وسادتان دهنيتان فوق ركبتيه تحمي جسده حين يبرك على الرمل الحار أو البارد.

ويتغذى بالحشائش وأوراق الشّجر والشّوك والأعشاب الجافة ونباتات الصّحراء، ويتغذى بالشّوك والقدرة على ذلك بما أعطاه الله تعالى من أسنان

قوية وفم وشفتين غليظتين قويتين السفلىٰ مشقوقة تمكنه من جمع الأشواك ثمّ مضغها، وهو من الحيوانات المجترة القادرة علىٰ ترجيع بعض الطّعام الذي تناولته سابقاً من معدتها إلىٰ فمها؛ لتمضغه جيداً مرة أخرىٰ ويسهل هضمه.

فهذا الحيوان الأليف رغم حجمه الهائل وقدرته ينقاد للطفل الصغير أو الكبير حيث يشاء، والجمل قادر علىٰ حمل الأثقال الكبيرة ويسمىٰ سفينة الصّحراء، وهناك من يشرب لبنها ويأكل من لحمها الذي فيه من الفيتامينات ما يزيد علىٰ ما في ألبان البقر والغنم (١٥ ضعفاً)، وقيل: له (٣) أمعاء حتىٰ يهضم الطعام ولا يبقىٰ للسموم أثر أو مسببات الأمراض، وقيل: إن في ألبانه وبوله كمية كبيرة من المضادات الحيوية الطبيعية لا نظير لها، وهي أكثر مقاومة للبكتريا ولا تسبب تشكل سلالات مقاومة، ويستفاد من وبرها وجلدها في صنع الملابس، ولا ننسىٰ أنه يتأثر بصوت الحادي؛ أي: الرّاكب فوقه ويتأثر بالغناء فيسرع أو يبطئ، فسبحان الخالق البارئ المصور فهو آية كافية تدل علىٰ عظمة وقدرة الخالق.

[١٨] ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾:

رفعت بأعمدة لا نراها، وهي عبارة عن القوىٰ النّووية الشّديدة والضّعيفة، والقوىٰ الكهربائية المغنطيسية وقوىٰ الجاذبية الدّاخلية وموجات الجاذبية الخارجية التي تتشكل بين الكواكب والنّجوم والأجرام السّماوية الأخرىٰ والمجرات، هذه القوىٰ التي تجعل كلّ جرم سماوي يسير في مداره وفلكه فلا يصطدم بالآخر، ويبقىٰ في مداره السّنين يجري ويجري إلىٰ أجل مسمىٰ.

[١٩] ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾:

كيف نصبت كرواسي في الأرض؛ كي لا تميد وتضطرب فهي كالأوتاد تثبت الأرض اليابسة وتحفظ توازنها بالإضافة إلى القوى الأخرى، وقد دلت الدّراسات والأبحاث الجيولوجية أنّ ما نراه ظاهراً من الجبل فوق الأرض لا يمثل إلا الجزء الضئيل وما هو خفي تحت الأرض يمثل الجزء الأعظم من الجبل.

[٢٠] ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾:

﴿سُطِحَتْ﴾: بسطت رغم كونها كروية الشّكل (بيضاوية) وتدور حول نفسها وحول الشّمس بسرعة (٣٠كيلومتراً بالثّانية)، ومع ذلك لا نشعر بذلك الدّوران فهي كالمهد، وفي بداية خلقها كانت تضاريسها صعبة ولا تصلح للحياة عليها، ثم سخّر الله لها عوامل التعرية من الرياح والمياه الجارية والجليد وتباين درجات الحرارة بين الليل والنهار وبين الفصول مما ساعد على بري هذه الجبال بعوامل التعرية، ثم جرفت المياه هذا البري وخلقت السهول والأودية والطرق، وأصبحت الأرض سهلة وممهدة للحياة.

فمن نظر إلى هذه المخلوقات الأربعة يتبين له قدرة الله وعظمته على الخلق وعلى البعث وأنّه على كلّ شيء قدير، وأنّه هو الإله الحق الذي يستحق أن يُعبد ويطاع.

[٢١] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾:

المناسبة: أي إن لم ينظروا في هذه المخلوقات ويتعظوا بدلائل قدرته وعظمته فذكِّرهم بها.

﴿فَذَكِّرْ﴾: الفاء للتوكيد؛ أي: ذكر النّاس بدلائل قدرته ووحدانيته ونعمه، ذكرهم بربهم وبالآخرة والبعث والحساب، ذكرهم بالقرآن وبيوم القيامة، فذكر فإنّ الذّكرىٰ تنفع المؤمنين، ذكرهم بما نسوه وعظهم وأنذرهم وبشرهم.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾: أي ما عليك إلا البلاغ، مذكر: اسم فاعل من الفعل الرّباعي ذكّر، إنما أنت مذكّر: جملة تعليلية.

[٢٢] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾:

﴿لَّسْتَ﴾: من أخوات كان تفيد النّفي، والتّاء اسم ليس.

﴿عَلَيْهِم﴾: علىٰ كفار مكة.

﴿عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: لست مسؤولاً علىٰ إجبارهم علىٰ الإيمان كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق:٤٥].

[٢٣] ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع: بمعنىٰ المستثنىٰ ليس بعضاً من المستثنىٰ منه، فقوله: إلا من تولىٰ وكفر، ليس استثناء من: لست عليهم بمصيطر وجاءت بمعنىٰ لكن، أي لكن من تولىٰ وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر.

﴿تَوَلَّىٰ﴾: التولي: التباعد وهو أشد من الإعراض؛ أي: ابتعد وأعرض عن طاعة ربه والإيمان بما أنزل الله تعالىٰ.

﴿وَكَفَرَ﴾: ولم يؤمن ويصدق بآيات ربه ورسله وملائكته واليوم الآخر.

[٢٤] ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾:

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾: العذاب الأكبر: هو عذاب جهنم الذي وصف بالعذاب العظيم والأليم والمهين، وأما العـذاب الأدنىٰ أو العذاب الأصغر هو عـذاب الدّنيا، وقوله: يعذبه العذاب الأكبر؛ لا يعني أنّه لا يعذبه العذاب الأصغر أو الأدنىٰ فذاك يدخل في العذاب الأكبر.

[٢٥] ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾:

﴿ إِنَّ ﴾: للتوكيد.

﴿ إِلَيْنَآ ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر: إلينا وتفيد شدة الوعيد.

﴿ إِيَابَهُمْ ﴾: مرجعهم بعد النّشر والبعث من القبور للحساب والجزاء.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: لشدة التّباين بين الإياب والحساب فالحساب هو أعظم وأشد من الإياب (الرّجوع) وفي هذا تهديد ووعيد للكفار.

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا ﴾: إنّ: للتوكيد، تقديم «علينا» تفيد الحصر؛ أي: حسـابهم علينا وحدنا فلا يشـاركنا فيه أحد، وعلىٰ تفيد المشقة؛ أي: سيكون حساباً شاقاً ليس سهلاً كما يتصورونه.

❖ ❖ ❖

سورة الفجر

ترتيبها ٨٩ آياتها ٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾
ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ ۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

سورة الفجر [الآيات ١ - ٢٣]

ترتيبها في القرآن (٨٩) وترتيبها في النّزول (١٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقسم الله سبحانه بعدد من الآيات الكونية والأيّام والليالي الفضيلة في الإسلام للانتباه إليها واغتنام فضيلتها.

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾:

الواو واو القسم، يقسم الله سبحانه وتعالىٰ بالفجر والله لا يقسم إلا بشيء عظيم.

والله سبحانه غني عن القسم، والقسم من قبيل التنبيه إلىٰ أهمية المقسم به، وجواب القسم، والفجر آية من آيات الله الكونية العظيمة الدالة علىٰ عظمته وقدرته في الخلق.

وقد بينت الدراسات العلمية أن الفجر فجران: الفجر الكاذب والفجر الصادق.

والفجر الكاذب: هو ناتج عن تفاعل أشعة الشمس مع نطق الحماية المحيطة بالأرض فعندما تصل هذه الأشعة إلىٰ الأرض تنحني وتسبب ظهور

الفجر الكاذب الذي يرىٰ واضحاً عند القطبين وهو عبارة عن ستائر من الضوء تحوي ألوان الطيف المتعددة السبعة.

وأما الفجر الصادق: فهو ناتج عن أشعة الشمس التي تصل إلينا بصورة غير مباشرة من الشمس والمتضمنة ألوان الطيف السبعة ومنها اللون الأحمر وهو أطول الموجات وعلامة ظهور الفجر الصادق هو ظهور الشفق الأحمر ولأنه من الصعب رؤية الشفق الأحمر بالعين البشرية بسهولة فالله سبحانه هون علينا ذلك وأبدله بالشفق الأبيض أو النور الأبيض الذي نراه في بداية الفجر.

ويقسم الله بالفجر لأن نطق الحماية المحيطة بالأرض ومنها نطاق الأوزون ونطاق التاين والنطاق المغنطيسي والخارجي وغيرها.

هذه النطق بما فيها نطاق الأوزون تقترب من الأرض في زمن الفجر كي تعقم الجو وتقضي علىٰ كثير من مسببات الأمراض فزمن الفجر زمن مطهر مُعقم يشعر فيه الإنسان بالنشاط والطمأنينة وزمن مبارك أيضاً وتقع فيه صلاة التهجد والفجر.

[٢] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾:

أي الأيام العشر من ذي الحجة وأطلق علىٰ الأيام الليالي لأن اللغة تسمح بذلك أو بالعكس فهي أيام فضيلة وفيها يوم عرفة وفيها يتم الطواف والسعي وقيل هي الليالي العشر الأخيرة من رمضان وفيها ليلة القدر وتنكير الليالي للتعظيم.

[٣] ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾:

قيل: الشفع: يوم النّحر يوم عيد الأضحىٰ اليوم العاشر من ذي الحجة.

والوتر: اليوم التّاسع من ذي الحجة؛ أي: يوم عرفة.

وقيل الشّفع: الخلق جميعاً كقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، والوتر: هو الله تعالىٰ الخالق فسبحانه خلق من كل شيء زوجين ليبقىٰ متفرداً بالوحدانية. وقيل: الوتر الصّلاة ثلاث ركعات التي فيها ركعتا الشّفع وركعة الوتر.

[٤] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تفيد حتمية الحدوث.

﴿يَسْرِ﴾: يسري ذاهباً كقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ وقيل: يسر يعني: أقبل ثمّ ذهب وأدبر، وقيل: يسر من السّري: وهو السّير بالليل، والليل يبدأ بالمغرب وينتهي بالفجر أو بطلوع الفجر، والليل فيه صلاة المغرب والعشاء والتّهجد والوتر والفجر، وفيه ينزل سبحانه وتعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وقد يتضمن التفسير كل هذه الأمور.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام التّقريري، جوابه محذوف وتقديره: نعم، وحذفه ليكون الجواب يشمل كلّ ما يجول في الذهن.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: في ذلك القسم بهذه الآيات الكونية والأيام والليالي الفضيلة.

﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾: قسم مقنع وكافٍ لكل ذي عقل، أو هذا القسم كاف لأصحاب العقول، وسمي العقل حجراً؛ لأنّه يمنع صاحبه من الوقوع فيما لا ينبغي، أو العقل ينهىٰ أو يُحل، فإذا لم يكفهم هذا القسم فلا عقول لهم ولا هم يبصرون.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام.

﴿تَرَ﴾: رؤية قلبية فكرية؛ أي: تعلم علم اليقين.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام تقريري يراد به التّعظيم والتّفخيم: فعل ربك بعاد.

﴿فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: أي قوم عاد، عاد الأولىٰ نبيهم هو هود ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح الذين سكنوا الأحقاف وشيدوا فيها حضارة لم يعرف التاريخ مثلها، ولكنهم عصوا رسول ربهم فأرسل عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات، أو سماها الريح العقيم سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيّام حسوماً فترىٰ القوم فيها صرعىٰ كأنّهم أعجاز نخل خاوية، فطمرت حضارتهم بالرمال وتحولت إلىٰ تلال من الرمال كما نراها الآن.

[٧] ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾:

إرم: أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، سموا باسم جدهم كقبيلة إرم، (وإرم هو جد عاد) وقيل إرم اسم قبيلة.

وقيل: إرم: اسم البلدة التي كانوا يسكنونها، وقيل إرم اسم أمة من الأمم، ومعنىٰ إرم القديمة.

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: أهل العمد سكنوا الخيام ذات البناء المحكم المتميز بالقوة والشدة والسعة والطول، أو المساكن ذات القواعد (الأسس) المتينة المحكمة.

[٨] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾:

لم يكن هناك من يشبههم في عظم الأجسام والقوة، ولم تكن هناك حضارة

تشـــبه حضارتهم أو تضاهيها من حيـــث البناء والعمـــران والأعمدة والحضارة والزّراعة فـــي ذلك الزمان، ولا تزال الحفريات وفِـــرق التنقيب تبحث عن تلك الحضارة المدفونة تحت الرمال.

[٩] ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾:

وهـــم عاد الثانية وهم مـــن بقايا قوم هود الذين آمنـــوا ونجوا إلىٰ مكة بعد هـــلاك قوم هود، ثم هاجروا إلىٰ الحجر أو شـــمال الحجاز وهي من أغنىٰ أرض الجزيرة العربية بالماء والأنهار.

أي: ألم تر أيضاً إلىٰ ما فعل الله بثمود قوم صالح، ومساكنهم في الحجر، فهم الذين جابوا الصّخر بالواد: قطعوا الصّخر ونحتوه واتخذوا من الجبال بيوتاً وقصوراً كقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤].

﴿جَابُواْ﴾: من الجَوب؛ أي: نحتوا الجبال والصخر بيوتاً.

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾:

﴿ذِى﴾: أي صاحب الأوتاد.

﴿ٱلْأَوْتَادِ﴾: قيل في تفسيرها عدة أقوال منها:

١ - كان يعذب بأوتاد يضعها في أيدي الناس وأرجلهم، وقيل:

٢ - الأوتاد المباني الضّخمة، وقيل:

٣ - ذي الجنود والأعوان والقوة.

[١١] ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: تعود على عاد وثمود وفرعون هؤلاء الثّلاثة.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾: استكبروا وتجاوز الحد في الظّلم والقهر. في البلاد: جمع بلدة.

[١٢] ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾:

«فأكثروا» تعود على عاد وثمود وفرعون، فأكثروا فيها القتل والتّعذيب والشرك بالله والتكذيب بآياته ورسله، وأكثروا فيها المعاصي والمنكرات. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٥١) لبيان معنى الفساد.

[١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾:

﴿فَصَبَّ﴾: الصّب يعني: الكثرة والشدة والاستمرار، فشبّه نزول العذاب بهم بالمطر المنهمر عليهم من كل جانب.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر عليهم خاصة، «عليهم» تعود على عاد وثمود وفرعون.

﴿رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: كناية عن شدة وكثرة أشكال من العذاب مثل الرّيح الصّرصر العاتية والصّيحة والرّجفة والسّنين والطّوفان والجراد والقمل والغرق.

وسمى ضروب العذاب النّازلة بهم سوطاً؛ تسمية للشيء باسم آلته، وقيل: سوط عذاب؛ لأنّ التعذيب في ذلك الزّمان كان بالسّوط.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾: اللام لام التّوكيد والتّعليل، بالمرصاد: الباء للإلصاق والملازمة، المرصاد: يرصد الأمور؛ أي: يرصد أعمالكم ويراقبها فلا يفوته شيءٌ من أعمالكم ليجازيكم عليها، والمرصاد: يمكن أن يطلق على المكان مكان الرّصد الذي يقف فيه الرّاصد، وفي هذه الآية تهديد ووعيد لمن استكبر وكذَّب بآيات ربه.

[١٥] ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: اسم جنس الإنسان الكافر، أو أحياناً الإنسان المؤمن أو المسلم.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث والتّحقق.

﴿مَا﴾: تفيد التّوكيد.

﴿ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾: الابتلاء لا يكون إلا بتحمل المكاره والمشاقّ؛ أي: بالشر ويمكن أن يكون بالخير، وهنا يقصد به الخير.

﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾: بالغنى واليسر والسّعة في الرّزق والمال والعافية والذرية والجاه وغيره.

﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾: أنعم عليه من فضله وإحسانه بالنّعم الظّاهرة أو الباطنة.

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾: أي يظـــن هذا الإكرام له بالمال أو بغيره من النعم أنّه أهلٌ له ويستحقه، أو لأنّه مفضّل من ربه على غيره من النّاس، وهو ظن خاطئ.

وانتبه إلى اختيار كلمة «أَكْرَمَن» من أَكْرَمَ، لا تعني إكراماً دائماً وإنما مؤقت أو قليـــل أو إكرام عادي، ولم يقل كَرَّمَن من كَرَّمَ، تعني كرم دائم، وفيه مبالغة في الكرم، وأكرمن تشير إلى أنه يطمع في الزيادة في الإكرام.

ولم يقل أكرمني: حـــذف ياء المتكلم فقال: أَكْرَمَـــن؛ لأن الإكرام بالمال وغيره من متاع الدنيا ليس هو الإكرام الحقيقي وإنما هو جزء من الإكرام.

[١٦] ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾:

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾: أما حرف شرط وتفصيل.

﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾: أي ضيق عليه رزقه، وتقديم «عليه»: عليه خاصة.

يظن هذا الإنسان أنّ هذا التّضييق إهانة له من الله له وذلة، وهذا غير صحيح وخاطئ، وإنما هو ابتلاء من الله تعالى ليختبره أيصبر أم يكفر.

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾: ولم يقل أهانني، أهانن؛ أي: إهانة مؤقتة وأهانني تعني إهانة دائمة؛ فهو يعلم أن الله ســـيغير حالـــه لقوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق:١٩].

[١٧] ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر؛ أي: ليـــس المال أو النعمة أو العطاء دلالة على الإكرام من الله، وليس الفقر إهانة وذلاً كما تظنون خطأً، وإنما الغنى والفقر ابتلاء

من الله للعبد ليقيم عليه الحجة أيشكر أم يكفر، أو يصبر أو لا يصبر، والابتلاء هو طهارة من الذنوب أو لرفع الدرجات.

«أهانن»: حذف ياء النداء؛ لأن الفقر ليس هو السبب الحقيقي للإهانة والذل، كالطرد من رحمة الله.

﴿بَل﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿لَا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: فهو رغم إكرامه لهذا الإنسان فهذا الإنسان لا يؤدي حق الله في ماله سواء بأداء زكاة أمواله أو بإكرام اليتيم أو إطعام المسكين، و«اليتيم» في اللغة: من فقد أباه قبل سن البلوغ من ذكر أو أنثى.

[١٨] ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا النّافية.

﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾: يحث بعضكم بعضاً، أو يوصي بعضكم بعضاً، وتحاضون: أصلها تتحاضُّون.

﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: على مساعدة المسكين المحتاج الذي ليس عنده ما يكفيه لسدِّ حاجته، لا إكرام لليتيم ولا إطعام للمسكين ولا كلاهما، والانتقال من الغائب إلى المخاطب كقوله: «كلا بل لا تكرمون اليتيم» بدلاً من القول كلا بل لا يكرمون ولا يحاضّون على طعام المسكين يدل على زيادة التوبيخ والعتاب.

[١٩] ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾:

﴿وَتَأْكُلُونَ﴾: أي تأخذون.

﴿ٱلتُّرَاثَ﴾: اسم (لما يتركه الميت من الإرث) أي: الميراث.

﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾: أي تأكلون نصيبكم ونصيب غيركم من الميراث، حيث كانوا لا يورّثون النّساء والصّبيان؛ أي: تأخذون الحلال والحرام، أكلاً: مصدر أكل؛ للمبالغة، لمّاً: مصدر للفعل الثّلاثي، لمَّ بمعنى: جمع المال سواء كان حلالاً أو حراماً وتفيد المبالغة، تأكلون: بصيغة المضارع تدل على التّجدد والتّكرار والاستمرار.

[٢٠] ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾:

وتحبون المال حباً كثيراً، من الجم: أي الكثير، وجمّ الشّيء: كثرة، وجمّاً للمبالغة والشدة، وتحبون: بصيغة المضارع تدل على التّكرار والتّجدد والاستمرار، وتشير إلى المبالغة في حب المال وشدته.

[٢١] ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾:

﴿كَلَّآ﴾: كلمة ردع وزجر لمن جمع المال الحرام، أو بخل بالتّصدق والزّكاة أو أكل حق الآخرين في الميراث وخاصة اليتيم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية تفيد حتمية الحدوث وتحقق ذلك يوم القيامة.

﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾: الدّك هو الهدم والتّسوية النّاتج عن زلزلة الأرض يوم القيامة، والذي يؤدي إلى دكّ الجبال والأبنية وكلّ ما ارتفع فوق الأرض، كي تبدّل الأرض غير الأرض، وتبدّل بأرض جديدة واسعة للبلايين من الناس هي أرض المحشر استعداداً للحساب والقضاء.

﴿دَكًّا﴾: للتوكيد.

[٢٢] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: المجيء: مجيء حقيقي، للقضاء بين النّاس وحسابهم

وجزائهم كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥].

﴿صَفًّا صَفًّا﴾: قيل: محيطين بالخلق صفّاً صفّاً، أو مصطفّين صفّاً صفّاً حسب منزلتهم ومراتبهم، أو ينزلون من السماء صفاً صفاً.

[٢٣] ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾:

وقد وصف رسول الله ﷺ مجيء النّار في يوم القيامة في حديث رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كلّ زمام سبعون ألف ملك.

ولا ننسى هذا العدد الكبير، ولا ننسى قوة وشدة هؤلاء الملائكة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: تكرار «يومئذ» للتوكيد، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما قدّم وأخّر أو ما عمل في دنياه.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾: أنّى لها عدّة معان: تحمل معنى كيف يتذكر، أو من أين تأتي له الذّكرى، وللاستفهام والتّعجب، وماذا يتذكر من الكم الهائل الذي عمله، وما فائدة تذكره؟ لن تنفعه الذّكرى إلا حسرة وندماً على ما فرّط في جنب الله سبحانه وتعالى.

❖❖❖

يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ آياتها ٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٦٠

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمۡسِ

ترتيبها ٩١ آياتها ١٥

سورة الفجر [الآيات ٢٤ - ٣٠]

[٢٤] ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾:

﴿يَقُولُ﴾: حين يرىٰ أهوال يوم القيامة والعذاب.

﴿يَٰلَيْتَنِي﴾: الياء للتنبيه، ليتني: ليت أداة رجاء تستعمل للأمور المستحيلة الحدوث أو النّادرة.

﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: اللام لام التّعليل، قدّمت لحياتي: أي حياة الآخرة، وجاء بياء المتكلم؛ لأنّها هي الحياة الحقيقية الكاملة التّامة لا موت بعدها، يا ليتني: قدمت الكثير من الأعمال الصّالحة والتّقوىٰ والإيمان، وهذا التّمنّي لن يحصل ويتحقّق أبداً.

[٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾:

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: الفاء للتوكيد، يومئذ: ظرف أضيف إلىٰ ظرف آخر، وأصلها يوم (ظرف) إذ (ظرف).

﴿لَّا﴾: النّافية

﴿يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: بكسر الذّال، الضّمير يعود إلىٰ الله سبحانه؛ أي: لا يعذّب كعذاب الله تعالىٰ أحدٌ.

وفي قراءة بفتح الذّال، والضّمير يعود إلىٰ الإنسان الموصوف الذي يقول: يا

ليتني قدمت لحياتي! أي: لا يُعذَّب أحدٌ مثل عذابه ولا يوثق بالسّلاسل والأغلال أحد مثله حسب درجة كفره وتكذيبه، والضّمير قد يعود إلىٰ كلاهما، والله أعلم.

[٣٦] ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: تكرار لا يفيد التّوكيد توكيد النّفي.

﴿يُوثِقُ﴾: أي لا يشد ويربط بالسّلاسل والأغلال مثله أحد، والضّمير يعود إلىٰ الله سبحانه أو إلىٰ الإنسان أو كلاهما معاً، كما في الآية (٢٥).

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا﴾: ياء النّداء، والهاء للتنبيه.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: أي: النفس الآمنة الساكنة المؤمنة المطمئنة بالإيمان، والرّاضية بقضاء الله والموقنة بما وعده.

[٢٨] ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾:

يقال للنفس المطمئنة: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: يقال لها هذا عند الموت وخروجها من الدّنيا أو يوم القيامة بعد الحساب.

﴿رَاضِيَةً﴾: بالثّواب كقوله: رضي الله عنهم ورضوا عنه.

﴿مَّرْضِيَّةً﴾: مؤنث مرضي؛ مرضي: اسم مفعول من فعل رضي؛ أي: رضي الله عنها (مرضية عند الله تعالىٰ) أي: رضي عنها وأرضاها، مرضية بالثواب وبما أعده الله تعالىٰ لها من النعيم الدائم، وكل ما تشتهيه، وأكبر من ذلك رضوان الله ورؤية وجهه الكريم.

[٢٩] ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾:

الفاء للترتيب الذّكري (عاطفة)، «في عبـــادي» ولم يقل مع عبادي؛ «في» تعني أصبح منهم، بينما «مع» أي دخل مصاحباً لهم وليس منهم.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾: أي فـــي عبـــادي الصّالحين أو المتقين أو الشّـــهداء أو الصّديقين حسب درجتها.

[٣٠] ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾:

يقال لها ذلك يوم القيامة وإضافة الجنّة له سبحانه تشريفاً للجنة وهي جنته، اسم جنس تشمل كلّ الجنات: الفردوس وعدن والخلد والمأوىٰ، وادخلي جنتي برحمتي وفضلي وكرمي.

❖ ❖ ❖

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ آياتها ٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٦٠

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ
﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ
ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟
بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ

ترتيبها ٩١ آياتها ١٥

سورة البلد [الآيات ١ - ٢٠]

ترتيبها في القرآن (٩٠) ترتيبها في النّزول (٣٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾:

﴿لَآ أُقْسِمُ﴾: ارجع إلىٰ سورة القيامة الآية (١) للبيان.

﴿بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾: الباء باء القسم، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، البلد: مكة المكرمة، ومن أسمائها: أم القرىٰ، والبلد الأمين، وبكة، وأقسم بها لشرفها وعظمتها وحرمتها عند الله تعالىٰ وأحبها إليه، ففيها البيت الحرام الذي هو أوّل بيت وضع للناس وفيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأما من الناحية العلمية فعلينا أن نعلم أن أرض مكة هي أول أرض تشكلت علىٰ اليابسة، وهي تعتبر وسط اليابسة. ارجع إلىٰ سورة الشورىٰ آية (٧) للبيان.

[٢] ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾:

﴿وَأَنتَ﴾: المخاطب هنا هو رسول الله ﷺ.

﴿حِلٌّ﴾: أي الحالّ؛ أي: المقيم بهذا البلد، أو حلٌّ: مشتقة من الحِلّ: ضد الحرام؛ أي: غير محرّمة عليك، كما حدث يوم فتح مكة كما قال رسول الله ﷺ في حديث ذكر في صحيح البخاري وسيرة ابن هشام، وهذا بعض ما قاله ﷺ: «أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، ولا يعضد فيها شجراً، ولم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم

تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب» إلى نهاية الحديث، وتكرار «بهذا البلد» مرتين للتوكيد والتّعظيم.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾:

﴿وَوَالِدٍ﴾: الواو واو القسم.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾: ولم يقل ووالد ومن ولد، «ما» أوسع تشمل الكلّ النّاس والجن والحيوان، ووالد تعني:

١ - آدم، وما ولد: بنو آدم، أي ذريته.

٢ - ووالدٍ تعني: كل والد وما ولد من الأولاد، وتشمل النّاس والجن والحيوان، ونكّر والدٍ وما ولد: للإبهام والمدح والتّعجب.

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾:

جواب القسم.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق والتّوكيد أيضاً.

﴿خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: في: ظرفية؛ كبد: مشتقة من أوجعته كبده؛ أي: مصاب بوجع الكبد، والكَبَد: المشقة والتّعب؛ أي: خلق الإنسان ليكابد ويتحمل المشاقّ والمصاعب والشّدائد في الدّنيا، فعليه أن يصبر ولا يجزع ولا يكون هلوعاً إذا مسه الشّر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾:

﴿أَيَحْسَبُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ، هذا الإنسان المغترّ بقوته وشدته ومكابدته وتحمله البأساء والضّراء.

يحسب: من حسب؛ أي: يظن ظناً راجحاً أو يعتقد.

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿لَّن﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: أيحسب هذا الإنسان لشدته وقوته وكونه مكابداً للمشاقّ والمصاعب أن لا يقاومه أحد من النّاس، أو لا يقدر على الانتقام منه أحدٌ؟ وبمعنى آخر: لن يحاسبه على عمله أحد ويدخله جهنم وساءت مصيراً.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾:

﴿يَقُولُ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على تكرار القول والتّجدد «يقول» مفتخراً ومتباهياً بما أنفقه من المال الكثير.

﴿أَهْلَكْتُ﴾: أنفقت.

﴿مَالًا لُّبَدًا﴾: اللبد الكثير من: تلبّد الشّيء إذا اجتمع بعضه فوق بعض على شكل طيّات، يقول مفاخراً أو نادماً: أنفقت مالاً كثيراً في عداوة ومحاربة الله ورسوله والإسلام أو أهلكت مالاً لِبَداً على شهواته ومعاصيه.

[٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾:

﴿أَيَحْسَبُ﴾: ارجع إلى الآية: «أيحسب ألن يقدر عليه أحد».

﴿أَن لَّمْ﴾: أن: للتوكيد، لم: للنفي.

﴿يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: حين أنفق ماله في محاربة الله ورسوله، أو رياء أو في شهواته ومعاصيه، أحسب أن الله سبحانه لم يره أو كان مطلعاً عليه أو ملائكته الكرام الكاتبين الشاهدين على أفعاله.

[٨] ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام التّقريري وفيها معنىٰ التّوبيخ.

﴿عَيْنَيْنِ﴾: ليُبصر بهما.

[٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾:

﴿وَلِسَانًا﴾: ينطق به ويعبر عما يجول في مراده.

﴿وَشَفَتَيْنِ﴾: يستعين بهما علىٰ النّطق والأكل.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾:

﴿وَهَدَيْنَٰهُ﴾: بالفطرة وبإرسال الرّسل وإنزال الكتب والآيات والبينات، بيّنا له طريق الهدىٰ وطريق الضّلال طريق الخير وطريق الشّر، وبيّنا له الحق من الباطل والحلال والحرام، وهديناه إلىٰ كل ما يحتاجه من الهداية في حياته.

﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: والنّجد: هو الطّريق العالي المرتفع، النّجدين مثنىٰ نجد، شبه طريق الخير والهدىٰ بالطريق المرتفع العالي الموصل للغاية.

[١١] ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾:

لها معان عدة كلها محتملة:

١ - فلا: أصلها أفلا حذفت الهمزة، «أفلا» تعني الاستفهام والتّقرير؛ أي: «أفلا» للحض والحث؛ أي: أفلا سلك طريق النّجاة والخير وجاهد نفسه في الطّاعات للوصول إلىٰ الغاية الكبرىٰ، وهي رضوان الله والنجاة من النار والفوز بالجنة.

٢ - أو: فلا الفاء عاطفة لا النّافية لكل الأزمنة الماضي والحاضر

والمستقبل؛ أي: لم يقتحم العقبة في الماضي (فيما مضىٰ من عمره) وأنّه لن يقتحمها في المستقبل.

٣ - فلا اقتحم العقبة: تحتمل أن تكون دعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة مثل قوله: لا نصرك الله.

٤ - استفهام يراد به التّوبيخ، أو خبر.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: الاقتحام: الدّخول بشدة وبسرعة أو المجاوزة وصعوبة، والقحمة هي الشّدة والمهلكة، العقبة: الطّريق الوعر في الجبل صعب السّلوك، واستعير بدل الأعمال الصّالحة الشّاقة علىٰ الأنفس.

ثم سئل إذا كان يدري: ما معنىٰ العقبة وكيف يقتحم العقبة؟ في الآيات (١٢-١٦) ليكون من أصحاب الميمنة.

[١٢] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾:

﴿وَمَآ﴾: للاستفهام والتّفخيم والتّعظيم والتّهويل.

﴿أَدْرَىٰكَ﴾: من درىٰ؛ أي: علم بعد جهل، واستخدم أو استعمل كلّ الأساليب للوصول إلىٰ الدّراية؛ أي: من أخبرك وأعلمك وبيّن لك ما العقبة، ومهما أخبرك أو أطلعك عليه من علم فلن تعلمها علم اليقين حتّىٰ تراها بعينيك. ارجع إلىٰ سورة الحاقة لمعرفة الفرق بين أدراك ويدريك.

[١٣] ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾:

من الأسر أو السجن أو الظلم والاضطهاد.

فكّ رقبة يعني: تخليصها أو المساهمة في التخليص والتحرير (كصدقة).

والفك: مشتق من حلّ القيد، ويختلف فك رقبة عن تحرير رقبة من الرّق والعبودية الذي لم يُعد يوجد اليوم، وسمي المرقوق رقبة؛ لأنّ الرّقيق كالأسير

المربوط في رقبته، وجاء الإسلام ليخلص النّاس من الرّق والعبودية ويحررهم من براثن الجاهلية، أو تحرير رقبة شراؤها بالكامل أو فكّها بالكامل، وتحرير رقبة جاءت في سياق الكفارة.

[١٤] ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾:

﴿أَوْ﴾: أو تفيد أحد الأمرين، ولو جاء بالواو لكان عليه فعل كلا الأمرين، وهذا أكثر صعوبة.

﴿مَسْغَبَةٍ﴾: السَّغب: الجوع، المسغبة: مصدر من فعل سغب وزيادة التاء للمبالغة؛ أي المجاعة العامة التي تشمل الجميع (المجتمع) وليس الفرد وحده والتي يرافقها الإصابة بالتّعب والإرهاق، وأما المخمصة: فهي المجاعة التي تصيب الفرد لوحده وليس الجماعة.

والمخمصة: الجوع الذي يرافق ضمور بالبطن، فهي أشد من المسغبة.

وقوله ﴿إِطْعَٰمٌ﴾: أي إطعام الفقراء والمساكين في زمن الطّعام فيه مفقود وغير متوفر وقليل، وقد يكون ثمنه غالياً فإطعام الطّعام في المسغبة لليتيم ذي المقربة أو للمسكين ذي المتربة هو نوع أو مثال على اقتحام للعقبة.

مراتب الحاجة إلى الطّعام هي: الجوع ثمّ السّغب ثمّ الفرث ثمّ الطّوى ثمّ المخمصة ثمّ الضّرم ثمّ السّعار، والجوع: هو الإحساس الذي يتولد عن خلو المعدة من الطعام.

مراتب الحاجة إلى الماء هي: العطش ثمّ الظّمأ ثمّ الصدى.

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾:

اليتيم القريب في النّسب: واليتيم هو من فقد أباه قبل سن البلوغ، وذا مقربة: أي قريب في النسب.

[١٦] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾:

﴿أَوْ﴾: تفيد التخيير في أحد الأمرين.

﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: مشتقة من كلمة تَرِب: أي افتقر، ومعناه: التصق بالتّراب؛ أي: يبيت على التراب، أو يعيش قرب المزابل ليبحث عن الفضلات وبقايا الطّعام.

وذو متربة: أو مأواه ومسكنه الطّريق (أي التّراب) لا بيت له إلا قارعة الطّريق، وظهر على وجهه وجسده علامات شدة الجوع والفقر بأن أصبح وجهه شاحباً يشبه لون التّراب.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين درجة أو رتبة الإيمان مقارنة بدرجة الصّبر والمرحمة، فالأصل هو الإيمان وهو شرط لقبول العمل الصالح مثل: (فك رقبة أو الإطعام) والالتزام (التواصي) بالصبر وبالمرحمة.

﴿كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الإيمان أوّلاً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: الباء للإلصاق والدّوام؛ أي: وصّى بعضهم بعضاً بالصّبر والثّبات على الإيمان والصّبر على الشّدائد.

والصّبر على تجنّب المعاصي، وقرن الصّبر بالرّحمة؛ فلا بدّ أن يكون إطعام الفقير مصحوباً بالرّحمة.

فقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: التّعامل بالرّحمة والتّعاطف، وقدّم التّواصي بالصّبر على التّواصي بالمرحمة؛ لأنّ الصّبر يدخل في كلّ العبادات وفعل الأعمال الصّالحة والمعاملات.

وتكرار كلمة «تواصوا» والباء مرتين «تواصوا بالصّبر وتواصوا بالمرحمة»

يعتبر من أقوىٰ وأشـــد الأقوال والتّوصيات علىٰ الإطلاق، فهو لم يقل وتواصوا بالصّبر وبالمرحمة فهذا أقل شدة وقوة من القول الأوّل، ولم يقل تواصوا بالصّبر والمرحمة وهذا أقل شدة وقوة من القول الثّاني.

وإذا قارنّا هذه الآية (١٧) من ســـورة البلد ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ مع الآية (٣) من ســـورة العصر ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: السّـــياق في سورة العصر مختلف تماماً عن السّياق في سورة البلد.

السّياق في سورة البلد عن المســـغبة والتواصي بالصّبر والتّراحم وإطعام القريب والفقير.

أمّا السّياق في سورة العصر فهو عن الإنسان الخاسر بشكل عام، واستثنىٰ من هؤلاء الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصّبر؛ أي: بالالتزام بالدين والإيمان والصبر.

[١٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اســـم إشـــارة يشـــير إلىٰ الذين فكُّوا رقبة وأطعموا في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة، وتواصوا بالصّبر وتواصوا بالمرحمة.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: الذين يؤتَون أو يعطَون كتبهم بأيمانهم يوم القيامة؛ أي: السّعداء أصحاب الجنة، ولم يقل أصحاب اليمين وقال: «أصحاب الميمنة»؛ لأنّ أصحاب الميمنة: تجمع أصحاب اليمين هؤلاء وفئات أخرىٰ من الذين تواصَوا بالحق وتواصَوا بالجهاد وتواصَوا بالدّعوة، وهم كذلك أصحاب اليُمن: الخير والبركة.

[١٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي جحـــدوا وأعرضـــوا ولم يؤمنوا بآيـــات القرآن والآيات الكونية، والبينـــات الدّالة علىٰ وجوب الإيمـــان بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: أصحاب النّار، والمشئمة: من الشّأم أو الشُّؤم وتعني: الشّقاء والضّلال؛ أي: الذين يعطَون كتبهم بشمائلهم؛ أي: بأيديهم اليسرىٰ، ولم يقل أصحاب الشّمال؛ لأنّ أصحاب المشئمة تضمّ أصحاب الشّمال وغيرهم من الطّوائف الأخرىٰ الكافرة.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾:

﴿عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ تفيد المشقة والصعوبة والجهة.

﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مطبِقة عليهم ومغلقة: مؤصدة: اسم مفعول من فعل أصد: بمعنىٰ أطبق؛ أي: كأنّها جاءت من أعلىٰ وأطبقت عليهم، فهي ليست مرتفعة كثيراً عن رؤوسهم.

وقدّم كلمة عليهم: التي تفيد الحصر؛ أي: عليهم وحدهم مؤصدة فهم من الخالدين فيها أبداً، فهناك من عصاة المؤمنين الذين سيخرجون منها بعد عقابهم فيها.

وقال: مؤصدة، بالهمزة ولم يقل موصدة؛ لأنّ الهمزة علىٰ حرف الواو أثقل وأشدّ وهذا يناسب الموقف والشّدة التي هم فيها.

ولم يقل في عمد ممددة: فربما هناك أماكن من النّار تكون مؤصدة وأماكن موصدة في عمد ممددة حسب نوع الكفر والمعاصي والسّخرية والتّكبر، كلّ طبقة أو فئة لها مكانها المحدد، والله أعلم. ارجع إلىٰ سورة الهمزة الآية (٩) للبيان.

❖❖❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾
وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا
﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ
نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

سورة الشمس [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (٩١) وترتيبها في النّزول (٢٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾:

أقسم الله سبحانه بست آيات من أعظم الآيات الكونية، التي تدل على عظمته وقدرة خلقه، والدّالة على وحدانيته وأنّه الإله الحق الذي سخَّر هذه الآيات لمصلحة الإنسان وفائدته.

﴿وَالشَّمْسِ﴾: الواو واو القسم، والله غني عن القسم، والقسم غايته تنبيه السامع إلى أهمية المقسم به وجواب القسم.

يقسم الله سبحانه بالشمس وهي أقرب نجم إلينا، وهي عبارة عن فرن نووي درجة الحرارة في داخله تزيد على (١٥ مليون درجة) وعلى سطح الشمس (٦٠٠٠ درجة) وألسنة اللهب التي تمتد إلى ملايين الكيلومترات، ولولا نُطق الحماية المتعددة حول الأرض لاحترقنا بألسنة اللهب، فالشمس هي مصدر الطاقة لكوكب الأرض وطعامنا وأجسامنا تعتمد على طاقة الشمس، فهي من أعظم القدرات الإلهية.

﴿وَضُحَاهَا﴾: الضّحى: ضوء الشّمس إذا أشرقت (عند الشّروق)، هذا الضوء الذي يسير بسرعة تصل إلى (٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية)، ومن المفسرين من قال: الضحى الزمن ما بين طلوع الشمس وزوالها؛ أي: وقت الظهيرة.

ومنهم من قال: الضحىٰ يطلق علىٰ طول النهار؛ أي: زمن ظهور الشمس.

وما يحدث في النهار من الكدح والسّعي لطلب الرّزق والعمل في أوّل النّهار.

[٢] ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية.

﴿وَٱلْقَمَرِ﴾: الواو واو القسم، يقسم الله تعالىٰ بالقمر الذي يبعد عن الأرض (٢٣٨،٨٥٥ميلاً)، وحجمه يعادل (٢٧٪) من حجم الأرض، وقطر القمر (١،٧٣٧،٥كم)، والقمر دائماً يقابل الأرض بنفس الوجه ويعكس أشعة الشمس في الليل فيبدو منيراً، مع العلم أن سطح القمر مظلم، وقد تشكل القمر قبل (٤،٥ بليون سنة) والقمر لا يدور حول نفسه، لذلك نرىٰ سطح القمر المقابل للأرض دائماً ولا نرىٰ السطح الآخر، والقمر يدور حول الأرض دورة في كل (٢٧،٣يوماً) ويأخذ في دورانه أشكال مختلفة تسمىٰ منازل (منازل القمر).

﴿إِذَا تَلَىٰهَا﴾: إذا تلا الشّمس؛ أي: طلع بعد غروب الشمس ليعكس نور الشّمس الواقعة عليه، يعكسه علىٰ كوكب الأرض فينوّرها خلال الليل، والشمس تنوّر نصف الكرة الأرضية المقابل لها خلال النهار.

[٣] ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾:

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا﴾: الواو واو القسم، النّهار إذا: ظرفية.

﴿جَلَّىٰهَا﴾: الضّمير في «جلاها» حقيقة يعود إلىٰ الشّمس وإلىٰ الأرض معاً وليس كما يُظن يعود إلىٰ أحدهما.

النّهار: هو الطّبقة الغازية المحيطة بالأرض والتي تضيء حين تقع عليها

أشعة الشّمس مما يجعل كوكب الأرض في حالة النّهار، ارجع إلىٰ سورة يونس آية (٦٧)، لمزيد من البيان.

جلّاها: كشــفها، من الجلاء وهو: الظّهور، فالنّهار يكشف ويظهر لنا كلاً من الشّــمس منبع الضّوء والنّور، ويكشف ويظهر لنا الأرض أيضاً فنراها، ولولا النّهار لما رأينا الشّمس ولما رأينا الأرض.

[٤] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾:

﴿وَٱلَّيۡلِ﴾: الواو واو القسم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية.

﴿يَغۡشَىٰهَا﴾: أي يغشــىٰ الأرض؛ أي: يغطيهــا بظلامه ليســمح للإنســان بالسّكون والرّاحة، يغشاها: فهو لا يغشىٰ كلّ كوكب الأرض وإنما يغشىٰ نصف كوكب الأرض، بينما النّصف الآخر يكون في حالة النّهار، فالأرض تتحرك أمام الشــمس، فحين يأتي نصفها البعيد أو الغير مقابل لقرص الشــمس يشكّل ظلمة الليل وتلتقي ظلمة الليل مع ظلمة الكون (لأن الكون في الأصل ظلام).

[٥] ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾:

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾: اسم جنس تشمل السّموات السّبع كسبع كرات تغلّف الواحدة الأخرىٰ، وما نراه فقط السماء الدنيا.

﴿وَمَا﴾: ما الاستفهامية للتعظيم والتّعجب.

﴿بَنَىٰهَا﴾: ركّبها وجعلها طبقات، بناها بلا أعمدة نراها، بناها بالقوىٰ النّووية والكهربائية والمغنطيســية وقوىٰ الجاذبية، بناها بقوة متماسكة، وما بناها يقصد به عظمة بنائهــا وعظمة الخالق الذي بناها، فما نراه هو جزء ضئيل من الســماء

الدنيا فما بالك بالسموات السبع، والمجرة الشمسية التي فيها البلايين من النجوم كشمسنا، ومجرّتنا جزء من التجمُّع المجرّي الأعظم والأعظم فقد قدّر العلماء أن هناك ما يقارب (٥٠٠،٠٠٠ مليون مجرة) تتحرك بحيث يظل كل جرم فيها يتحرك بنظام ثابت لا يتغير أبداً.

[٦] ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾:

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: كوكب الأرض.

﴿وَمَا﴾: ما استفهامية تفيد التّعظيم والتّعجب.

﴿طَحَىٰهَا﴾: بسطها ومدّها وجعلها كروية، وجعلها مستقرة لا يشعر الإنسان بحركتها رغم كونها تدور (٣٠) كيلو متراً بالثانية.

وأمّا الفرق بين دحاها وطحاها: دحاها أي: أخرج منها غلافها المائي والغازي من جوفها، بثورة البراكين وقذف الحمم الغازية وبخار الماء. وطحاها كما بينا: بسطها ومدها وجعلها مستقرة.

[٧] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾:

﴿وَنَفْسٍ﴾: نكرة أيّ نفس، والنّفس ليس هي الرّوح كما ظن البعض، والنّفس كما تشير الأبحاث العلمية المقرونة بهدي الشّريعة الإسلامية، أنّ النّفس قد تكون هي منطقة في الدّماغ الذي يسمى جهاز لمبك الذي يتحكّم بالتّفكير والذاكرة والأحاسيس والتميز والاختيار وغيرها.

﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: ما أبدعها، وخصّها بالصفات الوراثية الخاصة بها.

[٨] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾:

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: بيّن لها طريق الهدى والرّشد والخير (طريق التّقوى) عن طريق

الإيمـــان الفطري منذ كانت في صلب آدم كما قال تعالىٰ في ســـورة الأعراف آية (١٧٢): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأيضاً بإرسال رسله وكتبه.

﴿فُجُورَهَا﴾: بيّـــن لها فجورها كيف يحصل أو يتـــم بالإدمان علىٰ المعصية والإصرار عليها والكفر والشرك وعدم التّوبة، والسّير في طريق الضّلال والكفر.

[٩] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾:

قيل: هذا جواب القسم، بالإضافة إلىٰ: «وقد خاب من دسّاها»، وهناك من قال: جواب القسم محذوف ليشمل كلّ الاحتمالات المقدّرة.

﴿قَدْ﴾: حرف للتحقيق يفيد التّوكيد.

﴿أَفْلَحَ﴾: فاز ونجا، فاز بالجنة ونجا من النّار.

﴿مَن﴾: ابتدائية.

﴿زَكَّىٰهَا﴾: طهّرها مـــن الذّنوب مثل الكفر والشّـــرك والآثام والمعاصي، زكّاها: نمّاها بالتّقوىٰ والعمل الصّالح.

[١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾:

﴿وَقَدْ﴾: حرف للتحقيق والتّوكيد.

﴿خَابَ﴾: الخائـــب: المنقطع أمله، أو الذي منع مـــن أن ينال ما أمل؛ أي: خسر وانقطع أمله في النجاة.

﴿مَن﴾: بمعنىٰ الذي.

﴿دَسَّىٰهَا﴾: أصلها من التّدســـيس: وهو إخفاء الشّـــيء في الشّـــيء، دسّ الشّـــيء إذا أخفاه بين شـــيئين حتّىٰ لا يظهـــر؛ أي: طمر نفســـه وغمرها وأثقلها

بالذّنوب والمعاصي والشـرك والكفر والضلال حتىٰ لـم تعد ظاهرة، أو لها أيّ وزن أو قيمة.

[١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾: كذّبت قبيلـة ثمود بنبيهم صالح وبما أرسـل به من ربه، وثمود هم عاد الثانيـة جاؤوا بعد عاد الأولىٰ وسـكنوا الحجر أو مدائن صالح شـمالي الحجاز. وجاء بصيغـة الكثرة كذبت، مع أنها كذبـت بصالح؛ لأن من يكذب رسولاً فقد كذب كل الرسل.

﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾: الباء: باء السّـببية أو التّعليلية؛ طغواها: مصدر من فعل طغىٰ يطغىٰ؛ أي: بسبب طغواها، طغواها: إفراطها في الكفر والطّغيان والبغي والظّلم؛ أي: كذبت ثمود بصالح بسبب طغيانها وتمردها.

[١٢] ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾:

﴿إِذِ﴾: ظرفية بمعنىٰ حين وتفيد الفجائية.

﴿ٱنۢبَعَثَ﴾: انبعثت: من قبيلته؛ أي: أرسل متهيجاً ثائراً، وقام مسرعاً بعد أن حثّه وحرّضه قومه علىٰ عقر الناقة.

﴿أَشْقَىٰهَا﴾: الشـقاوة: التولي عن الإيمان والانغماس في الكفر والضلال وانتهاك حرمات الله، والبعد عن الحق، والشـقاوة مكتسبة، وتؤدي إلىٰ خسارة الدارين القبيلة وهو قدار بن سالف.

[١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا﴾:

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: الفاء للترتيب والمباشـرة، قال لهم؛ أي: قال لهم نبيهم صالح رسول الله.

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾: سـماها ناقة الله تشريفاً لها، وحذّرهم منها سابقاً وقال لهم: إياكم بأن تمسوها بسوء.

﴿وَسُقْيَاهَا﴾: أي ذروها تشرب كما تشاء في يومها، وقال لهم سابقاً: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥].

[١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، كذّبوه: أي كذّبوا نبيهم صالحاً ولم يصدقوا ما حذّرهم من العذاب، ولم يصدقوا برسالات ربهم، وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، عقروا النّاقة: نحروها ذبحوها.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ﴾: أطبق عليهم العذاب؛ من دمدم القبر: أي أطبق القبر أو ردم القبر، بذنبهم: الباء السببية، بسبب ذنبهم.

﴿فَسَوَّاهَا﴾: أطبق أو أحاط؛ أي: بهم العذاب لم يفلت أو ينجُ منهم أحدٌ إلا صالح والذين آمنوا معه، أو سوّاها: من التسوية؛ أي: نالهم العقاب الذي يستحقونه.

[١٥] ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾:

﴿وَلَا يَخَافُ﴾: ولا يخاف الله سبحانه عقبىٰ الدّمدمة أو تبعة إهلاكهم واستئصالهم، فليس هناك من سيسأل الله تعالىٰ: لمَ فعل ذلك بهم؟ حيث جعلهم كهشيم المحتظر.

عقباها: اسم بمعنىٰ عاقبة ما يفعل سبحانه؛ أي: لا يخاف الله سبحانه عاقبة ما يفعل.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

سورة الليل [الآيات ١ - ١٤]

ترتيبها في القرآن (٩٢) وترتيبها في النّزول (٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقسم الله بآيتين من الآيات الكونية العظيمة الدّالة على قدرته وعظمته وهما الليل والنّهار.

[١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾:

﴿وَاللَّيْلِ﴾: الواو واو القسم، والله غني عن القسم، والقسم يدل على أهمية المقسم به وجواب القسم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية بمعنى حين.

﴿يَغْشَىٰ﴾: يقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى؛ أي: يغطي بظلامه نصف الكرة الأرضية، بينما النصف الآخر يكون مضيئاً بنور الشمس، وهذا يدل على كروية الأرض ودورانها حول محورها ودوران القمر حول الأرض.

[٢] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾:

﴿وَالنَّهَارِ﴾: هو الطّبقة الغازية المحيطة بالأرض التي تضيء عندما تقع عليها أشعة الشّمس. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) للبيان المفصل.

﴿إِذَا﴾: إذا انكشف وظهر بزوال ظلمة الليل.

﴿تَجَلَّىٰ﴾: من الجلاء بمعنى الظّهور، والليل والنهار آيتان من آيات الله الكونية الدالة على عظمته وقدرته سبحانه.

[٣] ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو واو القسم، ما: بمعنى (الذي) أي: والذي خلق الذّكر والأنثى، وهذا القسم من أعظم القسم يقسم الرّب بذاته، وما أوسع شمولاً من الذي.

﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾: ليس فقط من جنس الإنسان بل كذلك في عالم الحيوان والنّبات، فكل خلق مهما كان خلقه في زوجية؛ ليبقى سبحانه منفرداً بالوحدانية.

[٤] ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾:

هو جواب القسم.

﴿إِنَّ﴾: إنّ واللام في كلمة «لشتى» تفيدان التّوكيد.

﴿سَعْيَكُمْ﴾: السعي: هو العمل والكسب بجد واجتهاد؛ أي: عملكم في الدّنيا (ويشمل القول والفعل) وكسبكم.

﴿لَشَتَّىٰ﴾: اللام: للتوكيد، شتى يعني: مختلف أو غير متقارب؛ أي: شتان بين العمل الصّالح والعمل السّيئ، ثمّ بيّن شتى بثلاثة أنواع من الأعمال الصّالحة.

[٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية بمعنى: الذي (للمفرد والمذكر) ومن (تشمل المفرد والمثنى والجمع للمذكر والمؤنث معاً).

﴿أَعْطَىٰ﴾: تضم الزّكاة والصّدقة والإنفاق في سبيل الله، وتضم كلّ أنواع العطاء الأخرىٰ مثل الإطعام... وغيره.

﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: أي امتثل وأطاع أوامر الله تعالىٰ وتجنّب نواهيه، وتشمل كلّ أعمال التّقوىٰ.

[٦] ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾:

﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: الحسنىٰ مؤنث الأحسن: بالجنة، وبلا إله إلا الله والغيث وبالبعث وبالثّواب وغيرها، والباء للإلصاق والتّوكيد.

[٧] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾:

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾: الفاء للتوكيد، والسّين للاستقبال القريب، نيسّره لعمل الخير والعمل الصّالح وطاعة ربه، سنوفقهُ وسنسهّل عليه ما كُلّف به.

﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾: اللام للتوكيد، لليسرىٰ: للجنة، أو نيسّره لأيسر الأمور وأهونها ونشرح صدره للإسلام.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو عاطفة، أمّا حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنۢ﴾: ابتدائية. اسم موصول تستعمل للمفرد والمثنىٰ والجمع (المذكر والمؤنث) بعكس «الذي» تستعمل فقط للمفرد والمذكر.

﴿بَخِلَ﴾: أمسك ماله ولم يؤدّ حق الله فيه ولم يتصدّق، وبخل أن ينفق في سبيل الله.

﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾: بالغ في طلب الغنىٰ بماله وولده ومتاعه ولم يرغب في أن يسأل ربه من فضله أو يطلب ثواب ربه؛ أي: آثر الحياة الدّنيا علىٰ الآخرة.

[٩] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾:

﴿وَكَذَّبَ﴾: لم يصدّق ويؤمن بالحسنىٰ بالجنة وبدار الآخرة.

﴿بِالْحُسْنَىٰ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥) السّابقة لمعرفة معنىٰ الحسنىٰ.

[١٠] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾:

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧) السّابقة.

﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾: اللام لام التّوكيد، العسرىٰ: النّار، أو نجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السّماء، نجعل معيشته ضنكاً شديدة وصعبة.

[١١] ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: النّافية.

﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾: أي لا ينفعه ماله الذي بخل به واستغنىٰ حفاظاً عليه.

﴿إِذَا﴾: ظرفية.

﴿تَرَدَّىٰٓ﴾: أُلقي به في نار جهنم أو سقط في عذاب النّار، والتّردّي: هو السّقوط من أعلىٰ إلىٰ أسفل المؤدي إلىٰ الهلاك.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾:

﴿إِنَّ﴾: إنّ واللام في «للهدىٰ» للتوكيد.

﴿عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: أي علينا بيان طريق الهدىٰ من طريق الضّلال والحلال من الحرام، والحق من الباطل والخير من الشّر؛ أي: نبيّن له معالم دينه.

[١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَنَا﴾: اللام لام الاختصاص: لنا وحدنا.

﴿لَلْآخِرَةَ﴾: اللام للتوكيد، أكّد على الآخرة وقدمها على الأولى، ولم يؤكّد على الأولى الفانية الزّائلة؛ لأن الآخرة هي الأهم وأنّها الأدوم.

﴿وَٱلْأُولَىٰ﴾: الدّنيا؛ أي: لنا ملك ما في الدّنيا والآخرة؛ أي: ليعلم الإنسان أنّ علينا أن نبين له طريق الهدى وأنّ لنا ملك الدّنيا والآخرة؛ أي: الحكم.

[١٤] ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾:

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾: الفاء عاطفة، أنذرتكم: من الإنذار وهو الإعلام مع التّحذير والتّخويف، والإنذار صادر من الله ذاته يدل على عظم هذا الإنذار، والخطاب للجميع.

﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: أصلها تتلظّى؛ أي: تلتهب، أو ملتهبة، واللظى هو اللهب، ونكّر النّار؛ للتهويل والتّرويع.

❖ ❖ ❖

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

نصف الحزب ٦٠

سورة الليل [الآيات ١٥ - ٢١]

[١٥] ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾:

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَصْلَىٰهَآ﴾: لا يدخلها ولا يُحرق بها إلا الأشقىٰ، من: صليت اللحم؛ أي: شويته، والتّصلية أشد أنواع الإحراق بالنّار.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، كأنّ النّار لم تخلق إلا فقط للأشقىٰ.

﴿ٱلْأَشْقَى﴾: ارجع إلىٰ سورة الشمس الآية (١٢) لبيان معنىٰ الشقاوة والأشقىٰ الشقي علىٰ وزن أفعل للمبالغة في الشقاء؛ أي: الكافر أو المشرك والمصرّ علىٰ المعاصي بلا توبة، والأشقىٰ هو: الذي كذب وتولىٰ.

[١٦] ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: كذّب بآيات ربه ورسله وكتبه واليوم الآخر، تولّىٰ: ابتعد وأعرض عن الإيمان واتّباع ما أنزل الله تعالىٰ من الشّرائع والأحكام.

[١٧] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾:

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: الواو عاطفة، والسّين للاستقبال القريب، يجنّبها: الهاء تعود إلىٰ النّار التي تلظّىٰ؛ أي: يبتعد عنها ولا يقربها.

﴿ٱلْأَتْقَى﴾: الذي يطيع أوامر ربه ويجتنب نواهيه؛ أي: المؤمن الفائز الذي

لا يدخل النّار، وهناك المؤمن أو التّقي الذي يعصي ربه، الفاسق أو العاصي الذي يعذّب في النّار على قدر عمله السيئ وهو يعتبر شقياً مقارنة بالكافر أو المشرك المدمن على المعصية.

والمؤمن قد يرتقي بإيمانه لدرجة التقي أو الأتقى حسب عمله.

[١٨] ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾: أي ينفق ماله في سبيل الله، ويتزكى من الزكاة، يتزكى: يتطهر بماله من الذّنوب والآثام، ويتطهّر به من الشّحّ والبخل، ويتزكى: يطلب من الله أن يكون زاكياً ليس فيه رياء ولا سمعة ولا منّة، وقيل: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب، يؤتي: من الإيتاء: ولم يقل يعطي من العطاء، الإيتاء أعم وأشمل من العطاء.

[١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾: الواو استئنافية، ما: النّافية، لأحد: اللام للتوكيد.

﴿لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾: أي ينفق ماله ابتغاء وجه الله ومرضاته، ولا ينفق ماله على أحدٍ من الخلق؛ لأنه أسدى إليه معروفاً أو قدّم له فضلاً أو عوناً أو يكافئه على أمر ما، من: استغراقية تعني أيَّ نعمة: والنعمة؛ أي: جلب له مسرّة أو دفع عنه مضرّة، نعمة تجزى: يُكافأ عليها.

[٢٠] ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، منقطع بمعنى: لكن، والمنقطع: وتعني حصراً.

﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: إلا طلباً لثواب الله لا لمكافأة على نعمة أسداها إليه أحد ما.

[٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾:

﴿وَلَسَوْفَ﴾: الواو استئنافية واللام للتوكيد، سوف: أداة للاستقبال في المستقبل مع التّراخي في الزمن؛ أي: في الآخرة.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: بثواب الله له وفضله وكرمه، ويرضى: الضمير فيها يعود على الأتقى.

❖ ❖ ❖

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

نصف الحزب ٦٠

سورة الضحى [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٩٣) وترتيبها في النّزول (١١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَىٰ﴾:

الواو واو القسم، والله غني عن القسم.

ويقسم الله ليبيّن أهمية المقسم به وجواب القسم، والضحىٰ: هو أول النهار يبدأ لحظة بزوغ الشمس أو ظهور أشعة الشمس أو بداية النهار، ومنهم من يقول: الضحىٰ كل النهار؛ ففي الآية (١) في سورة الليل أقسم الله بالليل، وفي هذه الآية يقسم بالضحىٰ؛ أي: النهار لدلالة علىٰ كروية الأرض ودورانها وأهمية الليل والنهار.

[٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾:

ويقسم الله بالليل أيضاً للدلالة علىٰ أهمية الليل.

﴿إِذَا﴾: ظرفية تفيد حتمية الحدث.

﴿سَجَىٰ﴾: أظلم أو سكن، أو حين يغمر نصف الكرة الأرضية الغير مقابلة للشمس بظلامه وما يصاحبه من سكون وهدوء، والقسم بالضحىٰ وبالليل إشارة إلىٰ دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، حتىٰ يتبادل علىٰ سطحها الليل والنهار (الضحىٰ) وتبادل الليل والنهار ظاهرة لازمة لاستقامة الحياة علىٰ

الأرض؛ لأن غالبية الأحياء لا تستطيع العيش بوضح النهار باستمرار ولا بظلمة الليل باستمرار.

[٣] ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾:

هذا هو جواب القسم.

سبب النّزول: كما روىٰ البخاري قيل: لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ عندها قالت امرأة من قريش (قيل هـي: أم جميل امرأة أبي لهب) للنبي ﷺ: ما أرىٰ شيطانك إلا ودّعك.

وفي حديث عن جندب قال: أبطأ جبريل علىٰ النبي ﷺ فقال المشركون: إنّ محمّداً ودّعه ربه وقَلاه، فنزلت هذه الآية.

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: مـا النّافية، ودّعك ربك: ما تخلّىٰ عنـك ربك، ودّعك من: التّوديع ويكون بين المتحابين.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: تكـرار (ما) لتوكيد النّفي، وفصل كلاً علىٰ حدة؛ أي: ما ودّعك وما قلىٰ، والقلي: البغض الشديد مع النفور.

ودّعك: بصيغة المخاطب، وقلىٰ: بصيغة الغائب.

ولم يقل قلاك؛ إكراماً لرسول الله ﷺ.

[٤] ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾:

﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾: اللام للتوكيد، الآخرة: الدّار الآخرة.

﴿خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾: أي ما أعدّ الله تعالىٰ لك في الدار الآخرة؛ أي: الجنة خير لك مما آتاك الله في الدّنيا، لك: المخاطب هو رسول الله ﷺ وحده، اللام لام الاختصاص.

[٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾:

﴿وَلَسَوْفَ﴾: اللام لام التّوكيد، سوف: أداة الاستقبال البعيد؛ أي: في الآخرة.

﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾: العطاء فيه معنىٰ التّملّك بعكس الإيتاء، يعطيك كل ما تطلبه وتتمنّاه في الآخرة مثل: الكوثر والشّفاعة والحوض والكرامة والجنة والمقام المحمود وغيرها. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٢٥١) لمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء.

﴿فَتَرْضَىٰ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، ترضىٰ: من الرّضا: القبول المؤدي إلىٰ اطمئنان القلب أو النّفس واستقرارها، ولم يقل لترضىٰ؛ لأن رضىٰ الرسول ﷺ دائم عن ربه ومستمر سواء تحقق ما يطلبه أو لم يتحقق.

[٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري.

﴿يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾: حين مات أبوه وهو جنين في بطن أمه، وماتت أمه وهو ابن (٦) سنوات، ثمّ كفله جده عبد المطلب حتىٰ بلغ (٨) سنين، ثم كفله عمه أبو طالب، واليتيم: هو الذي فقد أباه قبل سن البلوغ.

﴿فَآوَىٰ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، جعل لك مأوىٰ تأوي إليه حيث ضمّك إلىٰ جدك ثم عمك، والذي تكفل له ذلك هو الله سبحانه، فرعايته سبحانه هي أهم من رعاية الأهل والأقارب.

[٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾:

﴿ضَالًّا﴾: الضلال هنا يعني ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورىٰ:٥٢]؛ أي: هو الحيرة في وسط بيئة مشركة، ولا يعني ضلال العقيدة كالكفر والشّرك بالله تعالىٰ.

﴿فَهَدَىٰ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ هداك الله إلى الإيمان والكتاب واختارك للنبوة وأنزل عليك الكتاب للناس بالحق، وهداك إلى الإسلام والحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام.

[٨] ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾:

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾: ذا عيال، ولم يقل فقيراً.

﴿فَأَغْنَىٰ﴾: بما يسّر لك وفتح عليك من أبواب الرّزق مثل التّجارة في مال خديجة، وبالغنائم والفيء وبما يسّر لك من المال، ثم أوصاه بثلاث وصايا وهي في الحقيقة وصايا للمسلمين كافة وهي:

[٩] ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾:

ودعا نبيه إلى الإحسان إلى اليتيم والسائل فقال تعالى:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر تقديره: بما أن الله آواك وهداك وأغناك فلا تقهر اليتيم، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿ٱلْيَتِيمَ﴾: الذي مات أبوه قبل سن البلوغ.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا: النّاهية، الخطاب موجّهٌ إلى رسول الله ﷺ وبالتّالي إلى أفراد أمته.

﴿تَقْهَرْ﴾: ادفع إليه حقه كاملاً ولا تأكل ماله إلى مالك ولا تقهره، بأخذ ماله أو حقه لضعفه، أو تأكل ماله إسرافاً وبداراً، وأكّد رسول الله ﷺ على هذه الآية فوصّى فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى. رواه البخاري وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[١٠] ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو عاطفة، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿ٱلسَّآئِلَ﴾: لها احتمالان الأول: أي الفقير أو المحتاج (ذو الحاجة) فلا بدّ أن تعطيه ولا ترده صفر اليدين، وإذا لم تستطع، قل له قولاً معروفاً. الثّاني: السائل عن علم ينتفع به أو السّائل عن أمور دينه، فأجِبه وعلّمه برضىٰ وبدون جفاء وليتّسع صدرك له، وقد تشمل السائل عن الماعون أيضاً.

[١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو عاطفة، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: بنعمة ربك؛ أي: النّبوة ونعمة الإيمان والقرآن ونعمة الإسلام ونعمة العلم والغنىٰ والصّحة والأهل وغيرها.

﴿فَحَدِّثْ﴾: فاشكر أو حدّث عنها ولا تخفيها، وحدّث تعني: تكرار الحديث؛ أي: فحدّث مرات عديدة.

وما يلفت النّظر في هذه السّورة ترتيب أو تقابل آياتها أمثلة: الآية (٦) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ يقابلها الآية (٩) ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

الآية (٨) ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ يقابلها الآية (١١) ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

الآية (٦) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ تقابل الآية (٣) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

الآية (١٠) ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ تقابل الآية (٥) ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

ترتيب آخر حسب مراحل الحياة طفلاً يتيماً فآوىٰ، شاباً ضالاً فهدىٰ، كهلاً عائلاً فأغنىٰ.

❖ ❖ ❖

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

نصف الحزب ٦٠

سورة الشّرح [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٩٤)، ترتيبها في النّزول (١٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾:

يتابع الله سبحانه وتعالىٰ في تعداد النّعم التي أنعمها علىٰ رسوله ﷺ والتي بدأها في سورة الضّحىٰ ويقول تعالىٰ:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير.

﴿نَشْرَحْ﴾: من الشّرح: وهو التّوسعة، شرح الشّيء وسعه.

﴿لَكَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿صَدْرَكَ﴾: يعني قلبك، فالقلب هو مركز العواطف والمشاعر والإحساس والإيمان، والكفر والحب والكره، فخلايا القلب خلايا مميزة جداً تشبه خلايا الدماغ من حيث الوظيفة والبنية في بعض الأمور.

وشرح الصّدر أو سعة الصّدر كناية عن الحلم والصّبر والرّضىٰ والسّعادة والسّرور، والقبول بكل ما أنزل الله تعالىٰ وأمر وبكل موعظة، والسّماح والعفو عند الحاجة وعدم الشّعور بالضّيق والحرج.

أي شرحنا لك صدرك: جعلناه رحيباً فسيحاً سمحاً سهلاً ليتسع للوحي والقرآن وأعباء النبوة، وما ستلقاه من قومك من التّكذيب والإعراض والعسر، ونوّرناه بنور الإيمان والهدىٰ والحكمة والفضيلة والمحبة والسّكينة.

[٢] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾:

أي: لم نكلّفك ما لا تطيقه من التّكاليف الشّرعية وأعباء الرّسالة، حططنا عنك وزرك، الوزر: الحمل الثّقيل.

شبّه أعباء الرسالة والتبليغ بالحمل الثقيل الذي يرهق حامله أو يكاد يسقط من ثقل حمله. ارجع إلى سورة النحل آية (٢٥) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾:

الذي: اسم موصول يستعمل للعاقل وغير العاقل أحياناً.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: تعود على «وزرك»؛ أي: الحمل الثّقيل النّاتج عن التّبليغ وأعباء النّبوة والرّسالة وحرصه على إسلام سادة قريش وقادتها.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾: أثقل ظهرك حتى أصبح يسمع له نقيض؛ أي: صرير كالذي يصدر من ثقل الحمل على ظهر البعير.

كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦].

[٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾:

في الدّنيا والآخرة، فالله وملائكته يصلون عليك، ووصّينا الذين آمنوا بالصّلاة والتّسليم عليك وطاعتك وبالنبوة وذكرك في الشهادة: لا إله إلا الله محمّد رسول الله.

وفي الأذان والإقامة.

والشّفاعة العظمى.

جعلنا ذكرك واسمك على كل لسان.

[٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء للتوكيد، إن: لزيادة التّوكيد.

﴿مَعَ الْعُسْرِ﴾: الضّيق والشّـدة أو ما تقاسي من قومك من الإعراض والعناد والشّدائد.

﴿يُسْرًا﴾: فرج ويُسر؛ أي: انكشـاف وزوال للضر والعسر مهما طال، فكل عسر يردفه يسرٌ لا محالة.

[٦] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾:

توكيد للآية السّـابقة فكل عسر متبوع ليس بيسـر واحد وإنما بيسرين قد يكونان في الدّنيا وقد يكون يسر في الدّنيا ويسر في الآخرة. وتنكير اليسر للتفخيم والتّعظيم؛ أي: إنّ مع العسر يسراً عظيماً، فلا يغلب عسرٌ يُسرين.

[٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾:

إذا ظرفية شرطية، جواب الشرط: فانصب.

﴿فَرَغْتَ﴾: من المسـؤوليات الدنيوية «فانصب»؛ أي: ما استطعتم، وتعني الدأب على العبادة والعمل الصالـح والذكر وقيام الليل، والنَّصب يعني: التعب وجهاد النفس.

[٨] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾:

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾: لها معان عدة:

أي: اجعل جميع أعمالك خالصة لوجه الله تعالى.

واجتهد في العبادات والتقرب إلى الله والدوام على ذلك.

والتضرع إلى الله والدعاء والتسبيح والذكر.

وارغب بما عنده من الثواب والفضل وجنات النعيم.

❖ ❖ ❖

سورة التين

ترتيبها ٩٥ آياتها ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سورة العلق

ترتيبها ٩٦ آياتها ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سجدة

سورة التين [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٩٥)، ترتيبها في النزول (٢٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾:

و: الواو للقسم، ولا يقسم الله سبحانه إلا بشيء عظيم؛ لأنه سبحانه غني عن القسم، وفيه إشارة إلىٰ أهمية المقسم به وجواب القسم. وأقسم الله سبحانه بثلاث:

١ - التين والزيتون، أو إشارة إلىٰ الأرض المقدسة مكان مبعث عيسىٰ عليه السلام.

٢ - طور سينين: جبل الطور وما حوله إشارة إلىٰ مكان مبعث موسىٰ عليه السلام.

٣ - والبلد الأمين: مكة المكرمة مكان مبعث رسول الله ﷺ؛ أي: أقسم الله بشرف هؤلاء الأنبياء، أو بشرف هذه البقاع المقدسة علىٰ الأرض أو بأهمية التين والزيتون نفسه (شجرة الزيتون) وطور سينين والبلد الأمين والمعنىٰ يحتمل الكل، والله أعلم.

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: وقيل: شجرة التّين والزّيتون؛ لما فيهما من فوائد غذائية جمّة، وفوائد طبيّة منها: الحماية من البكتيريا والأمراض السرطانية، وزيت الزيتون يخفض كلسترول الدم، ويخفف الإصابة بأمراض تصلّب الشرايين وارتفاع الضغط، وغني بالفيتامين؛ أي: ويفيد في علاج التهاب المفاصل وضعف الذاكرة وغيرها.

وقيل: التّين والزّيتون: كناية عن الأرض المباركة، أو البقاع المباركة ومنها فلسطين وبلاد الشام أرض الأنبياء، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١]، التي سكنها إبراهيم عليه السلام وموسىٰ وعيسىٰ ونوح ومحمد ﷺ في البلد الأمين.

[٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾:

قيل: هو نفسه طور سيناء، ويسمىٰ جبل المنجاة، وهو الجبل المبارك الذي كلم الله تعالىٰ عنده موسىٰ عليه السلام وهو غير معروف تماماً ويظن أنه يقع في الثّلث الجنوبي من جزيرة سيناء كما تشير الدراسات العلمية.

[٣] ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾:

﴿وَهَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب.

﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: مكة المكرمة، التي فيها البيت الحرام أول بيت وضع للناس. الأمين: علىٰ وزن فعيل للمبالغة بمعنىٰ الأمن، ولم يقل البلد الأمن؛ لأن أمين تتضمن معنىٰ الأمن والمأمون والأمين معاً، والأمين فيها معنىٰ الأمن والأمانة؛ فهو أفضل مكان لأداء الأمانة الصلاة، والحج وغيرها من العبادات، وهي مكان مولد الرسول ﷺ وأفضل بقاع الأرض علىٰ الإطلاق، وموطن رسالة الإسلام، ومكة هي أول ما ظهر من اليابسة علىٰ الإطلاق كجزيرة بركانية علىٰ ظهر الماء، ثمّ مُدّت الأرض من حولها حتىٰ شكّلت القارة الأم التي تشقّقت بشبكة من الصدوع إلىٰ القارات الحالية، وبقيت مكة المكرمة وسط اليابسة حتىٰ اليوم.

الأمين: الذي حرّمه الله تعالىٰ منذ خلق السموات والأرض، ولهذا البلد الأمين أسماء أخرىٰ منها: أم القرىٰ، ومكة، وبكة... وغيرها، من الأسماء.

والأمين: لقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص:٥٧]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧].

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾:

قيل: هذا هو جواب القسم.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: خلقنا: الخلق هو الإيجاد والتّقدير. الإنسان: اسم جنس مشتق من الأُنس؛ أي: الألفة والمحبة ضد النفور، ومشتقة من الظهور عدم الاختفاء (كالجن)؛ أي: على أحسن صورة منتصب القامة جميل الخلقة (أجمل الخلق) متناسب الأعضاء؛ أي: الأطراف والأيدي أو الصدر والرأس، ومنها: العقل والحكمة والقدرة والتدبير، وهذه من صور التكريم، وأسند الخلق إليه سبحانه وحده وبصيغة التّعظيم.

﴿فِىٓ﴾: ظرفية.

﴿أَحْسَنِ﴾: على وزن أفعل للتفضيل.

﴿تَقْوِيمٍ﴾: أحسن صورة.

[٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: قيل المخاطب في هذه الآية الكافر والمنافق والمشرك والمجرم؛ أي بعد أن كان في أحسن تقويم، رددناه، والرّد يعني: الرّجوع قسراً بدون إرادته ورغماً عنه، وإلى حالة غير حالته التي كان عليها سابقاً خلقاً

وتركيباً إلى أسفل سافلين؛ أي: إلى أرذل العمر الذي يتمثل بضعف الذاكرة، أو فقدها، وعدم القدرة على الحركة والعجز والحاجة إلى مساعدة الآخرين.

ومن المفسرين من فسّر «أسفل سافلين»؛ أي: في الدّرك الأسفل من النّار ويقصد بها المنافق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥]، والكافر والمشرك الذي جحد كلَّ نعم الله وعبودية الله تعالى بعد أن أخذ عليه العهد منذ أن كان في صلب آدم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف:١٧٢] لأنّه لم يشكر الله تعالى على نعمه وعلى خلقه، ولم يتّق الله تعالى وإنما انشغل بالباطل والكذب والنّفاق وأرذل الأخلاق، فردّه الله تعالى إلى أسفل السّافلين في الجزاء.

[٦] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾:

لها معانٍ عدّة منها:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء متصل، ومنهم من قال: منقطع بمعنى لكن:

١ - أي: لكن الذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم أجر غير ممنون.

٢ - إلا الذين آمنوا مستثنى من السّافلين الذين ردّوا إلى أسفل العمر؛ لأنّ المتّقي قليلاً ما يردّ إلى أرذل العمر، وإنما يحفظه الله سبحانه لتقواه وحفظه للقرآن.

٣ - إلا الذين آمنوا مستثنى من أسفل السّافلين (الذين في الدّرك الأسفل من النّار).

أو لكن الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الصّالحات الفرائض والنّوافل.

﴿فَلَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أجر غير مقطوع، ثواب دائم غير منقطع؛ أي: يعطيهم من الأجر والثواب في كبرهم كما كان يعطيهم من الأجر والثواب زمن شبابهم، أو ثوابهم في الجنة دائم غير منقطع.

[٧] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء استئنافية، ما: استفهام إنكاري.

﴿يُكَذِّبُكَ﴾: أيها الإنسان.

﴿بِالدِّينِ﴾: بالجزاء والحساب أو بالإسلام؛ فكلمة الدين لها معنيان: الشريعة والملة (دين الإسلام)، ومعنى الجزاء والحساب، فما الذي جعلك تكذب بصحة دين الله تعالى وبالحساب والجزاء.

الانتقال من الغيبة «إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم أجر غير ممنون» إلى صيغة الخطاب «فما يكذبك»؛ ليدل على تشديد التّوبيخ والتّقريع.

[٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾:

﴿أَلَيْسَ﴾: استفهام تقريري، ولم يجعله أسلوباً إخبارياً بالقول إنّ الله أحكم الحاكمين؛ ليشرك المخاطب في إصدار الحكم، وجواب أليس: بلى هو أحكم الحاكمين.

﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: الباء للإلصاق والتّوكيد، أحكم: مشتقة من الحكم أي القضاء فهو أقضى القضاة؛ أي: أعدلهم وأقسطهم، وأحكم: مشتقة من الحكمة، فهو أحكم الحكماء وأحكم القضاة، ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ التِّينِ

ترتيبها ٩٥ آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَلَقِ

ترتيبها ٩٦ آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سجدة

سورة العلق [الآيات ١ - ١٩]

وتسمى سورة اقرأ.

ترتيبها في القرآن (٩٦) وترتيبها في النّزول (١) الأولى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾:

أسباب النّزول: أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم المقري، قال: أخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني، قال: أخبرنا أحمد بن محمّد بن الحسن الحافظ، قال: حدثني محمّد بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرّزاق، عن معمر، عن ابن شهاب الزّهري، قال: أخبرني عروة، عن عائشة أنّها قالت: «أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرّؤيا الصّادقة في النّوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصّبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يأتي حِراء فيتحنَّث فيه، وهو التّعبّد، الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتّى جاءه الحقُّ وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثّانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثّالثة حتى بلغ مني الجهد فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة، فقال: زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الرّوع، فقال: يا خديجة، مالي؟ وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت عليّ، فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا

يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرّحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتقري الضّيف، وتعين على نوائب الحق» رواه البخاري، عن يحيى بن بكير، ورواه مسلم، عن محمّد ابن رافع.

[١] ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾:

أي قل: بسم الله الرّحمن الرّحيم، أو ابتدئ قراءة القرآن أو ما يوحى إليك باسم ربك؛ أي: مستعيناً به.

﴿ٱلَّذِى﴾: يفيد التّعظيم والكمال.

﴿خَلَقَ﴾: الخلق هو التّقدير، والخلق من الله تعالى: الإيجاد من العدم، الذي بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.

[٢] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾:

يمكن أن نقسم مراحل تكوين الجنين إلى مرحلتين هما:

أولاً: (مرحلة الخلق الأولى) وتسمى بمرحلة المضغة، وتبدأ بالأسبوع الأول وتنتهي بنهاية الأسبوع الثّامن وتضم:

مرحلة النّطفة.

مرحلة العلقة.

مرحلة المضغة.

مرحلة تشكل العظام.

مرحلة كسو العظام باللحم (العضلات).

ثانياً: مرحلة الجنين وتبدأ ببداية الأسبوع التّاسع حتى نهاية الحمل وتسمى بمرحلة الجنين، لندرس الآن كل مرحلة من هذه المراحل وما يحدث فيها من

تغيرات وتشكلات في جسم الجنين، وننظر إلى الزّمن بشكل خاص، ونبدأ هذه الدّراسة بذكر ما جاء في القرآن الكريم في سورة المؤمنون آيات (١٢-١٤) يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾.

مرحلة المضغة وتضم:

أ ـ مرحلة النّطفة: ما إن تبدأ عملية الإخصاب بالتقاء ماء الرجل بماء المرأة يخترق إحدى هذه الحيوانات المنوية التي تقدر بالملايين البيوضة فقط ولا يسمح لغيره بالدّخول، عندها تبدأ المرحلة المسماة بمرحلة النّطفة وتبدأ بالانقسامات الخلوية إلى اثنين ثم أربع ثم ثمان ثم (١٦ خلية) وهكذا، وإذا دخلت يومها الخامس أصبح عدد هذه الخلايا ما بين (١٠٠-١٥٠ خلية) وعندها تشكل ما يسمى البلاستوست.

يمكن تعريف البلاستوست بأنها: المرحلة الأولية من تطور المضغة عندما تكون بشكل كروي مركبة من طبقتين من الخلايا: الطبقة الأولى وتسمى كتلة الخلايا الدّاخلية والتي تنمو وتتطور لتشكل الجنين، وأما الطّبقة المحيطية أو الخارجية التي تشبه حلقة الخاتم فهي تشكل المشيمة.

وفي اليوم السّادس تشق النّطفة طريقها إلى سطح بطانة الرّحم؛ كي تنغرس فيه.

وفي اليوم السّابع يبدأ تشكل المشيمة من خلايا الطّبقة الخارجية للبلاستوست.

وفي اليوم الثّالث عشر يبدأ تشكل الدّم والأوعية الدّموية.

وفي اليوم الرّابع عشر (أي أسبوعين) تكتمل بذلك مرحلة النّطفة.

إذن مرحلة تشكل النّطفة تستغرق أسبوعين من بداية التّلقيح.

ب ـ مرحلة العلقة: يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون:١٤]، وتستغرق هذه المرحلة من اليوم (١٤) حتىٰ اليوم (٢٤-٢٥) من التّلقيح، وسميت بهذا الاسم لكونها تعلق بجدار الرّحم وتشبه قطعة من الدم الجامد، والله سبحانه ذكر هذه المرحلة فقط من بين المراحل الأخرىٰ لأهميتها. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون الآيات (١٢-١٤)، وسورة الحج الآية (٥) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾:

﴿اقْرَأْ﴾: كررها للتأكيد؛ أي: اقرأ ما يوحىٰ إليك من الآيات

﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: علىٰ وزن أفعل التّفضيل؛ للمبالغة في الكرم؛ أي: هو أكرم الأكرمين، كثير الكرم يزيد كرمه علىٰ أيّ كرم، وقوله: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾: يدل علىٰ كمال كرمه أنّه علّم عباده العلوم والكتابة بالقلم وعلّمهم ما لم يعلموا، وذلك يعدّ من أعظم الكرم بعد كرم الهدىٰ والإيمان والإسلام، فلولا كرم العلم لما قرأنا القرآن واستقامت أمور حياتنا.

[٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾:

﴿الَّذِي﴾: تفيد التّعظيم، علّم الإنسان بالقلم: الباء للإلصاق.

﴿بِالْقَلَمِ﴾: ارجع إلىٰ سورة القلم (ن) آية (١) للبيان.

[٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾:

من علوم الدّين، علوم القرآن والحديث والفقه والسّيرة والتّخريج وعلم الأصول والمواريث والاقتصاد، وعلوم الدّنيا ومنها علوم الذّرة والتكنولوجيا والصّناعة والفضاء والطّب والزّراعة والنّبات والحيوان.

[٦] ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾:

﴿كَلَّآ﴾: تعني حقاً، و«كلا» تعني كلمة ردع وزجر، أو تفيد التّنبيه؛ أي: حقاً إنّ الإنسان ليطغىٰ، أو: «كلا» ردع وزجر لمن استغنىٰ بماله وطغىٰ ونسي نعمة الخلق ونعمة العلم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَيَطْغَىٰٓ﴾: اللام في ليطغىٰ: تفيد التوكيد؛ أي: يتجاوز الحد في الكفر والطّغيان بنِعم ربه لجهله وضلاله إذا رأىٰ نفسه غنياً طغىٰ وبغىٰ أو ذو قوة أو جاه ومنصب.

[٧] ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾:

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿رَّءَاهُ﴾: أي: رأىٰ الإنسان نفسه قوياً، أو رأىٰ ماله قد كثر، رؤية قلبية وبصرية.

﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾: استكبر علىٰ ربه وكفر به واستغنىٰ عن عبادته، واستغنىٰ بغيره من البشر. ومن المفسرين من قال: إنّ هذه الآية نزلت في أبي جهل وأمثاله، والمهم عموم اللفظ وليس خصوص السّبب.

[٨] ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَىٰ﴾: حصراً وقصراً.

﴿رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾: أي نسي الإنسان الذي طغىٰ واستغنىٰ، أنّ إلىٰ ربه الرّجعىٰ؛ أي: العودة والمصير للحساب والجزاء. والانتقال من صيغة الغيبة إلىٰ صيغة المخاطب يحمل في طياته التحذير والتّهديد.

[٩] ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾:

﴿أَرَءَيْتَ﴾: الهمزة همزة استفهام وإنكار وتعجب من حال هذا الذي ينهىٰ.

أرأيت: رؤية قلبية فكرية؛ أي: أخبرني بعلم بحال هذا الذي ينهىٰ.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿يَنْهَىٰ﴾: قيل نزلت هذه الآية في أبي جهل الذي نهىٰ رسول الله ﷺ أي: منع رسول الله ﷺ من الصّلاة، كما روىٰ مسلم والإمام أحمد والنسائي وغيره عن أبي هريرة.

«ينهىٰ» جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تكرار النّهي وتجدده واستمراره علىٰ فعل النّهي أو حكاية الحال؛ لتدل علىٰ عظم وبشاعة هذا الفعل كأنه يحدث أمامك الآن، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب؛ فهي لكل من ينهىٰ غيره ويمنعه عن طاعة الله وامتثال أوامره.

وجواب الاستفهام: ألم يعلم بأنّ الله يرىٰ: نهيه ومحاربته لله تعالىٰ ورسوله والصّد عن سبيل الله تعالىٰ.

[١٠] ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾:

﴿عَبْدًا﴾: العبد هو رسول الله ﷺ أو أيّ إنسان آخر، وجاءت بصيغة التنكير للتهويل والتعظيم ولتشمل أيّ إنسان.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿صَلَّىٰٓ﴾: صلىٰ في المسجد الحرام أو غيره من الأماكن.

[١١] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾:

﴿أَرَءَيْتَ﴾: التّكرار يفيد التّوكيد، ارجع إلىٰ الآية (٩).

﴿إِن﴾: شرطية، جواب الشّرط تقديره: ألم يعلم بأن الله يرىٰ.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة الماضي والمضارع والمستقبل.

﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾: علىٰ تفيد الاستعلاء؛ أي: مستقراً علىٰ طريق الهدىٰ والعلم بالحق؛ أي: الصراط المستقيم (الدين).

[١٢] ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾:

﴿أَوْ﴾: للاختيار، أو تعني: وأمر غيره بالتّقوىٰ؛ أي: دعاه إلىٰ الإسلام وامتثال أوامر ربه وتجنب نواهيه.

[١٣] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾:

﴿أَرَءَيْتَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٩).

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كَذَّبَ﴾: بالرّسول ﷺ أو كذّب بآيات ربه وبالقرآن وبالحق.

﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: ابتعد وأعرض عن الإيمان والتّصديق بمحمّد وبالقرآن.

[١٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّعجب.

﴿يَعْلَم بِأَنَّ﴾: الباء للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾: يرىٰ ما يقوم به من النّهي والمنع والصّد عن سبيل الله، يرىٰ ظلمه وفساده وطغيانه، وفي هذا تهديد ووعيد له يوم القيامة.

[١٥] ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، أو: حقاً لأبي جهل وغيره من الطّغاة الذين يصدون عن سبيل الله تعالىٰ لئن لم ينته عن ذلك.

﴿لَئِن﴾: اللام لام التّوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾: عما يفعل من معاداة الرّسول ﷺ والذين آمنوا ويتوقف عن الصّد عن سبيل الله.

﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: اللام لام التّوكيد، نسفعن: السّفع هو القبض على الشّيء بشدة أو الجذب بشدة، وقيل: السّفع الحرق، أو الاحتراق؛ أي: أحرقنا ناصيته. ناصيته: مقدم شعر الرأس؛ أي: مقدم الرأس مقدّم جبهته؛ وتعني مقدّم الدّماغ الذي يسمى الفصّ الجبهي المسؤول عن السّمع والأكل والتّكلم وغيرها من الوظائف الحساسة، والأخذ بالناصية يعني: الإذلال والإهانة قبل تعذيبه، ويعني: عدم القدرة على الهرب أو النجاة من عذابنا.

﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: الباء: للإلصاق والملازمة، والسّفع كما قلنا لنحرقن ناصيته (مقدمة دماغه)، وهو كناية عن القهر والإهانة.

[١٦] ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾:

﴿نَاصِيَةٍ﴾: أي هذا الرأس أو الدماغ المستكبر الكاذب والخاطئ سنحرقه في جهنم.

﴿كَٰذِبَةٍ﴾: في أقوالها؛ أي: صاحبها كاذب.

﴿خَاطِئَةٍ﴾: في أفعالها، الخاطئ: الذي يرتكب الذّنب والإثم عمداً؛ أي: بقصد ونية ويعلم عقوبته، أسند الكذب والخطأ إلى النّاصية مجازاً؛ أي: صاحبها لأنّه السّبب.

[١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾:

﴿فَلْيَدْعُ﴾: الفاء للتوكيد، واللام لزيادة التوكيد.

﴿نَادِيَهُۥ﴾: مشتقة من نادي: وهو المجلس الذي يجلس فيه القوم للحديث،

ويعني: ليدع أبو جهل أو غيره من الطّغاة والذين يصدون عن سبيل الله ليدعُ أهله وعشيرته وأصحابه لإعانته ودفع العذاب عنه يوم القيامة.

[١٨] ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾:

﴿سَنَدْعُ﴾: السين للاستقبال القريب؛ أي: عن قريب سندعو له الزّبانية؛ أي: خزنة جهنم.

﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: الملائكة الغلاظ الشّداد ليأخذوا بمقدّم رأسه (ناصيته)، ويلقوه في السّعير، والزبانية تعني: الشرطة بلغة العصر الحاضر، أو القائمون على تدبير السجون.

[١٩] ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر ومنع.

﴿لَا تُطِعْهُ﴾: لا النّاهية، تطعه؛ أي: لا تطع يا محمد ﷺ هذا الطّاغية (أبا جهل) أو غيره أو تسمع إليه.

﴿وَٱسْجُدْ﴾: وصلِّ لله تعالى ولا تخف أو تأبه بهذا الضّالّ عن سبيل الله.

﴿وَٱقْتَرِب﴾: إلى الله سبحانه بالعبادة وكثرة السّجود.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الْقَدْرِ

ترتيبها ٩٧ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

ترتيبها ٩٨ آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

سورة القدر [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٩٧) وترتيبها في النّزول (٢٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: ضمير التعظيم للمنزِل وهو الله.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: تعني جملة واحدة دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ السماء الدنيا، والهاء تعود إلىٰ القرآن العظيم المنزَل.

﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: والليلة عند الله وملائكته تبدأ من صلاة العصر إلىٰ صلاة الفجر، والليلة في اللغة من غروب الشمس إلىٰ طلوع الفجر؛ أي: ابتدأ إنزاله فيها علىٰ نبيه محمّد ﷺ وفي شهر رمضان كما قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥].

وفي ليلة مباركة كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٣-٤].

أي: أنزل القرآن في ساعة أو جزء من الليلة، ولا يعني طوال الليلة وإنما ساعة مخفية لا نعرف في أولها أو آخرها.

١ - أنزلناه؛ أي: القرآن: أضمر ذكر كلمة القرآن؛ لأنّه غني عن التّصريح والتّعريف.

٢ - وقد عظّم القرآن العظيم بإسناد إنزاله إليه سبحانه.

٣ - وعظّم الليلة التي أنزل فيها بالقول ليلة القدر.

والقدر: القدر مصدر مشتق من قدر يقدر قدراً، والقدر يعني: التقدير.

وقدر: قد يعني من ضيق يضيق كقوله تعالىٰ: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، وتعني ليلة تضيق بالملائكة لكثرة الذين ينزلون إلىٰ الأرض. وقد يعني القدر: المكانة، فلان ذو قدر؛ أي: مكانة عظيمة كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر:٦٧].

والقدر: يطلق علىٰ التقدير الذي هو: فعل الله تعالىٰ سبحانه وقدر الله؛ أي: مقدوره، والإرادة: هي وقوع المراد، ومنها: الإرادة الشرعية، والإرادة الكونية؛ ففي هذه الليلة المباركة كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤].

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: ما استفهامية للتعظيم والتّفخيم من شأنها، وما أدراك ولم يقل ما يدريك، ارجع إلىٰ سورة الحاقة الآية (٣) للبيان.

وسميت ليلة القدر:

١ - لأنّه فيها يقدّر ما يكون في السّنة من الأمور والأحكام، تقدّر فيها الآجال والأرزاق.

٢ - من القدر: وهو الشّرف.

٣ - لأنّ العبادة فيها خير من ألف شهر.

٤ - وثبت في الصّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه.

٥ - تنزل الملائكة والرّوح فيها إلىٰ كوكب الأرض.

٦ - لأنّها كلها سلام؛ أي: يسودها السلام والأمن.

[٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾:

العبادة والقيام والطّاعة فيها أفضل أو خير من العبادة ألف شهر؛ أي: أكثر من (٨٣) سنة، وتكرار كلمة ليلة القدر ثلاث مرات في سورة عدد آياتها خمس آيات يدل علىٰ التّعظيم والتّفخيم والعناية بها والحرص علىٰ تحرّيها.

[٤] ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾:

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾: ولم يقل تتنزل الملائكة والرّوح فيها، تنزّل: تدل علىٰ القلة؛ لأنّها تنزل مرة واحدة في السّنة، أما تتنزل: تدل علىٰ الكثرة كما نرىٰ تتنزل الملائكة في سياق الموت كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت:٣٠]، تنزل الملائكة أفواجاً أفواجاً من السّماء إلىٰ الأرض ليلة القدر، والرّوح: جبريل عليه السلام والرّوح من الملائكة، وذكر الخاص بعد العام كما نرىٰ هنا يدل علىٰ الاهتمام والتّعظيم لجبريل، فيها: تعود إلىٰ ليلة القدر.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: أي بأمر ربهم.

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: من تعليلية تنزل من أجل كلّ أمر قضاه سبحانه لتلك السّنة.

[٥] ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾:

﴿سَلَامٌ﴾: نكرة تشمل كلّ أنواع السّلام: سلام: تحية من الملائكة وسلام لا شرّ فيها ولا سوء، بل كلها خير وسلامة، وبركة وفضل.

﴿هِيَ حَتَّىٰ﴾: هي للتوكيد، حتّىٰ: حرف نهاية الغاية (هي) قيل: هي الكلمة

السابعة والعشرون في السورة، واستدل البعض من هذا أنها هي الليلة السابعة والعشرون، والله أعلم.

﴿مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: وقت طلوعه؛ أي: سلام يمتد حتّىٰ مطلع الفجر أو ليلة تمتد حتىٰ مطلع الفجر.

فهي ليلة إكرام للنبي ﷺ وإكرام لهذه الأمة التي أعمارها بين (٦٠-٧٠سنة).

وأفضل ليلة في العام كلّه علىٰ الإطلاق.

وأفضل الأعمال فيها الصلاة والقيام بين يدي رب العالمين وتلاوة القرآن، والدعاء، والصدقة، والاعتكاف والذكر والتسبيح والاستغفار، والعفو والصفح.

❖ ❖ ❖

سورة القدر

ترتيبها ٩٧ آياتها ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سورة البينة

ترتيبها ٩٨ آياتها ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

سورة البينة [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (٩٨) وترتيبها في النّزول (١٠٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾:

﴿لَمْ﴾: أداة نفي.

﴿يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾: الذين كفروا من أهل الكتاب؛ أي: الذين كفروا من اليهود والنّصارىٰ والمشركون (من عبدة الأصنام والأوثان من مشركي العرب)، ولنعلم أن أهل الكتاب أعلىٰ درجة من الذين أتيناهم الكتاب أو الذين أوتوا الكتاب وأقل درجة من هؤلاء الكل الذين أوتوا نصيباً من الكتاب.

﴿مُنفَكِّينَ﴾: من فككت الشّيء فانفكّ؛ أي: انفصل.

منفكين: أي لم يكونوا منقسمين علىٰ أنفسهم، بل الكل ينتظر النبي المبعوث والذي ذُكر في كتبهم للإيمان به واتباعه.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: الحجة الواضحة أو البرهان السّاطع.

حتىٰ تأتيهم: أي حتىٰ أتتهم البينة فأصبحوا منفكين منقسمين علىٰ أنفسهم منهم من آمن به وصدقه ومنهم من صد عنه.

والبينة: هي محمد ﷺ وما أنزل عليه من ربه من القرآن أو الآيات كما فسّرته الآية (٢).

[٢] ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾:

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: هو محمّد ﷺ من الله: أي مبعوث أو مرسل من الله.

﴿يَتْلُوا۟﴾: التّلاوة: هي القراءة والتلاوة لا تكون إلا من الصّحف (القرآن)، والتلاوة لها أجر، والتلاوة قد تكون عن ظهر قلب.

﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: يتلو عليهم آيات الله (آيات القرآن)، المطهرة من الباطل والزيغ.

[٣] ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾:

﴿فِيهَا﴾: أي الصّحف المطهّرة، صحف القرآن (جمع صحيفة).

﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ فيها أحكام، فرائض، شرائع، قيّمة: مستقيمة عادلة تبين لهم طريق الهدىٰ والحق من الباطل والضّلال. وقيل: كتب قيمة لما شملت من الأمور العظيمة التي فيها سعادة الدارين.

[٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾:

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: ما: النّافية، تفرّق الذين أوتوا الكتاب (أي اليهود والنصارىٰ) تفرّقوا في نبوة محمّد أو التّصديق به والإيمان بما جاء به، ووصفهم بالذين أوتوا الكتاب وليس أهل الكتاب يأتي في سياق الذم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: أي بعدما بعث فيهم رسول الله ﷺ اختلفوا وتفرقوا، أمّا قبل مجيئه الكلّ ينتظره، فلم يعجبهم كون الرّسول اختير من الأميين أو قريش،

فاستمروا في كفرهم وتكذيبهم به ولم يتوبوا ويعودوا إلى رشدهم، وهذه الآية توكيد للآية (١).

[٥] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: ما النّافية، أُمروا: في كتبهم، إلا: أداة حصر، ليعبدوا الله: اللام لام التّوكيد.

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي موحّدين مخلصين مطيعين.

﴿حُنَفَآءَ﴾: على ملّة الحنيفية السّمحة (ملة التوحيد) أي: مائلين عن الملل الباطلة إلى دين الحق.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: يقيموا الصّلاة: بأركانها وشروطها وأوقاتها، ويؤتوا الزّكاة المفروضة عليهم.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾: ذلك: اسم إشارة واللام للبعد، يشير إلى الإخلاص والتّوحيد وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة، ذلك دين القيمة؛ أي: الإسلام.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: من اليهود والنصارى، وكفروا بالإسلام وبمحمد ﷺ وبالقرآن.

﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: من قريش عبدة الأصنام والأوثان: مصيرهم في نار جهنم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: الخلود والبقـــاء والدّوام بدون انقطاع، ويبدأ من نقطة بدء (زمن دخولهم فيها)، ونجد في هذه الآية عدم ذكر أبداً مقارنة بالآيات الأخرىٰ، ولعل قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ قد يكون دليلاً علىٰ ذلك أو المقام مقام إيجاز وليس تفصيل، والله أعلم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد تفيد الذّم.

﴿شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: البريّة: اســـم جمع بمعنىٰ الخلق، مشتقة من برأ الخلق؛ أي: خلقهم من تراب، والبَرَىٰ: التّراب، شرّ البرية، شر الخليقة، شرّ النّاس.

[٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض وما أمر الله تعالىٰ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد المدح.

﴿خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: خيـــر الناس أو خيـــر الخلق؛ أي: أفضلهـــم منزلة عند الله تعالىٰ.

❖ ❖ ❖

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠

سورة البينة [الآية ٨]

[٨] ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾:

﴿جَزَآؤُهُمْ﴾: الجزاء على العمل، ويعني: ثوابهم يوم القيامة.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: عند خالقهم ورازقهم.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: جنات الإقامة الدّائمة، ذكرت جنات عدن في القرآن (١١) مرة.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: الخلود: البقاء والدّوام بلا انقطاع، ويبدأ من وقت دخولهم، أبداً: توكيد.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بما قدّموه من إيمان وتقوى.

﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: لثوابه وفضله وكرمه عليهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، ويشير إلى الجزاء والثّواب والخلود والجنات والرّضوان.

﴿لِمَنْ﴾: اللام للتوكيد. من: اسم موصول للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾: في الدنيا الخشية تعني الخوف من رب العالمين، مع التّعظيم والعلم في الدنيا.

الخشية المقرونة بالطاعة والتقوى والعمل الصالح وليس مجرد الخشية.

خشي ربه: في السرّ والعلن.

❖ ❖ ❖

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠

سورة الزلزلة [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٩٩) وترتيبها في النّزول (٩٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿زُلْزِلَتِ﴾: أصلها زل زل، زل الأولىٰ وزل الثّانية.

﴿زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: الزّلزلة: زُلْزِلت الأرض؛ أي: الأرض الجديدة وليست الأرض القديمة؛ أي: التي نحيا عليها الآن، هذه الأرض التي ستكون أكبر بكثير من الأرض القديمة وأكبر من السموات والأرض الحاليتين؛ كي تتسع إلىٰ بلايين البشر من آدم إلىٰ آخر مخلوق، هذه الأرض الجديدة التي ستحوي كل ذرات الأرض القديمة وتحوي بقايانا، وهذه الزلزلة تختلف عن الزلزلة الأولىٰ التي تحدث عند قيام الساعة وانهيار النظام الكوني التي ذكرها الله تعالىٰ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج:١-٢].

والتي تحدث نتيجة تصادم الألواح تحت القارية (تحت البحار) والتي تؤدي إلىٰ البراكين وتسجير البحار وغيرها من الأحداث عند النفخة الأولىٰ.

[٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾:

أثقالها: أي ما فيها من الموتىٰ؛ أي: الأرض الجديدة أثقالها موتاها.

[٣] ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام والتّهويل والتعجّب.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: أي يتساءل الإنسان: ماذا حدث للأرض؟

و(قال) بصيغة الماضي بدلاً من يقول الإنسان بصيغة المستقبل؛ لأنّ الأمر كأنّه حدث وانتهى.

[٤] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: جمع خبر والخبر هو أعم من النبأ.

بعد أن يوحي لها خالقها ومدبّرها: حدِّثي أخبارك، وقيل: أخبارها أن تشهد على كلّ عبد أو أمة بما عمل على ظهرها فتقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا.

[٥] ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾:

﴿بِأَنَّ﴾: الباء للإلصاق والتّوكيد، أن لزيادة التّوكيد.

﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أشار إليها بأن تحدث أخبارها، وكما ذكر في قصة زكريا عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١]، أو أذن لها بأن تحدّث أخبارها؛ أي: تشهد على الناس بما عملوا على ظهرها من خير وشر أو فساد.

[٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة أو البعث.

﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: يَصْدُرُ: يرجع أو ينصرف الناس من قبورهم إلىٰ أرض المحشر.

﴿أَشْتَاتًا﴾: فرقاً فرقاً؛ أي: جماعات جماعات إلىٰ موقف الحساب.

﴿لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: أي ما قدّموه من صالح الأعمال أو طالحها وخيرها وشرها في الدنيا؛ ليروا كتب أعمالهم. ومنهم من قال: ليروا أعمالهم: جزاء أعمالهم (الجنة أو النار).

[٧] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾:

﴿فَمَن﴾: الفاء عاطفة للتفريع، من: شرطية.

﴿يَعْمَلْ﴾: في الدّنيا.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾: مثقال ذرة من الخير، ولمعرفة مقدار الذّرّة ارجع إلىٰ سورة النّساء الآية (٤٠) للبيان، الخير: هو العمل أو الشّيء الحسن النّافع، وجاء بصيغة المضارع «يعمل» بدلاً من عمل؛ للدلالة تكرار وتجدد العمل وعلىٰ أهمية ما عملوا وكأنهم يعملونه الآن، وهذا ما يسمىٰ حكاية الحال.

﴿يَرَهُۥ﴾: يرىٰ جزاءه؛ أي: ثوابه.

[٨] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿شَرًّا يَرَهُۥ﴾: شراً؛ الشر: ضد الخير؛ أي: سوءاً يرىٰ جزاء عمله.

❖ ❖ ❖

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

ثلاثة أرباع الجزء ٦٠

سورة العاديات [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (١٠٠) وترتيبها في النّزول (١٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾:

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾: الواو: واو القسم، العاديات: جمع عادية مؤنث العادي اسم فاعل من عدا بمعنى: ركض؛ الخيل التي تخرج مع أصحابها في سبيل الله، هكذا قال ابن عبّاس وعامة المفسرين، من العَدْو: وهو الجري بسرعة.

﴿ضَبْحًا﴾: صوت أنفاس الخيل الذي نسمعه حين تجري مسرعة، والخارج من مناخرها والناتج عن تنفّسها بشدة.

[٢] ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾:

﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾: الفاء عاطفة وتفيد التّرتيب والتّعقيب في الآيات الأربع، الموريات: من أورى: إذا أخرج النّار.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾: أي الخيل الغازية في سبيل الله وهي تقدح قدحاً بحوافرها فتخرج الشّرر حين تصدم حوافرها بالحجارة، أو الصخور، والقدح: الضّرب، والقداحة: الآلة المستعملة لإشعال النّار.

[٣] ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾:

﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، المغيرات جمع مغيرة؛ أي: الخيل التي تغزو (تغير) على العدوّ وقت الصبّاح، فكانوا إذا أرادوا الغارة سَرَوا ليلاً حين غفلة النّاس ونومهم وباغتوا العدوّ صباحاً والعدوّ على غير استعداد.

﴿صُبْحًا﴾: وقت دخول الصّبـاح، طلوع الصّباح، والصّبح أفضل الأوقات للهجوم والقتال والغارة.

[٤] ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾:

﴿فَأَثَرْنَ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، أثرن: هيّجن؛ أي: أثارت الخيل الغازية الغبار بحوافرها في وجه العدوّ فلا يعود يراها.

﴿بِهِۦ﴾: بالجري.

﴿نَقْعًا﴾: النّقع هو الغبار الدّقيق أو التّراب الحادث من سرعة جري الخيل.

[٥] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾:

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، وسـطن به: فدخلن للقتال وسط جمع العدوّ، به: بالجري.

﴿جَمْعًا﴾: جمع العدوّ.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾:

هذا جواب القسم، والإنسان هنا يعني الكافر.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، واللام في «لكنود» لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: لكنود: لكفور كما قـال ابن عباس أو لعاصٍ أو قليل الخير أو البخيل: الذي يأكل وحـده ويمنع رِفْده؛ أي: يمنع العطاء، وقيل: كنود صيغة مبالغة من: كند النعمة؛ كفر بهـا أو الجحود بنِعم ربه. وقيل: الكنود من يَعُدَّ المصائب أو يذكرها وينسـى النعم ويلوم ربه؛ أي: اللوام، وقيل الأرض الكنود: التي لا تنبت شيئاً، والمعنى يحتمل الكل.

[٧] ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: إنه: للتوكيد، والهاء تعود على الإنسان.

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: على كونه لربّه لكنود.

﴿لَشَهِيدٌ﴾: اللام للتوكيد؛ أي: يشهد على نفسه بالجحد والكفر والعصيان؛ أي: أنه كنود كقوله تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٧]، وروي القولان عن ابن عباس، ومنهم من قال هاء الضمير تعود على الله؛ أي: الله سبحانه على كفر الإنسان أو بخله أو جحده شهيد.

[٨] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنه: الواو: عاطفة، إنه: للتوكيد، والهاء: تعود إلى الإنسان، واللام في «لحب» للتوكيد، وتكرار «إنه» لزيادة التوكيد.

﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾: المال.

﴿لَشَدِيدٌ﴾: اللام: للتوكيد، حتّى أنّه يمنع دفع زكاته وصدقته، والدّليل على تسمية المال خيراً قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [البقرة:١٨٠].

[٩] ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾:

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، لا النّافية.

﴿يَعْلَمُ إِذَا﴾: يعلمُ: ذلك الإنسان؛ إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿بُعْثِرَ﴾: أُثير وأُخرج أو أُثيرت فجعل أعلاها أسفلها، وهذا يدل على العنف وشدة الأمر، ليخرج منها البشر للحساب والجزاء، وفي هذا تهديد ووعيد بالبعث والحساب.

❖ ❖ ❖

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

سورة العاديات [الآيات ١٠ - ١١]

[١٠] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾:

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾: الصدور: القلوب؛ ما: أوسع شمولاً من الذي، جمع في الصّحف، والتّحصيل: هو إخراج اللب من القشر، ظهر وبان ما استقر في الصُّدور؛ أي: أبرز أو استخرج ما تسره الصدور؛ أي: ظهر مكتوباً في الصّحائف ما فيها من خير وشر، أو استخرج ما فيها من خير وشر أحقاد وأمراض أو جمع ما في القلوب من خير وشر مما يظن أنّه سرٌّ لا يعلمه أحد.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: واللام في لخبير للتوكيد.

﴿رَبَّهُم بِهِمْ﴾: تقديم بهم للدلالة على الأهمية خاصة.

ربهم خالقهم ومدبر أمورهم ومحاسبهم.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة أو يوم الحساب والجزاء.

﴿لَّخَبِيرٌ﴾: اللام: للتوكيد، خبير؛ أي: يعلم بواطن أعمالهم ومن يعلم بواطن الأمور يعلم ظواهرها فلا داعي لذكر ذلك، ويعلم ما كسبت كلّ نفس، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر:١٦].

❖❖❖

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

سورة القارعة [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (١٠١) وترتيبها في النّزول (٣٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾:

اسم من أسماء يوم القيامة الكثيرة ومنها: يوم القيامة، يوم البعث، يوم الخروج، يوم الفصل، يوم الدين، يوم الخروج، الصاخة، الطامة، الواقعة، الحاقة، الأزفة، وقد عدها الغزالي والقرطبي وقيل: بلغت خمسين اسماً، ويقول القرطبي: وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه، والقارعة: شيء مبهم لم يطّلع أو يره أحدٌ.

مشتقة من القرع؛ وهو: الضرب بشدة كأن تضرب شيئاً صلباً بشيء أصلب وبشدة فتحدِث صوتاً مزعجاً.

وسمي بذلك؛ لما يحدث فيه من الأهوال والتّرويع الذي يهزّ ويقرع كلّ سمع وكلّ قلب.

ثم يلحق ذلك بسؤال آخر: ما القارعة.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام والتّهويل والتّعظيم والتّرهيب، والأصل: أن يختصر كلّ ذلك: ما هي القارعة؟ ولكنه سبحانه يُسهب في الاستفهام والسؤال.

[٣] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾:

ثم سِئل للمرة الثالثة، ولا أحد يجيب.

﴿ وَمَآ ﴾: لتوكيد الاستفهام والتّرهيب والتّهويل والتّعظيم والتّعجيز.

﴿أَدْرَىٰكَ ﴾: من درىٰ: وهو العلم بعد الجهل، العلم بشتىٰ الوسائل أو بأيّ وسيلة، وأدرىٰ حالة خاصة من علم.

أي: ما أعلمك وأخبرك ما القارعة، والجواب: لا أحد؛ لأنّها أمر غيبي لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه، وتبقىٰ مسألة القارعة مبهمة مهولة عظيمة حتّىٰ يجيب الله سبحانه وحده علىٰ ذلك فيقول: «يوم يكون النّاس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش».

فقوله: «القارعة» فيها إبهام، «ما القارعة» فيها تهويل وتعظيم وتخويف، «وما أدراك ما القارعة» فيها تعجيز؛ لا أحد يعلم الجواب، فيجيب الله سبحانه، والغاية من الإبهام والتّهويل والتّخويف هو الاستعداد لها والتّحذير منها، «وما أدراك ما القارعة»: ولم يقل ما يدريك ما القارعة.

ما أدراك: نفي للماضي، وما يدريك نفي في الحال والمستقبل، وقد وردت ما أدراك (١٣) مرة في القرآن، وأمّا ما يدريك وردت ثلاث مرات (ثلاث آيات) وتَبينَ حين يستعمل ما أدراك في الماضي (من خصائص القرآن) ينتهي الأمر أو المسألة بأنّ الله سبحانه يطلع ويخبر رسوله علىٰ المعنىٰ فلا يبقىٰ غامضاً ويُعرفُ الجواب، أمّا حين يستعمل وما يدريك (في الحال أو المستقبل) تبقىٰ المسألة أو الأمر غامضاً مبهماً ولا يطلعه الله علىٰ الجواب.

وقد وردت وما يدريك في ثلاث آيات:

الآية الأولىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾.

الثانية: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

الثالثة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾.

إذن ما يتعلق بعلم السّاعة أو التّزكية (أمر غيبي) لا يعلمه إلا عالم الغيب والشّهادة وحده، وسوف نعلمه عند قيام الساعة وعند البعث والحساب.

[٤] ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾:

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾: يوم القيامة يكون النّاس (الثّقلان الإنس والجن):

﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: الفراش المتطاير المنتشر على غير انتظام هنا وهناك، أو يشبه الفراش في الكثرة والانتشار والضّعف.

وفي آية أخرى يقول: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٧]، لمعرفة الفرق بين الآيتين ارجع إلى سورة القمر للبيان.

[٥] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾:

في الآية السابقة يكون الناس كالفراش المبثوث، وفي هذه الآية الجبال أيضاً تكون كالعهن المنفوش؛ كل ذلك يدل على هول الموقف وشدته.

شبّه الجبال بالعهن: الصّوف الملون (المصبوغ بألوان مختلفة)؛ لأنّ الجبال فيها جُدد بِيض وحمر وغرابيب سود، لها ألوان مختلفة.

﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾: المندوف بالمندف في تفرّق أجزائها، وتطايرت بعد أن دكّت ونسفت وكانت كثيباً مهيلاً، ثم أصبحت كالعهن المنفوش بعد أن كانت الرواسي والأوتاد.

وقد يحتمل المعنى بالإضافة إلى كونها كالعهن المنفوش: فهي ضعيفة خفيفة ضعف وخفّة الصّوف، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩) في سورة المعارج

وهي قولـه تعالىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾، ويمكن القـول أن الجبال تكون في مرحلة تليها تكون في مرحلة من المراحل كالعهن، ثم مرحلة تليها تكون كالعهن المنفوش المتطاير ذو الألوان.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿مَن﴾: ابتدائية اسـتغراقية، تشـمل الذّكر والأنثىٰ، وتشـمل المفرد والمثنىٰ والجمع.

﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي رجحت موازينه بالحسـنات بعد أن توزن أعماله، وموازينـه جمع ميزان، ومنهم من قـال: لكلّ عمل ميزانٌ يـوزن به، مثلاً أفعال القلوب لها ميزان، وأفعال الجوارح لها ميـزان، ومنهم من قال: الميزان واحد، وإنما جمع لاختلاف الموزونات أو كثرة الموزون، والله أعلم.

والأرجح: أن موازين يوم القيامة ليست ميزاناً واحداً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] وهي موازين حقيقية كما رجّح أكثر المفسرين، ومن المفسرين من فسّر الميزان بالعدل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧] أي: أمر بالعدل.

[٧] ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾:

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ﴾: العيشة تشمل المسـكن والمشرب والمأكل والمتاع وغيرها.

﴿رَّاضِيَةٍ﴾: والسؤال هل العيشة التي ترضىٰ أم هو الراضي؟.

راضية تعني: صاحبها راض ومسرور.

راضية: لا تزول أو تنقطع، سـعادة أبدية خالية من أسباب القلق الذي سببه الموت والزّوال، ارجع إلىٰ سورة الحاقة الآيتين (٢٢-٢٣) لمزيد من البيان.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾:

﴿وَأَمَّا مَنْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦).

﴿خَفَّتْ﴾: أي خفّت موازينه؛ أي: رجحت سيئاته علىٰ حسناته، (وأمّا من تساوت حسناته وسيئاته، يصبح من أصحاب الأعراف) ولم يذكر ذلك؛ لأنّ أصحاب الأعراف في النّهاية هم من أصحاب العيشة الرّاضية.

[٩] ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾:

أمه: ليس معناها أمه التي ولدته وإنما عبّر عن المأوىٰ (النار) بالأم، أو شبّه المأوىٰ بالأم التي يأوي إليها حين كان طفلاً كلّما فزع وخاف، وشبّه المأوىٰ (النار) بالأم؛ لأنها تحيط به وتحضنه، أو كإحاطة رحم الأم بولدها، تشبيه يحمل معنىٰ التقريع.

وهاوية: لبُعد عمقها أو مقرّها، هاوية فيها إبهام، غير معروفة، ثمّ يسأل من يعلم أو يعرف ما هي.

[١٠] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾:

فيها تفخيم وتهويل وتخويف وتعجيز، ارجع إلىٰ الآية (٢) من السّورة نفسها للبيان، ثمّ يبين ما هي فيقول: نار حامية.

[١١] ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾:

بالغة الحرارة.

أي: فأمه (مأواه) الهاوية، وما الهاوية (نار حامية).

❖ ❖ ❖

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ ٱلْقَارِعَةِ

ترتيبها ١٠١ آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ ٱلتَّكَاثُرِ

ترتيبها ١٠٢ آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

سورة التّكاثر [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (١٠٢) وترتيبها في النّزول (١٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾:

﴿أَلْهَاكُمُ﴾: من اللهو، واللهو: ذهول بقصد وإعراض، وهو أن يترك واجباً أو شيئاً مطلوباً أو مهماً، ويشتغل بشيء غير مهم أو مطلوب، ألهاكم: لها معنىٰ أوّل؛ أي: أشغلكم، وألهاكم التكاثر وأشغلكم أبلغ في الذم من شغلكم، والمعنىٰ الثّاني: كلّ واحد يكاثر الآخر؛ أي: يتفاخر ويباهي الآخر بكثرة جمعه.

﴿التَّكَاثُرُ﴾: لم يحدد ما نوع التكاثر ليشمل كل ما يدخل في أنواع التكاثر مثل: في الأموال والأولاد والمساكن والقصور والزّينة والمراكب، والنّساء والتّجارة والتّشاغل بالمعاش واللهو واللعب وغيرها.

ألهاكم التّكاثر: أي حب الدّنيا عن تقوىٰ الله وطلب الآخرة والاستعداد ليوم الرّحيل، وهناك من قرأ «ألهاكم» بهمزتين؛ أي: أألهاكم التّكاثر؟ ومنهم من قرأها بهمزة واحدة «ألهاكم التّكاثر» كقوله تعالىٰ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

[٢] ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾:

أي: ظللتم سادرين في هذا اللهو والغفلة حتّىٰ زرتم المقابر؛ أي: متّم ودفنتم في المقابر.

﴿ حَتَّىٰ ﴾: يعني نهاية الغاية.

﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾: كأنّ الموت ليس هو النّهاية، وإنما هي مرحلة يأتي بعدها البعث والحساب والجزاء وإمّا إلى الجنة وإمّا إلى النّار، وكأنّ الدّفن في القبور (أو حياة البرزخ) عبارة عن زيارة فقط لن تدوم طويلاً، ترجعون بعدها إلى منازلكم في الجنة أو النّار، أو ألهاكم التّكاثر حتى فوجئتم بالموت وأنتم على تلك الحال من الانشغال.

[٣] ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ كَلَّا ﴾: كلمة ردع وزجر: أي ليس هذا سلوك العاقل، أو كلا إنّ هذا سلوك معيب، كلا لا تكن الدّنيا أكبر همكم ومبلغ علمكم، أو تعني: حقاً سوف تعلمون عاقبة انشغالكم بالتّكاثر إذا دخلتم مقابركم، وعلمتم خطأكم هذا، أو سوف تعلمون عاقبة أمركم هذا حين الموت والاحتضار ونزع أرواحكم.

﴿سَوْفَ ﴾: تدل على الاستقبال والتّراخي في الزمن؛ يعني زمن الموت.

[٤] ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: تدل على التّراخي في الزّمن والتّرتيب.

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر أو حقاً، والتكرار للتوكيد والتهويل والتعظيم.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: سوف: تدل على التراخي في الزمن، تعلمون: ذكرت للمرة الثانية.

تعلمون: العلم الثّاني سيكون في البرزخ (القبر) أو يوم القيامة، والعلم الأوّل كان زمن الاحتضار كما قلنا سابقاً.

سوف تعلمون عاقبة عبثكم وانشغالكم في الدّنيا، وما أخبركم به الله سبحانه من وعد ووعيد وثواب وعقاب أنّه الحق.

[٥] ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾:

﴿ كَلَّا ﴾: كلمة ردع وزجر للمرة الثّالثة.

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾: علم اليقين: هو العلم الوحيد الذي ليس هناك غيره؛ أي: الحق الثّابت الذي لا يتغير، أو يتبدل والعلم الثّابت القاطع، ولليقين درجات: الأولىٰ علم اليقين، والثّانية عين اليقين، والثّالثة حق اليقين.

﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾: أي لو صدّقتم وآمنتم بما أخبركم الله عن الجحيم في قرآنه وعن طريق رسله، لكنتم كمن رأىٰ الجحيم بأمّ عينيه، وأنتم لا زلتم في الدنيا؛ أي: لترونها قبل الدخول فهذه هي الرؤية الأولىٰ، ولربما منعك ذلك من انشغالكم بالتكاثر، وما أخبركم الله به عن الجحيم يمكن أن يُعدّ كالرؤيا الأولىٰ للجحيم؛ أي: ترون الجحيم وأنتم في الدنيا، والنون في «لترون» للتوكيد.

[٧] ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾:

هذه هي الرؤية الثانية والتي تسمىٰ رؤية عين اليقين.

ثم يوم القيامة (ثم للتراخي في الزمن) واللام في لترونها: للتوكيد؛ أي: لترونها يوم القيامة عين اليقين؛ أي: بأم أعينكم حين تبرز لكم أو ترِدُوها ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١].

[٨] ﴿ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: للتباين بين السّؤال عن النّعيم ورؤية الجحيم المروّع.

﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾: اللام والنّون في «تسألن» للتوكيد، والسؤال هنا لماذا نسأل عما أباحه الله تعالى وقال لنا: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣]، وغيرها من الآيات؛ السؤال قد يكون عن الشكر، وعن تأدية الزكاة، والصدقات، والإسراف، والتبذير... وغيرها.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة. مركبة من: يوم أضيف إليه ظرف آخر هو إذ.

﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: من النعمة، والنعمة: تعني نعم الدنيا الظاهرة والباطنة، وهي نعم زائلة، وكلمة النعيم وردت في (١٥) آية معرفة بأل التعريف وكلها تعني نعيم الآخرة؛ أي: الجنة، وفي آية واحدة وردت النعيم التي تعني نعيم الدنيا من مسكن ومطعم ومشرب وملبس وفراغ ومال وجاه؛ أي: لتسألن عن التكاثر الذي ألهاكم، أو عن ذلك النعيم الزائل الذي شغلكم عن ربكم، أو قد تعني نعيم الأخرة نعيم الجنة؛ لأن السياق في الكفار سوف يسألون سؤال تقريع وتأنيب، وفي الآية تهديد ووعيد شديد للكفار.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الْعَصْرِ

ترتيبها ١٠٣ آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

ترتيبها ١٠٤ آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سورة العصر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (١٠٣) وترتيبها في النّزول (١٣).

وقيل: هذه السورة القصيرة تمثّل دستور حياة المسلم على الأرض، هذا الدستور الحاوي :على أربع مبادئ الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾:

الواو: واو القسم، والله سبحانه غني عن القسم، وإذا أقسم الله سبحانه بشيء فيراد بذلك تنبيه الناس إلى أهمية الأمر المقسم به وجواب القسم، يقسم الله بالعصر، العصر: لغة: الدهر أو الزّمن، الزمن المطلق أو وقت العصر: ما بين زوال الشمس وغروبها.

وقد يعني الكلّ، لماذا أقسم الله بالعصر؟ قالوا: لأن الدهر شاهد على الإنسان فالله سبحانه خلق الزمان والمكان ليحكم بهما خلقه حتى يبقى سبحانه فوق الزمان والمكان وفوق المادة والطاقة، فالمكان لا يحدّ الله سبحانه ولا الزمان يحدّ الله سبحانه وتعالى، والمخلوق لا يحدّ خالقه، فالله هو الذي خلق الزمان والمكان والمادة والطاقة ليحدّ بهذه الأمور أو الأشياء خلقه ويبقى سبحانه فوق كل ذلك لا يحدّه زمان ولا مكان، ونحن لا نعلم الزمن الحقيقي أو المطلق

والله وحده يعلم ذلك، وإنما نعلم الزمن النسبي المقدر، المقدر باليوم والليلة والشهر والسنة والساعة عن طريق الشمس والقمر وما وصل لنا من العلم.

[٢] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾:

هذا هو جواب القسم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، واللام في «لفي» لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: اسم جنس يشمل المسلم والكافر والصّالح والطّالح.

﴿لَفِى﴾: في ظرفية، واللام للتوكيد.

﴿خُسْرٍ﴾: في ضياع دائم أو واقع في الخسر إلا من استثناهم ربهم، ولم يقل لخاسر: يعني في زمن معين أو في تجارة أو عمل معين، لفي خسر: ضياع مطلق قليل أو كثير، أو لفي خسر كلّ حياته من زمن بلوغه إلىٰ مماته، أي: دائماً في خسر، خسر نكرة؛ للتعظيم ولتشمل كلّ أنواع الخسر أو الخسارة في الدنيا والأخرة، وأشد أنواع الخسر يكون في الأخرة.

[٣] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، استثناء من الخسر يشمل:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الإيمان هو الشرط الأساسي للنجاة، والإيمان لغة: هو التّصديق، وشرعاً: هو اليقين بأركان الإيمان السّتة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره، والإيمان بضعٌ وستون شعبة، ويشمل الإيمان بالغيب بالبعث ويوم القيامة والحساب والجنة والنار والعرض والإيمان لا يكون إلا بما نزل به الوحي فلا يصنع الإنسان إيماناً آخر من صنعه وتفكيره؛ لأن الكون مليء بالغيوب المطلقة التي لا يعلمها إلا الله، فالله

سبحانه وهب الإنسان إيماناً بالفطرة وأعطاه عقلاً قادراً على الحكمة والتمييز بين الحق والباطل، ثم أرسل رسله إليه وكتبه، وبين له طريق الخير وطريق الشر وتركه يختار أحدهما.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض والسّنن والنّوافل وغيرها، والعمل الصّالح هو نتيجة الإيمان الصادق وهو شرط لقبول الإيمان، فلا بد من العمل الصّالح مع الإيمان، وأن يكون العمل الصّالح موافقاً للقرآن والسّنة خالصاً لوجه الله تعالى.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: وصّى كلٌّ الآخر بالحق: وهو الأمر الثّابت الذي لا يتغيّر ولا يتبدل، والحق هو الوحي السماوي الذي لم يتغيّر أو يتبدل، والحق يحتاج إلى من يدافع عنه سواء كانوا رجالاً أو نساءً، ولا يكفي التواصي به ولا بدَّ من الصبر.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: أي: الصّبر المطلق يشمل كلّ أنواع الصّبر، يوصي بعضهم بعضاً، أو كلّ واحد يوصي غيره، والوصية تحمل في طياتها معنى التأكيد والإشفاق والاهتمام وإرادة الخير للموصي له.

وقوله: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصّبر) ولم يقل وتواصوا بالحق وبالصّبر؛ كرر تواصوا مرتين، وكرر الباء مرتين ليدل على أعلى درجات الاهتمام والتّوصية، ولم يقل أيضاً تواصوا بالحق والصّبر.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الْعَصْرِ

ترتيبها ١٠٣ | آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

ترتيبها ١٠٤ | آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ | آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سورة الهمزة [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (١٠٤) وترتيبها في النّزول (٣٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾:

﴿وَيْلٌ﴾: وعيد بالعذاب، والويل قد يعني: الهلاك أو وادٍ في جهنم، ويلٌ بالرّفع والتّنوين تدل على جملة اسمية وتدل على الثّبوت، ثبوت العذاب؛ أي: هو عذاب دائم لا ينقطع، وأمّا لو قال: ويلاً بالنّصب، فذلك يدل على جملة فعلية تدل على أنّ العذاب غير دائم ومتجدد ومتكرر.

﴿لِّكُلِّ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿هُمَزَةٍ﴾: هو الذي يعيب النّاس أو يطعن في النّاس أو يظهر عيوبهم في أخلاقهم أو وضعهم الاجتماعي في حالة غيابهم، والتاء المربوطة تدل على المبالغة، وأصلها هُمز، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١) في سورة القلم وهي قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾: نجد هماز هي أيضاً صيغة مبالغة لكثير الهمز، ولكن هناك فرق بين (هماز) و(همزة)؛ هماز: تدل على الفاعل الذي يفعل أو يقوم بالهمز، وهمزة: تدل على ما فعله؛ أي: محصلة فعله، وما ارتكبه يسمى هو الهمزة، وعاقبة ذلك الويل له.

﴿لُّمَزَةٍ﴾: هو الذي يعيب أو يطعن فيهم ويظهر عيوبهم في حالة حضورهم،

يغتاب في الوجه وقد يستعمل الحاجب أو العين أو اليد أو الرأس، وهناك من قال الهمزة: الذي يعيب الناس في غيابهم، واللمزة: الذي يعيب الناس في حضورهم.

[٢] ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾:

هذا وصف آخر للهمزة اللمزة.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾: سواء كان حلالاً أو حراماً.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾: عدّه مرة بعد الأخرىٰ حباً في المال؛ أي: أحصاه وحافظ عليه أو حرص عليه.

[٣] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾:

﴿يَحْسَبُ﴾: من حسب؛ أي: اعتقد؛ أي: ظن ظناً راجحاً أو أقام حسابه علىٰ حساب قلبيّ وتجربة ونظر، وهنا تعني: يحسب لجهله وعدم الفقه في الدّين أن ماله أخلده.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾: الخلد يعني البقاء والدّوام، يحسب أن ماله يمنعه من الموت أو يُطيل في عمره، أو يعمل عمل من يظن أنه لا يموت ويخلد في الدنيا.

[٤] ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، كلا ليس الأمر كما يحسبه فماله لن يخلده في الدنيا مهما طال أجله، ولن يمنعه من أن ينبذ في الحطمة.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾: اللام والنّون في كلمة «لينبذن» للتوكيد.

لينبذن: من النّبذ وهو الطّرح والقذف مع الكراهية؛ أي: بلا اهتمام؛ أي: ليطرحن بذلٍّ وإهانة وغير اهتمام به.

﴿فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾: (نار الله الموقدة)، وقيل: الحطمة دركة من دركاتها، والحطمة مشتقة من الحطم: وهو الكسر؛ أي: تحطم عظام كل من يُلقىٰ فيها.

[٥] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾:

﴿وَمَآ﴾: للاستفهام والتّعظيم والتّهويل، وتكرار (ما) للتوكيد.

﴿أَدْرَىٰكَ﴾: أعلمك، أيّ شيء أخبرك ما الحطمة؟ أي: أنت لا علم لك بعظمتها ومهما تصوّرتها فهي أعظم من ذلك. ارجع إلىٰ سورة القارعة آيتين (٢-٣) لبيان معنىٰ وما أدراك وما يدريك.

﴿مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾: الحطمة: اسم علم للنار، وهناك من قال: إنها دركة من دركات النار.

[٦] ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾:

أي: الحطمة نار الله الموقدة المشتعلة، وتسميتها بنار الله للتعظيم والترهيب.

﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾: الشّديدة اللهب أو المستعِرة المتأجّجة، وسماها نار الله وما دام قال: «نار الله» فلا يمكن أن تضاهيها نار أخرىٰ، وفي هذا إنذار ووعيد لكل همزة ولمزة.

[٧] ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾:

﴿تَطَّلِعُ﴾: تبلغ أو تصل الأفئدة؛ أي: التي تعرف كيف تصل إلىٰ القلوب أو تطلعُ عليها؛ أي: تغشاها.

﴿ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: القلوب؛ جمع فؤاد وهو جزء من القلب الذي يختص بالذاكرة

والأحاسيس؛ أي: تحرق كل طبقات الجلد وما تحته حتىٰ تصل إلىٰ القلب ذاته، واختيرت القلوب؛ لأنّها محل العقائد الباطلة والنّوايا والكفر والنفاق والبدع.

[٨] ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾:

إن: للتوكيد والهاء تعود علىٰ «نار الله الموقدة».

مطبقة من أصدت الباب؛ أي: أغلقته فلا يستطيعون الخروج منها والنّجاة، وتعني: ليس هناك متسع أو مسافة فوق رؤوسهم أو بين بعضهم بعضاً كأنّها جاءت من أعلىٰ لتطبق عليهم.

﴿عَلَيْهِم﴾: علىٰ: تدل علىٰ المشقة والصعوبة والدوام.

[٩] ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾:

موثقين: أي مربوطين ومشدودين إلىٰ أعمدة في داخل النّار بالسّلاسل والأغلال.

﴿عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾: ارجع إلىٰ سورة البلد، آية (٢٠) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الْعَصْرِ

ترتيبها ١٠٣ | آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

ترتيبها ١٠٤ | آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ | آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سورة الفيل [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١٠٥) وترتيبها في النّزول (١٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير والتّعجب، لم: حرف نفي.

﴿تَرَ﴾: الرّؤية هنا فكرية عقلية؛ لأنّ حادثة الفيل وقعت قبل ميلاد رسول الله ﷺ.

ألم تر: تعني: ألم تعلم علم دراية، أو ألم ينتهِ علمك إلىٰ ما فعل ربك سبحانه بأصحاب الفيل، واعلم علماً مؤكّداً أو يقيناً أن ما يخبرك الله تعالىٰ به هو أصدق مما لو رأته عيناك.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والتّحذير والتّعجب.

﴿فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾: هم أبرهة بن الأشرم والي اليمن وجيشه ومعهم (١٣) فيلاً ومن بينها فيلٌ يدعىٰ محموداً وهو أكبر الفيلة، جاؤوا لهدم الكعبة (البيت الحرام).

وخلاصة القصة: أنّ أبرهة بن الصّباح الأشرم والي اليمن رأىٰ أن يبني كنيسته في صنعاء وسمّاها القُليس تضاهي البيت الحرام، ويدعو العرب لزيارتها

بدلاً من الحج إلىٰ مكة؛ قاصداً من وراء ذلك تحويل بعض التّجارة إلىٰ اليمن أو غيرها من النّوايا.

ولما قام بذلك وبنىٰ الكنيسة قيل: جاء رجل من قريش ونجسها، وقيل في بعض الرّوايات: أحرقت، فغضب أبرهة وجهّز جيشه وجاء لهدم الكعبة وغزو مكة.

ارجع إلىٰ كتب السّيرة لمزيد من البيان وما حدث بين أبرهة وعبد المطلب.

[٢] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري.

﴿يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾: كيدهم من الكيد: وهو التّدبير الخفي لتخريب وهدم الكعبة، والكيد أقوىٰ من المكر. ارجع إلىٰ سورة يوسف آية (٥) لمزيد من البيان.

﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: في ضياع وخسارة؛ أي: لم يجدِ مكرهم أو كيدهم، أو لم ينفعهم أو يفضِ إلىٰ نتيجة فقد أهلكوا جميعاً.

[٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾:

أبابيل: جماعات متتابعة بعضها في أثر بعض، أبابيل: اسم جمع لا مفرد له.

[٤] ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾:

تشبه الحجارة التي أمطرت علىٰ قوم لوط. ارجع إلىٰ سورة هود آية (٨٢) والحجر آية (٧٤) للبيان.

[٥] ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾:

﴿ فَجَعَلَهُمْ ﴾: الفاء للمباشرة والتّرتيب؛ أي: جعل أبرهة وجيشه.

﴿كَعَصْفٍ ﴾: العصف: قشر حب القمح أو التبن؛ أي: أخذ ما فيه من الحب وبقي القشر.

﴿مَّأْكُولٍ ﴾: أي شبّه تقطُّع أوصالهم وتطايرها بالعصف الذي أكلته البهائم.

المأكول: الذي وقع فيه الأُكال؛ أي: الأكل، أو فضلات الدواب التي أكلت العصف، ولا يزال يُرىٰ بعضه المأكول في فضلاتها.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ قُرَيْشٍ

ترتيبها ١٠٦ آياتها ٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْمَاعُونِ

ترتيبها ١٠٧ آياتها ٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

ترتيبها ١٠٨ آياتها ٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سورة قريش [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (١٠٦)، ترتيبها في النّزول (٢٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾:

من المفسرين من قال: هذه السورة تتمة للسورة السابقة سورة الفيل، فربط بينهما بالقول فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش.

﴿لِإِيلَٰفِ﴾: اللام لام الاختصاص أو لام التّعليل، إيلاف: مصدر أَلِف الشّيء إذا اعتاده وأَلِفه، والإيلاف: الالتئام والتّجمع والمحبة كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كانت حماية الله سبحانه وتعالىٰ للكعبة (البيت الحرام) بجعل أبرهة وجيشه كعصف مأكول تكريماً للبيت الحرام وحرمته، ودوامه، وسبباً لدوام قريش علىٰ التآلف والمحبة بين القبائل والتّجمع حول الكعبة، وعدم النّفور والتّفرق، وكذلك سبباً لدوام رحلتي الشّتاء والصّيف اللتين هما مصدر العيش لقريش في هذه الصّحراء، فأبقىٰ الله لهم رحلة الشّتاء إلىٰ اليمن لجلب السلع أو المتاع الواردة من الهند والخليج، ورحلة الصّيف إلىٰ الشّام لجلب أو شراء الحبوب والمواد الزّراعية والغذائية، حيث كانت مكة تعيش علىٰ التّجارة وعلىٰ القيام بخدمة البيت الحرام الذي كان مصدر فخرهم ومجدهم، أو قد تعني لإيلاف قريش: من أجل إيلاف قريش لتعبد قريش رب هذا البيت.

﴿قُرَيْشٍ﴾: مجموعة من القبائل من ولد النضر بن كنانة، وقيل: قريش لقب الجد وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أو قريش هو النضر بن كنانة، وسمّوا بقريش من التقريش؛ أي: الاكتساب أو التجمع والالتئام.

فقد جمعهم قصي بن كلاب في مكة في الحرم بعد تفرّقهم، أو قيل: الاسم مشتق من سمكة القرش، أو شبّهوا بسمكة القرش الخطيرة فكانوا يعلون ولا يُعلىٰ عليهم.

[٢] ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾:

﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾: توكيد الإيلاف ـ وقدّم إيلافهم تذكيراً بالنّعمة ـ وقد تكون إيلاف الأولىٰ للبقاء علىٰ الألفة والمحبة والتّجمع حول الكعبة في وادٍ غير ذي زرع.

وأمّا الإيلاف الثّانية فهي البقاء والعكوف علىٰ ممارسة رحلتي الشّتاء والصّيف وجلب الأرزاق لهذه المنطقة، وجعل أفئدة النّاس تهوي إليهم.

[٣] ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾:

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾: الفاء للتوكيد، واللام لزيادة التّوكيد أو الأمر أو للتعليل.

أي: أهلك الله أبرهة وجيشه وفعل ما فعل بإرسال طير الأبابيل للمحافظة علىٰ ائتلاف قبائل قريش وبقائها مجتمعة حول الكعبة البيت الحرام، وخدمة الحجيج وتولّي سدنة الكعبة وسقاية الحاج، والمحافظة علىٰ رحلتي الشّتاء والصّيف مصدر الرّزق الوحيد (أي التّجارة) لقريش.

فهاتان النّعمتان: نعمة الائتلاف ونعمة الرّحلتين (الرّزق) وغيرها من النّعم مثل الأمن وعدم الخوف وعدم الجوع كلٌّ منها يوجب أو يستحق عبادة الله تعالىٰ.

[٤] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾:

﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾: يفيد التّعظيم، تعود إلىٰ «رب هذا البيت».

﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾: أي كانوا جائعين فأطعمهم، والجوع: هو الشعور أو الإحساس الناجم عن خلو المعدة من الطعام.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾: من ابتدائية، خوف نكرة تشمل كل أنواع الخوف، فأزال عنهم كل أنواع الخوف، وكما قال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت:٦٧]. وقدّم الجوع علىٰ الخوف؛ لأنّ الجوع الشّديد قد يؤدي إلىٰ السّرقة والقتل أحياناً، وبالتّالي انتشار الخوف وعدم الأمن.

وقد يكون المعنىٰ: أطعمهم من جوع وآمنهم من خوفٍ؛ أي: من أجل البيت الحرام. ومنهم من قال: هي استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حين دعا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة:١٢٦].

❖ ❖ ❖

سورة قريش

ترتيبها ١٠٦ آياتها ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ
﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم
مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾

سورة الماعون

ترتيبها ١٠٧ آياتها ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سورة الكوثر

ترتيبها ١٠٨ آياتها ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سورة الماعون [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (١٠٧) وترتيبها في النّزول (١٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾:

﴿أَرَءَيْتَ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير والتّعجب والتّشويق، رأيت: الرّؤية هنا رؤية بصرية أو فكرية بمعنى العلم.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول للمفرد المذكر (للعاقل الحقيقي وغيره)، وقيل: الآية نزلت في الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل أو أبي جهل أو غيرهم، والمهم عموم اللفظ وليس خصوص السّبب.

﴿يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: يكذب: لا يصدّق ويجحد، بالدين: الباء للإلصاق والدّوام، بالدّين: بالحساب والجزاء، أو الدّين الذي جاء به رسول الله (دين الإسلام) والآخرة والبعث، ثم ذكر صفات الذي يكذّب بالدّين فقال:

[٢] ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾:

﴿فَذَٰلِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط المقدّر هو: إن سألت عن الذي يكذّب بالدّين، فذلك: اسم إشارة واللام للبعد، ويفيد الذّم.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿يَدُعُّ﴾: الدّع: هو الدّفع الشّديد، أو يدفع اليتيم عن حقه وماله، أو يظلمه أو يأكل ماله أو يمنعه من ميراثه.

﴿ٱلْيَتِيمَ﴾: من فقد أباه قبل سن البلوغ.

[٣] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾:

﴿وَلَا﴾: النّافية.

﴿يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: ولا يطعم المسكين أو الفقير أو لا يتصدّق عليهم، ولا يحثّ غيره من أولي السَّعة على إطعام المسكين أو الإنفاق على المسكين.

[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾:

أي: المنافقين، وقيل: إن هذه الآيات نزلت في المنافقين بالمدينة.

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء للتوكيد، ويل: العذاب أو الهلاك، أو وعيد بالعذاب أو الخزي أو الفضيحة.

﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق. المصلين: قيل المنافقين الذين يصلون أمام الناس ولا يصلون في الغيب، أو التاركون للصلاة عمداً، أو يؤخروها عمداً.

[٥] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: «عن» تفيد المباعدة والمجاوزة؛ أي: لا يصلّون أبداً (تاركو الصلاة عمداً).

ولم يقل في صلاتهم ساهون؛ لأنّ ما منّا إلا يسهو في صلاته بغير عمد أو قصد، وهذا يمكن أن يتجاوز عنه بالاستغفار والتوبة.

ومن المفسرين من قال: لا تعني تركها كاملاً وإلا لكانوا كفاراً، ولم يصِفهم بالمصلين، وقد تعني المنافقين، الذين لا يحافظون على صلاتهم ويراءون الناس، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وقد تضمّ من يؤخّرونها عن أوقاتها عمداً، والآية تحمل في معناها شدة التحذير والإنذار والوعيد من ترك الصلاة مهما كان السبب.

[٦] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾:

﴿هُمْ يُرَآءُونَ﴾: للتوكيد.

﴿يُرَآءُونَ﴾: من المراءاة: هي فعل العبادة لغير وجه الله أو مرضاته، وإنما للشهرة أو السمعة ومرضاة النّاس.

[٧] ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾:

﴿وَيَمْنَعُونَ﴾: بالزجر أو الحثّ أو التحريض أو الوصية كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء:٣٧].

﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: اسم للحاجة ينتفع بها في البيت ولو كانت قليلة القيمة، أو تعني عدم مساعدة الآخرين المحتاجين.

مشتقة من المَعْن: وهو الشيء القليل.

وقيل: الماعون: الزكاة أو الصدقة.

أو لا يساعدون الفقير أو المحتاج بسبب الشحّ والبخل.

❖ ❖ ❖

سورة قريش

ترتيبها ١٠٦ آياتها ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ
﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم
مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سورة الماعون

ترتيبها ١٠٧ آياتها ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سورة الكوثر

ترتيبها ١٠٨ آياتها ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سورة الكوثر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (١٠٨) ترتيبها في النّزول (١٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم.

﴿أَعْطَيْنَٰكَ﴾: ولم يقل آتيناك؛ العطاء فيه تملّك، والإيتاء عطاء ليس فيه تملك؛ أي: يمكن استرداده متىٰ شاء، والإيتاء أعمّ من العطاء يشمل الأمور المادية والمعنوية، ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥١) للبيان.

﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: نهر من أنهار الجنة أعطاه الله سبحانه لرسوله ﷺ كما روىٰ البخاري ومسلم، وقيل: الكوثر الخير الكثير مثل النّبوة والعلم والحكمة وغيرها وقد تعني الكل.

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾:

﴿فَصَلِّ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: الصّلوات المفروضة والنّوافل، واللام: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿وَٱنْحَرْ﴾: اذبح يوم النّحر كما قال ابن عباس، ومن العلماء من استدل من هذه الآية علىٰ وجوب تقديم صلاة العيد علىٰ النّحر.

[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾:

العداوة لها درجات: تبدأ بالبغض ثم القِلى ثم الشَّنآن ثم المقت.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿شَانِئَكَ﴾: من الشنآن: وهو البغض الشديد والتجنب؛ الشّانئ المبغض أو العدوّ.

﴿هُوَ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿الْأَبْتَرُ﴾: قد تعني: الذي لا ولد له من الرّجال، أو المنقطع ذكره عن الخير.

وكما قال ابن عباس: إنّ العاص بن وائل السّهمي وصف رسول الله ﷺ بالأبتر بعد أن توفي عبد الله ابن رسول الله ﷺ وكانوا يسمّون من ليس له ابن أبتراً، فأنزل الله هذه الآية ردّاً على العاص بأنّه هو الأبتر وليس رسول الله ﷺ.

وقيل: ليس العاص بن وائل وإنما أبو جهل وأبو لهب، أو عقبة بن أبي معيط، والمهم عموم اللفظ وليس خصوص السبب.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الكَافِرُونَ

ترتيبها ١٠٩ آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

ترتيبها ١١٠ آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

ترتيبها ١١١ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

سورة الكافرون [الآيات ١ - ٦]

وتسمى سورة الإخلاص الثّانية وقل هو الله أحد سورة الإخلاص الأولى.

ترتيبها في القرآن (١٠٩) ترتيبها في النّزول (١٨).

ومما يلفت الانتباه أنّ الزّمن الفاصل بينها وبين سورة النّصر التي تليها ما يزيد عن (١٥ عاماً).

رغم أن سورة النصر تلي سورة الكافرون في القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾:

أسباب النّزول: كما ذكر الواحديّ: أنّها نزلت في رهط من قريش قالوا: يا محمّد، هلمَّ اتّبع ديننا ونتّبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً مما في أيدينا، قد شركناك فيه وأخذنا بحظّنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك تكون قد شاركت في أمرنا وأخذت بحظّك. فقال: معاذ الله أن أشرك به! فأنزل الله تعالى هذه السّورة.

فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه ملأ من قريش، فقرأها عليهم فيئسوا منه عند ذلك.

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ، يا: أداة نداء للبعد.

﴿يَا أَيُّهَا﴾: الهاء للتنبيه.

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: ولم يقل الذين كفروا، والكافرون: جملة اسمية تدل على أنّ صفة الكفر ثابتة فيهم، ولو قال الذين كفروا: جملة فعلية تدل على التّجدد والتّكرار.

الخطاب للكافرين عامة في كل زمان ومكان.

[٢] ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿لَآ﴾: النّافية للجنس تنفي كل الأزمنة الماضي والحال أو الحاضر والمستقبل، و«لا» أوسع نفياً من «لن».

﴿أَعْبُدُ﴾: والعبادة تشمل كل قول وفعل ولا تكون إلا لله وحده، وتعني: الخضوع والطاعة فيما أمر به ونهى عنه، أعبد: فعل مضارع يدل على التّجدد والتّكرار؛ أي: لا أعبد أيَّ صنم أو وثن أو ملك. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من البيان.

﴿مَا﴾: للعاقل وغير العاقل، أو مصدرية؛ أي: لا أعبد ما تعبدون.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل مضارع يدل على التّجدد والتّكرار.

وإذا نظرنا إلى الآية (٤) ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ فهي جملة اسمية تدل على الثّبوت.

فإذا جمعنا الآية الثّانية (الجملة الفعلية)، والآية الرّابعة (الجملة الاسمية) فيكون الرّسول ﷺ نفى عن نفسه عبادة ما يعبدون من دون الله بشكل متجدد ومتكرر، وبالشّكل الدّائم؛ أي: لا هذا ولا ذاك؛ أي: نفي لكل الأزمنة.

انتبه إلى تكرار «لا» في أربع آيات؛ يفيد توكيد النّفي نفي العبادة.

[٣] ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾:

﴿وَلَآ﴾: الواو: عاطفة، لا النافية؛ أي: أنتم في الحال لستم عابدين ما أعبد؛ أي: الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿مَآ أَعْبُدُ﴾: بمعنىٰ ولا أنتم عابدون الذي أعبد، وهو الله سبحانه.

[٤] ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾:

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾: الواو عاطفة، لا: النافية لكل الأزمنة؛ أي: ما كنت في الماضي ولا في الحال ولا في المستقبل عابداً آلهتكم أو ما تعبدون.

هذه الآية توكيد للآية: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وكما قلنا: تعتبر جملة اسمية جاءت لتدل علىٰ ثبوت نفي العبادة في كل الأوقات: نفي العبادة الدّائم أو المتقطع (المتجدد والمتكرر).

[٥] ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾:

هذه الآية تكرار للآية (٣).

وجاءت في الآيتين بصيغة الجملة الاسمية؛ لتدل علىٰ الثّبوت والتّوكيد علىٰ عبادة مشركي قريش للأصنام والأوثان، وأنهم لا يعبدون الله وحده.

[٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾:

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، والكاف للخطاب (يخاطب مشركي قريش).

﴿دِينُكُمْ﴾: سمّىٰ ما يعبدون من دون الله ديناً؛ توبيخاً أو تهكّماً حيث كانوا يزعمون أنّهم علىٰ دين آبائهم أو يقلدون آباءهم، وهم ليس لهم دين.

﴿وَلِيَ﴾: اللام لام الاختصاص، لي: المتكلم رسول الله ﷺ.

﴿دِينِ﴾: هو دين الإسلام، دين التّوحيد وليس هناك إلا دين واحد منذ خلق الله الأرض هو دين الإسلام فقط، أما اليهودية والنّصرانية فهي ديانات أو شرائع، والإسلام للناس كافة وللمسلمين خاصة. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (١٣٢) لمزيد من البيان في معنىٰ الدين.

ولا تعني هذه الآية الإذن لهم بالشّرك أو الكفر، بل تعني الوعيد والتّهديد. وأمّا تقديم «لكم دينكم» علىٰ «ولي دين» راجع لكونهم أكثر عدداً؛ أي: تقديم الأكثر علىٰ الأقل.

وحذف الياء من دين ولم يقل من ديني؛ أي: ديني ودين غيري من المسلمين؛ أي: دين ليس خاص به، ودين مستمر إلىٰ يوم القيامة مقارنة بقوله تعالىٰ في سورة يونس آية (١٠٤) (إن كنتم في شك من ديني) فهذا رد علىٰ الكافرين أو الشاكين في دين الله في ذلك الزمن وأنهىٰ أمرهم.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الكَافِرُونَ

ترتيبها ١٠٩ آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

ترتيبها ١١٠ آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

ترتيبها ١١١ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

سورة النصر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (١١٠) وترتيبها في النّزول (١١٤) وسميت سورة التّوديع.

معرفة زمن نزول هذه السّورة مهم فقد قيل: إنّها نزلت سنة عشر للهجرة، وروي أن رسول الله ﷺ عاش ﷺ بعدها (٧٠ يوماً) وقيل: نزلت في حجة الوداع وعاش بعدها النّبي ﷺ (٨٠ يوماً) وعندما سمعها رسول الله ﷺ قال ﷺ: نُعيت إليّ نفسي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿جَاءَ﴾: ولم يقل أتى؛ لأن المجيء أكثر صعوبة ومشقة من الإتيان؛ لأنّ نصر الله والفتح يرافقهما صعوبة ومشقة.

﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾: النصر يعني الغلبة المادية أو الغلبة العسكرية الحربية باستعمال القوة والسّلاح، والتحام الفريقين، والنّصر أعم وأشمل يتضمن معنى الفتح.

﴿وَالْفَتْحُ﴾: يتم بدون قتال أو قوة، يحصل بالصلح وبالمفاوضات والبرهان والحجة كما حصل في فتح مكة. إذن هناك فرق بين النصر والفتح.

وهناك فرق بين النجاة والفوز؛ الفوز يعني: الخلاص من المكروه أو الشدة والوصول إلى الغاية أو المطلوب، فالفوز: النّجاة + الوصول إلى الغاية.

وأما النّجاة: هي الخلاص من المكروه أو الشدة فقط بدون الوصول إلى الغاية.

[٢] ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾:

﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ ﴾: المخاطب هو رسول الله ﷺ وغيره من المؤمنين.

رأيت الناس: رؤية بصرية وفكرية (علمت).

﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾: يدخلون بصيغة المضارع؛ لتدل على التّجدد والتّكرار واستمرار دخول النّاس في هذا الدّين إلى يوم القيامة.

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾: وهو الإسلام دين الحق. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٣٢) لمزيد من البيان في معنى دين الله.

﴿أَفْوَاجًا ﴾: جماعات جماعات، ودخول النّاس في دين الإسلام أفواجاً أفواجاً يدل على أنّك بلّغت الرّسالة ومهمّتك قد تحقّقت، وتقديم: «في دين الله» على: «أفواجاً» للاهتمام.

[٣] ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾:

﴿ فَسَبِّحْ ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، سبّح: من التّسبيح: وهو تنزيه الله عن كل شريك وولد وعيب ونقص، تنزيه الذّات والصّفات والأسماء. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١) والتّسبيح سببه: تعجباً لدخول النّاس أفواجاً في دين الله، فحين ترى أمراً عجيباً من المفروض أن تسبِّح.

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: تسبيح مصحوب بالحمد، والشّكر لله؛ لأنه سبحانه نصر عبده وأعزّ جنده ودينه، وحقّق التّمكين للمؤمنين في الأرض بعد فتح مكة.

﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾: الاستغفار هنا استغفار إنابة وكثرة الرجوع إلى الله، واستغفار النّبي ﷺ أو الطلب منه الاستغفار لا يدل على ذنب، وإنما هو تقرُّب من الله وتواضع وذكر لله تعالى.

أي: رغم الفوز والنّصر ودخول النّاس أفواجاً في دين الله على العبد أن يبقى متواضعاً لله تعالى، والاستغفار عبادة قلبية ولو لم يذنب العبد، وانتبه إلى قوله تعالى: «إنّه كان تواباً» ولم يقل إنّه كان غفاراً.

لأنّ غفاراً صيغة مبالغة؛ أي: كثير الغفر والغفران: وهو ستر الذّنب وترك العقوبة عليه والإثابة على الحسنات، وتوّاباً صيغة مبالغة تدل على كثرة قبول التّوبة.

وكلمة تواباً: تتضمن غفاراً؛ لأنّه سبحانه حين يقبل التّوبة يعني قَبِل الاستغفار، فتكون الآية فاستغفره إنّه كان توّاباً (أي: توّاباً وغفاراً) والاستغفار يسبق التّوبة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٣].

❖❖❖

سُورَةُ الكَافِرُونَ

ترتيبها ١٠٩ آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

ترتيبها ١١٠ آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

ترتيبها ١١١ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

سورة المسد [الآيات ١ - ٥]

ولها تسميات أخرىٰ منها: تبّت، أو سورة اللهب.

ترتيبها في القرآن (١١١) وترتيبها في النّزول (٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾:

أسباب النّزول: ثبت في الصّحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتّىٰ صعد الصّفا وقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني عبد مناف، أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا، ثم قام فنزلت هذه السّورة.

لما قال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا، فهو يدعو علىٰ رسول الله ﷺ بالهلاك، فردّ الله سبحانه عليه لا بل: تبّت يدا أبي لهب وتبّ، فالله سبحانه هو القادر علىٰ التّبّ، وأمّا دعاء أبي لهب لغوٌ ولا قيمة له.

التّبّ: الهلاك والقطع.

وعبّر عن هلاك وبوار أبي لهب بهلاك يديه؛ ويعني ذاته (عبّر عن الجزء والمراد به الكل)؛ لأن أغلب الأعمال تزاول باليدين.

أبي لهب: اسمه عبد العُزىٰ، وسمي بهذا الاسم؛ لكون وجهه أحمر يشبه اللهب، وهو عم النّبي ﷺ وكان من سدنة الكعبة من بني هاشم.

وتبّ: تعني قد حصل المراد التّبّ (الهلاك) وتحقّق، وتبّ تفيد التوكيد.

[٢] ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾:

﴿مَآ﴾: النّافية.

﴿أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾: لن ينفعه مالُهُ يوم القيامة.

﴿وَمَا﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل، أو اسم موصول للمفرد والمثنىٰ والجمع وغير العاقل والعاقل.

﴿كَسَبَ﴾: أي من الولد أو المال الذي ورثه من أبيه، أو الإبل والغنم التي كثر نسلها.

[٣] ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾:

﴿سَيَصۡلَىٰ﴾: السّين للاستقبال القريب، يصلىٰ: يدخل النّار، يلتهب ويشوىٰ بها.

[٤] ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾:

أي: وستصلىٰ امرأته أيضاً؛ وهي أم جميل بنت أخت أبي سفيان، وهذا إشارة إلىٰ أنّه وزوجته سيموتان علىٰ الكفر ولن يسلما.

حمّالة الحطب: لها عدّة معانٍ، وكلها واردة في حقّها:

١ - أنّها كانت تحمل حزم الشّوك والذي فيه الحسك وتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ لتؤذيه.

٢ - أنها كانت تمشـــي بالنّميمة بين النّاس، وإثارة الفتنة وحث الناس على خصومة رسول الله ﷺ، فشبّهت النّميمة التي توقدها بالحطب.

٣ - قيل: حمالة الخطايا والأوزار؛ أي: الآثام.

[٥] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جِيدِهَا﴾: أي في عنقها حبل من مسد، والجِيد: هو العنق الطّويل الجميل المرصّع بالزّينة والحلي.

والمسد: هو الليف الخشن الذي فُتِلَ حتى أصبح حبلاً محكماً.

أي: بدلاً من أن يكون جِيد أمّ جميل مرصّع بالذّهب والمجوهرات واللؤلؤ والمرجان يوم القيامة سيلفّ حوله حبل من مسد، بل سلاسل من النّار، وبدلاً من حمل الشّوك أو الحطب على ظهرها ســتحمل الزّقوم والضّريع في بطنها، وفي هذا إذلال وإهانة لهذه المرأة القرشـــية التي تشارك زوجها في محاربة الله تعالى ورسوله ﷺ، ووعيد لا يطيقه عقل بشر.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

ترتيبها ١١٢ آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ

ترتيبها ١١٣ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

ترتيبها ١١٤ آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

سورة الإخلاص [الآيات ١ - ٤]

سميت بذلك؛ لأنّها تهدي إلىٰ التّوحيد الخالص لله عز وجل.

ترتيبها في القرآن (١١٢) وترتيبها في النّزول (٢٢).

فضلها: روىٰ البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أنّ النّبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، إنّها لَتعدل ثلث القرآن».

وروىٰ مسلم من حديث أبي هريرة أنّ النّبي ﷺ قال: «إنّها تعدل ثلث القرآن».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾:

أسباب النّزول: أنّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربّك! فأنزل الله تعالىٰ هذه السّورة، أو أنّ قوماً من أحبار اليهود جاؤوا إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: صِف لنا ربّك، فإنّ الله أنزل نفسه في التّوراة، فأخبرنا من أيّ شيء هو، أذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل هو يأكل ويشرب؟!

وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟! فأنزل الله تعالىٰ هذه السورة.

﴿قُلْ﴾: الخطاب إلىٰ رسول الله ﷺ وبالتالي إلىٰ أمته؛ أي: قل يا رسول الله ﷺ لمن سألك عن الله (تبارك وتعالىٰ).

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱللَّهُ﴾: الاسم الدال على واجب الوجود الإله الحق، اسم ذات الله يحمل في طيّاته كل صفات الكمال تفرّد به سبحانه وقدّمه على جميع أسمائه.

﴿أَحَدٌ﴾: لا شبيه له ولا نظير ولا مثيل، ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، وهناك فرق بين (أحد) و(واحد)؛ الواحد: هو الذي لا يتجزأ؛ أي: ليس له ولد، وغير مركب، وأحد أعم في النفي من واحد فهو نفي للجنس؛ أي: لا أحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا أكثر، ولكن حين تقول لا واحد يجوز أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر؛ فالله سبحانه أحد وواحد؛ ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) لمزيد من البيان.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾:

الصَّمد: السَّيد الذي يُصمدُ إليه في الحوائج، والسّيد الذي كمل سؤدده كما روي عن ابن عباس؛ أي: تصمد إليه الأمور ويقصد إليه في كل وجميع الحوائج على الدوام، فإن أصل الصمد: القصد، والمستغني عن كل ما سواه، والصّمد الذي لا جوف له؛ أي: لا يأكل ولا يشرب.

[٣] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾:

﴿لَمْ﴾: حرف نفي يفيد الاستمرار.

﴿يَلِدْ﴾: أي لا ولد له سواء كان ذكراً أو أنثى، فلا المسيح ابن الله ولا العُزير ولا الملائكة بنات الله، سبحانه وتعالى عما يشركون.

﴿وَلَمْ﴾: تكرار لم يفيد توكيد النّفي.

﴿يُولَدْ﴾: أي ليس بمولود فهو الأول والآخر.

[٤] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾:

﴿ وَلَمْ ﴾: حرف نفي يفيد الاستمرار.

﴿يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا ﴾: الكفء: المثل المكافئ؛ أي: لا شبه له ولا مثل لا من وجه واحد ولا من جميع الوجوه، أو لا شبيه له ولا عدل ولا مثيل ولا نظير، ليس كمثله شيء.

ولم يقل ولم يكن له أحداً كفواً، وقدّم كُفُواً على أحد؛ أي: سبق نفي المكافأة المادة عن ذات الباري؛ لأنها من أهم الأمور.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

ترتيبها ١١٢ آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ

ترتيبها ١١٣ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

ترتيبها ١١٤ آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

سورة الفلق [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١١٣) وترتيبها في النّزول (٢٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾:

﴿قُلْ﴾: الخطاب إلىٰ رسول الله ﷺ وأمته.

﴿أَعُوذُ﴾: أي أستجير وأعتصم أو ألجأ.

﴿بِرَبِّ﴾: الباء للإلصاق والدّوام، ربّ: الخالق المدبّر.

﴿الْفَلَقِ﴾: لها معانٍ متعددة منها:

١ - الصبح.

٢ - الخلق كلُّه.

٣ - كل ما انفلق.

الفلق: الصبح، كما روي عن ابن عباس وغيره؛ أي: فلق الصبح.

والفلق: تعني الخلق كلَّه.

والفلق: ما انفلق، فهو سبحانه فالق الإصباح وفالق الحبّ والنّوىٰ.

والفلق: إحدىٰ طرق التكاثر وخاصة في النباتات والسُّحب وغيرها.

[٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾:

﴿مِن﴾: بعضية؛ أي: من شرّ بعض ما خلق؛ لأنّ ما خلق بعضه مفيد وبعضه شر، فنحن نستعيذ من القسم الذي يجلب أو يسبّب الشّر والأذىٰ والألم والمكروه والمرض.

﴿مَاخَلَقَ﴾: من شرّ؛ أي: إنسان متجبّر طاغ أو جانّ أو حيوان أو جرثوم أو فيروس أو حمىٰ أو نبات أو كوارث طبيعية كرعد وبرق ونار وبرد، والرّيح العقيم والمطر الذي يسبب الفيضانات.

ما: تشمل العاقل وغير العاقل، وتشمل كل شيء في الوجود.

خلق: الخلق، التّقدير والإيجاد.

[٣] ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾:

﴿وَمِن شَرِّ﴾: الواو: حرف عطف، تكرار من شر أربع مرات يمكن أن يفسر علىٰ ذكر الخاص بعد ذكر العام، وكذلك للتأكيد علىٰ أهمية هذه المختلفة الشرور الأربع والاستعاذة بالرب منها، والشر ضد الخير.

﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾:

﴿غَاسِقٍ﴾: لها معان عدة:

منها: الليل إذا أظلم أو اشتد ظلامه، إذا وقب: إذا دخل في كل شيء حيث تخرج الهوامّ من أماكنها بالليل والحيوانات المفترسة، وينبعث أهل الشّر والسّرقة والزّنىٰ والقتل لممارسة أعمالهم.

ومنها: الغاسق؛ أي: القمر إذا غاب أو دخل في الكسوف.

ومنها: الغاسق البارد شديد البرودة، الضارّ بالإنسان والحيوان والنبات، كقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص:٥٧].

بعد أن وصّىٰ بالاستعاذة من شرّ جميع ما خلق، عاد ليؤكّد علىٰ ثلاثة أنواع من الشّرور وهي: الغاسق إذا وقب، والسّحر والحسد.

[٤] ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾:

﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾: النّساء السّاحرات اللاتي يقمن بالنّفث: وهو التفل، النّفخ من الفم الذي يخرج معه شيء من الرّيق القليل، فقد كانوا يستعينون

على أعمال السّحر بنفث أنفاسهم الخبيثة، أو ينفثن في عُقد الخيوط حيث السّواحر كنَّ يعقدن العُقد في الخيوط.

﴿فِي ٱلْعُقَدِ﴾: جمع عُقدة، فالسِّحر قد يؤذي الإنسان ولكن بإذن الله تعالى.

والتّفسير العلمي للعقد: قيل هي العقد الدماغية (التي تتشكل من الخلايا الدّماغية والنورونات المتشابكة المترابطة بإحكام) التي تقدر بالملايين والتي تتأثر بالوساوس والأفكار والعوامل الدّاخلية والخارجية، وسواء كانت نفسية أو عضوية، وتدل على عظمة الخالق وقدرته.

[٥] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾:

﴿وَمِن﴾: ابتدائية.

﴿شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: الحسد هو تمنّي زوال النّعمة عن الغير لتحصل له؛ أي: تكون له أو لا تكون.

والحسد: حقيقة واقعة لا يجوز إنكارها وهو من الكبائر.

أي قل: أعوذ بالله من شر السّاحر إذا سحر، وأعوذ بالله من شر الحاسد إذا حسد.

وإذا نظرنا إلى هذه الشّرور الأربعة المذكورة في سورة الفلق، نجدها شروراً خارجية تصيب الإنسان وتؤثر في البدن وسلامة النّفس، ويجب أن نستعيذ بالله من هذ الشرور الأربعة.

وإذا نظرنا إلى سورة الناس التالية لسورة الفلق، نجدها تتحدث عن شر واحد هو شر الشيطان الوسواس الخناس، والوسوسة: أمر داخلي، ويجب أن نستعيذ من هذا الشر العظيم.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

ترتيبها ١١٢ آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْفَلَقِ

ترتيبها ١١٣ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

ترتيبها ١١٤ آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

سورة الناس [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (١١٤) وترتيبها في النّزول (٢١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾:

﴿قُلْ﴾: الخطاب موجَّه إلى رسول الله ﷺ وأمته من بعده.

﴿أَعُوذُ﴾: أي أستجير وأعتصم وألجأ.

﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾:

ربّ: البـاء للإلصاق والدّوام، ثلاث صفات لله تعالى من صفات العظمة والكمـال، والقدرة والعلم، تشـمل الربوبيـة والألوهية والملكيـة التي يجب الاستعاذة بها.

وبدأ بالاستعاذة «بربّ الناس»: أي ألجأ وأعتصم بالرّب بالخالق والمربّي والمدبّر والرّزاق، والمحيي والمميت والحفيظ والشّـافي والسّـلام، فالرّبوبية تستوجب العبادة: عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

ربّ النّاس: اختار أو خص الناس ولم يقل ربّ العالمين، أو رب كل شيء ربّ عالم الملائكة وعالم الإنس، وعالم الجن وعالم الحيوان والنبات والجماد؛ لأنّ ربّ النّـاس خاصة؛ لأنهم المتميزون بحمل التكاليف والعبادة والحسـاب والجزاء كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

[٢] ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾:

الحاكم والمالك؛ أي: ألتجأ وأعتصم وأستجير بملك الناس: أي الحاكم والمالك.

﴿ٱلنَّاسِ﴾: اسم يشير إلىٰ بني آدم أو البشر. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٢٠) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾:

أي: الإله المعبود الحق: أي ألتجئ وأعتصم بهذا الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده.

فحينما يستعيذ بالربوبية والملكية والإلوهية؛ فهو يستعيذ بثلاث: برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر واحد وهو: الوسوسة، بينما في سورة الفلق استعاذ برب الفلق منه أربع شرور؛ فيكون قد أقرّ بنفسه بالوحدانية: وحدانية الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ويكون قد وصل إلىٰ الغاية الكبرىٰ والنّهاية العظمىٰ في التصديق والإيمان، ونلاحظ ذكر كلمة الناس خمس مرات في سورة الناس. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٢١) لبيان معنىٰ الناس، ونلاحظ أيضاً أنه لم يأت بواو العطف في أي آية في هذه السورة.

[٤] ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾:

﴿ مِن ﴾: لابتداء الغاية.

﴿شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾: الوسواس: هو الشيطان الذي هو من الجن. شرّ: أذىٰ الشيطان ذي الوساوس، الذي يوسوس؛ أي: له خاصة الوسوسة.

يقال: وسوس إليه الشّيطان: كلّمه كلاماً خفياً، وهو عبارة عن الأفكار

والخواطر وحديث النّفس والخيالات التي تمرّ أو تعصر بفكر الإنسان، وقد تؤدّي إلىٰ المعصية والابتعاد عن الحق.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾: اسم فاعل من الفعل الثلاثي خنس؛ أي: توارىٰ واختفىٰ من الخنس وهو الاستخفاء والتّستر؛ أي: الشّيطان المختفي عن الأبصار؛ أي: لا تراه وهو يراك، أو إذا ذكر الله. خنس؛ أي: استتر، أو كف شره؛ فإذا غفل العبد عن ذكر ربه عاد يوسوس إليه.

[٥] ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿يُوَسْوِسُ﴾: في صدور الناس: في قلوبهم؛ أي: عقولهم، ولم يقل يوسوس إلىٰ صدور النّاس، بل قال: «يوسوس في صدور النّاس»؛ أي: في داخلها.

يوسوس فعل مضارع يفيد التّجدد والتّكرار والاستمرار.

النّاس: من ألفاظ الجموع التي ليس لها مفرد، وكلمة الناس مشتقة من النوس: وهو الحركة، والناس قد يكون من الإنس ومن الجن، وأصله أناس حذفت الهمزة للتخفيف.

ولا يكتفي الشّيطان بالوسوسة بل له أساليب أخرىٰ كما بيّنت الآيات الأخرىٰ منها: التّزيين حيث يزيّن له الشّبهات والمنكرات، ويجعل المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ومنها الأزّ: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣] أي: تثيره علىٰ فعل المعصية وتهيّجه فلا يفكر إلا بها، فيشتد غليانه لفعلها، ومنها مرحلة النّزغ كأنّ الشّيطان بآلة حادة بحربة ويركضه برجله؛ ليسرع به علىٰ ارتكاب المعصية، ثم تأتي مرحلة المسّ المباشرة بالمعصية.

[٦] ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾:

لها معنيان: الأول: يوسوس في صدور الجن والإنس، والمعنى الثاني:

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: أي الذي يوسوس: هو شيطان من الجنة؛ أي: من شياطين الجنّ، وكما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

﴿وَٱلنَّاسِ﴾: أو هو شيطان من النّاس (الإنس) وهو أشدُّ ضرراً من شيطان الجنّ.

وهل شيطان الإنس قادر على الوسوسة في الصّدور؟

الجواب: لا، ولكنهم يقومون بالوسوسة علانية حين يقومون بالفساد، وحين يزينون للناس الشر والقبيح والمعاصي، ويثيرون الشبهات، ولذلك يجب الاستعاذة من شياطين الإنس والجن.

❖ ❖ ❖

فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء الثاني عشر

السورة ورقمها — الصفحة

جزء تبارك

سورة الملك [الآيات ١ - ١٢] ٦

سورة الملك [الآيات ١٣ - ٢٦] ١٩

سورة الملك [الآيات ٢٧ - ٣٠] ٣١

سورة القلم [الآيات ١ - ١٥] ٣٥

سورة القلم [الآيات ١٦ - ٤٢] ٤٣

سورة القلم [الآيات ٤٣ - ٥٢] ٥٥

سورة الحاقة [الآيات ١ - ٨] ٦٣

سورة الحاقة [الآيات ٩ - ٣٤] ٦٩

سورة الحاقة [الآيات ٣٥ - ٥٢] ٧٩

سورة المعارج [الآيات ١ - ١٠] ٨٧

سورة المعارج [الآيات ١١ - ٣٩] ٩٣

سورة المعارج [الآيات ٤٠ - ٤٤] ١٠٣

سورة نوح [الآيات ١ - ١٠] ١٠٧

سورة نوح [الآيات ١١ - ٢٨] ١١٥

سورة الجن [الآيات ١ - ١٣] ١٢٧

سورة الجن [الآيات ١٤ - ٢٨] ١٣٧

سورة المزمل [الآيات ١ - ١٩] ١٤٩

السورة ورقمها	الصفحة
سورة المزمل [الآية ٢٠]	١٥٩
سورة المدثر [الآيات ١ - ١٧]	١٦٣
سورة المدثر [الآيات ١٨ - ٤٧]	١٧١
سورة المدثر [الآيات ٤٨ - ٥٦]	١٨٣
سورة القيامة [الآيات ١ - ١٩]	١٨٨
سورة القيامة [الآيات ٢٠ - ٤٠]	١٩٧
سورة الإنسان [الآيات ١ - ٥]	٢٠٧
سورة الإنسان [الآيات ٦ - ٢٥]	٢١٣
سورة الإنسان [الآيات ٢٦ - ٣١]	٢٢٣
سورة المرسلات [الآيات ١ - ١٩]	٢٢٧
سورة المرسلات [الآيات ٢٠ - ٥٠]	٢٣٣
جزء عم	
سورة النّبأ [الآيات ١ - ٢]	٢٤٥
سورة النبأ [الآيات ٣١ - ٤٠]	٢٥٧
سورة النّازعات [الآيات ١ - ١٥]	٢٦٣
سورة النّازعات [الآيات ١٦ - ٤٦]	٢٦٩
سورة عبس [الآيات ١ - ٤٢]	٢٨٣
سورة التكوير [الآيات ١ - ٢٩]	٢٩٧
سورة الانفطار [الآيات ١ - ١٩]	٣١١
سورة المطففين [الآيات ١ - ٦]	٣١٩
سورة المطففين [الآيات ٧ - ٣١]	٣٢٣

السورة ورقمها	الصفحة

سورة المطففين [الآيات ٣٥ - ٣٦] ٣٣٥

سورة الانشقاق [الآيات ١ - ٢٥] ٣٣٧

سورة البروج [الآيات ١ - ٢٢] ٣٤٧

سورة الطارق [الآيات ١ - ١٧] ٣٥٧

سورة الأعلى [الآيات ١ - ١٥] ٣٦٧

سورة الأعلى [الآيات ١٦ - ١٩] ٣٧٣

سورة الغاشية [الآيات ١ - ٢٦] ٣٧٦

سورة الفجر [الآيات ١ - ٢٣] ٣٨٧

سورة الفجر [الآيات ٢٤ - ٣٠] ٣٩٩

سورة البلد [الآيات ١ - ٢٠] ٤٠٣

سورة الشمس [الآيات ١ - ١٥] ٤١٣

سورة الليل [الآيات ١ - ١٤] ٤٢١

سورة الليل [الآيات ١٥ - ٢١] ٤٢٧

سورة الضحى [الآيات ١ - ١١] ٤٣١

سورة الشّرح [الآيات ١ - ٨] ٤٣٧

سورة التين [الآيات ١ - ٨] ٤٤١

سورة العلق [الآيات ١ - ١٩] ٤٤٧

سورة القدر [الآيات ١ - ٥] ٤٥٧

سورة البينة [الآيات ١ - ٧] ٤٦٢

سورة البينة [الآية ٨] ٤٦٧

سورة الزلزلة [الآيات ١ - ٨] ٤٦٩

السورة ورقمها	الصفحة
سورة العاديات [الآيات ١ - ٩]	٤٧٣
سورة العاديات [الآيات ١٠ - ١١]	٤٧٧
سورة القارعة [الآيات ١ - ١١]	٤٧٩
سورة التّكاثر [الآيات ١ - ٨]	٤٨٥
سورة العصر [الآيات ١ - ٣]	٤٩٠
سورة الهمزة [الآيات ١ - ٩]	٤٩٤
سورة الفيل [الآيات ١ - ٥]	٤٩٩
سورة قريش [الآيات ١ - ٤]	٥٠٣
سورة الماعون [الآيات ١ - ٧]	٥٠٧
سورة الكوثر [الآيات ١ - ٣]	٥١١
سورة الكافرون [الآيات ١ - ٦]	٥١٤
سورة النصر [الآيات ١ - ٣]	٥١٩
سورة المسد [الآيات ١ - ٥]	٥٢٣
سورة الإخلاص [الآيات ١ - ٤]	٥٢٧
سورة الفلق [الآيات ١ - ٥]	٥٣١
سورة الناس [الآيات ١ - ٦]	٥٣٥
فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء الثاني عشر	٥٣٩

❖ ❖ ❖